
غانم مزعل
٢
KHADER
الشخصيّة العربيّة في الأدب العبري الحديث
١٩٤٨ - ١٩٨٥
دار الجليل للنشر والدراسات والابحاث الفلسطينية
Bibliotheca Alexandrina
02052279

الشخصية العربية

في

الأدب العبري الحديث

الغلاف للفنان : **خضر نعيم**

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الاولى

١٩٨٦

دار الجليل للنشر
والدراسات والابحاث الفلسطينية ـ عمان
ص.ب ٨٩٧٢ تلفون ٦٦٧٦٢٧

الشخصية العربية «٢»

في

الأدب العبري الحديث

غانم مزعل



إصدار
دار الجليل للنشر
والدراسات والأبحاث الفلسطينية
عمان - ص.ب ٨٩٧٢ تلفون ٦٦٧٦٢٧ تلكس ٢٣٠٣١

The Arab's Character In The Contemporary Hebrew Literature

By: Ghanim Muzil

Published BY:

Dar El-Jaleel For Publishing & Palestinian Research & Studies

Amman - Tel.: 667627 - P.O.Box 8972 - Telex 23031

All Rights Reserved For DAR EL-JALEEL

1986

إهداء ...

الى والديَّ العزيزين
اللذين ربّياني صغيراً ووجّهاني كبيراً .

الى رفيقة عمري راوية التي سهرت معي
في إعداد هذا العمل .

والى ابنتي (هيا)
التي كانت تكفّ عن إزعاجي
عندما كانت تراني منهمكاً
في هذا العمل .

غانم

تقديم

يسعدني أن أقدّم الى قرّاء العربيّة هذا الجهد المتواضع لتعريفهم بجوانب من القصّة العبريّة المعاصرة، التي يشكّل عرب هذه البلاد عناصرها و(أبطالها). وهو ـ حسب اعتقادي ـ أوّل عمل مُستقى من المصادر العبريّة نفسها ؛ لأنّ معظم ما سبق وكُتِبَ كان مترجماً.

ولي وطيد الأمل أن أتمكّن من مواصلة هذه البداية فأتمكّن في القريب من تقديم بعض الإنتاج العبري في الشعر والنثر.

وأتوجّه بالشكر الجزيل الى الأستاذ الشاعر عصام العبّاسي الذي أسهم بقسط وافر في خروج هذا الكتاب الى النور.

ونتمنّى له العمر المديد، والإنتاج الزاهر.

خطوة على الطريق ...

لا أذكر اسم ذلك المثقّف اليهودي الكهل الذي جلس بالقرب منّي في سيّارة الباص من حيفا الى الناصرة في يوم من ربيع ١٩٤٩ . غير أنّي ما زلت أذكر وجهه ذا الغضون ، وشعره الذي وخطه الشيب ، وعينَيه البرّاقتَين. وإن أنسَ فلن أنسى حديثه الطليّ ؛ فلقد تمنّيت أن تطول بنا الطريق لأستمتع بحديثه المثقّف الرائع . ولكنّه نزل عند مفترق طرُق يؤدّي الى مستوطَنة قريبة من الناصرة.

ولم تشأ الظروف أن ألتقيه مرّةً أُخرى . ولا أدري ، اذا كان يبلغ من العمر عتيّاً أم واتاه أجَله المحتوم. ولكن مهما يكن من أمر فهو رجل قال كلمة صِدق يستحقّ عليها الثناء.

كنت يومذاك أقرأ في جريدة (الاتّحاد) ، ولحظت أنّ جاري في المقعد يحملق في الجريدة ... لحظةً وينظر في وجهي لحظةً متفرّساً. وبَينا أنا مستغرق في قراءة مادّة رَبّتَ على كتفي وسألني بالعبريّة إن كنت أجيد العربيّة ، وأين تعلّمتها، وانفرَجَت أسارير الرجُل وبدَت عليه علائم الدهشة عندما أجبته باللغة العبريّة أنّني عربيّ وأجيد اللغة العبريّة. . . وكان سؤاله وجوابي مِفتاحَي حِوار استمرّ طول الطريق. . . واستطعت أن أفهم من بدء الحديث أنّه مستشرق أو مهتمّ بالأمور الشرقيّة والعربيّة. فهو يقرأ العربيّة بعَينَيه ولا يستطيع لفظ كلماتها. . يعرف أنّ هذه الكلمة مثلاً تعني كذا، ولكنّه لا يعرف لفظها. وقد دفعني ذلك الى التفكير بتعليم أبنائنا القراءة وهُم أطفال بقراءة الكلمة ، دون تعليمهم الحروف ... وبكلمات أُخرى تطوير طريقة خليل السكاكيني في كتابه. . أو سلسلة كتبه (الجديدة) ؛

التي لا يزال كثيرون يذكرونها بالخير طبعاً.

وتطرّق الحديث الى مواضيع شتّى ... الصهيونيّة... الاضطهاد القومي والتمييز العنصري والحكم العسكري ومصادرة الأراضي وتشريد العرب.. وقضيّة اللاجئين... وتحوّل الحديث بعد ذاك الى التاريخ.

لقد كان لِزاماً عليّ أن أرفع عقيرتي منددّاً بالاضطهاد والتمييز والظلم وما يلحق بالعرب من غبن وإجحاف وضَيم، ومحاولاً أن أُفهِم كلّ يهودي وغير يهودي، مِمّن أصادفهم ، بشكاة قومي. ولا داعيَ هنا لأكرّر ما عاناه الفلسطينيّون منذ ١٩٤٨ ولا سيّما أولئك الذين بقُوا في ديارهم ولم يبرحوها...

قال لي ذلك الرجل وعلى محيّاه ابتسامة ذكيّة: قُل لأولئك الذين يضطهدون: مَن غير العرب حماكم وحدب عليكم ، قبل الإسلام، وفي صدره، وما بعده، وفي كُلّ مراحل التاريخ العربي.. في الجزيرة العربيّة.. وفي آسيا وأفريقيا.. والأندلس.. وفي شتّى العهود.. في الحروب الصليبيّة ؟ ... ومَن غير العرب ، ولا سيّما المسلمين ، أغنَى التراث العبري الأدبي، وساعد على وجود قواعد لِلُغة العبريّة وقواعد للشعر العبري.. بل أدخَلَ التفكير الفلسفي في الدين اليهودي؟

ومِن الأسماء التي ذكرَها ليستشهد على صِدق مقاله اسم موسى بن ميمون الذي يسمّيه اليهود بالرامبام ، مختصرين اسمه ، الذي وضع العديد من كتُبه باللغة العربيّة المكتوبة بالحروف العبريّة، والحريزي تلميذ الحريري صاحب المقامات المعروفة باسمه... كان الرجل يتكلّم بحماس ، وأذهلَني منه أن يصف اليهود والصهاينة بأنّهم ناكرو الجميل ، ويمتدح العرب والمسلمين لِما يتحلّون به من أخلاق وشِيَم ورحابة صدر وتسامُح... وأضاف أنّ ساسة الصهيونيّة وأُدباءَها

وشعراءَها وكتّابها يُخفون الحقيقة عن قرّائهم، ولا قُـرّاءَ لهم غير اليهود الذين يجيدون العبريّة، كُلّ ذلك ليُظهروا العرب أبناءَ صحراء ، جفاة، قساة القلوب ، متخلّفين.

ولكنّ الحديث مع ذلك اليهودي انقطع عند وصولـه الى محطّة نزوله.

تذكّرت كلّ ذلك ، وغير ذلك ، وأنا أراجع مسوّدة كتاب الأستاذ غانم مزعل الذي بين أيديكـم . . . وتذكّرت أنّني بعد لقائي مع ذلك اليهودي الصـادق بفترة طويلة أنّني قرأت في مصادر عبريّة عن الحريـزي وتأثّره بأستاذه الحريري صاحب المقامات الشهيـرة باسمه بقلم يهودي اهتمّ بالأدب العبري الأندلسي في ظِلّ العرب والمسلمين. وتذكّرت كذلك ضجّةً أُثيرَت حـول كاتب عبري معاصر اهتدَى الى مادّة كُتِبَت بالعبريّة فـي العهد الأندلسي العربي . وقد أطلق ذلك الكاتب علـى تلك المادّة في البدء اسم (المقامات)، غير أنّ الكاتب العبري المعاصر أراد أن يخلّصها من (عُروبتهـا)؛ فاختار لها اسماً عبريّاً هو (محباروت) ـ ومعناهـا دفاتر . وقد قُدّمَت تلك المقامات في مشاهد تمثيليّـة بالعبريّة. . . وسرعان ما تكشّفَ لي وأنا أشاهدها أنّهـا ترجمة حرفيّة أو ذات تصرُّف لمقامات الحريري؛ فلقـد سبق لي أن قرأت المقامات كلّها حتى مقامات (مجمـع البحرين) التي وضعها اليازجي.

وتذكّرت كذلك ـ وغانم مزعل يجـول بـي فـي مختاراته من القصص العبري وتعليقاته عليها ـ نـدوةً عُقدت في حيفا قبل سنوات باشتراك عدد من الأدبـاء العرب واليهود وكنت معهم ، حول كتاب قصص للكاتـب يوسف اريخا تدور كلّها حول شخوص عربيّة (ومعظمهـم قروي وبدوي) ، ولا تصفهم إلاّ بصفات بعيدة عـن أن تكون إنسانيّة. أذكر منها مثلاً قصّة عربي جلس علـى

قارعة الطريق يبيع ثمار حقله، وكانت معه ابنته؛ وهي كَكُلّ البنات والأطفال تحبّ اللعب... فتسلّقت شجرة وسقطَت تتخبّط بدمائها حتى لفظَت أنفاسها وأسلَمَت الروح... يقول ذلك الكاتب انّ القروي ترك ابنته ملقاةً على الأرض ... وانصرفَ يبيع ثماره... ولم يفطن الى ابنته إلاّ بعد أن باع كلّ ثماره.

لا أذكر من أقاصيص ذلك الكاتب إلاّ هذه القصّة بشكل خاصّ لأنّها تصف العربي بصفات لا يمكن أن يوصف بها حيوان... فأنا ما زلت أتذكّر الكلبة التي دهسَت سيّارة جروها... لقد بقيَت قابعةً قرب جِيفته، لا يستطيع أحد الاقتراب منها، وإلاّ هَرّت عليه وكشّرت أنيابها . لا أدري كيف يبيح هذا الكاتب وغيره لأقلامهم أن تكتب هذه الصفات عن شعب عريق له أمجاده وتاريخه وآثاره حتى على اليهود وتراثهم.

يستعرض غانم مزعل في كتابه(نماذج) من الأدب العبري ، وبالتدقيق من القصص العبري ليؤكّد لنا أنّ هذا الأدب أُنشئ عن عمد وسبق إصرار على أنّ اليهود المتحضّرين المتنوّرين أبناء الشعب المختار يجابهون شعباً متخلّفاً متجرّداً عن كلّ قيمه. العربي عندهم جبان، العربي خبيث ومكّار، والعربي قذر ، والعربي متعطّش للدماء... والعربي... والعربي... حتى إنّك لا تجد صفة حقيرة إلاّ واستعملها أهل (الأدب العبري).

لقد أحسَنَ غانم مزعل في كتابه الذي نحن بصدده... فهو يلقي الأضواء على جانب هامّ من حياة بلادنا ـ ألا وهو: كيف تنظر الصهيونيّة أو الأدب الصهيوني الى العرب .

ومِمّا يؤسَف له حقّاً أن نجد هذا التوجُّه يشمل الكتّاب الصهيونيّين . ولم يسلم منه حتى الشعراء الصهيونيّون.

وإنّنا مع الأسف الشديد نجد ذلك التوجُّه يشمل الصهيونيّة يمينها ويسارها . وإذا كان ثَمّةَ فروق بين أهل اليمين واليسار فهي ضئيلة ... أو أنّها تشبه عسلاً قد دُسّ في سُمّ في أحسن الأحوال. بينما هي في اليمين سُمّ في سُمّ .

أمّا أولئك الأدباء والمفكّرون ـ الأنقياء المجرَّدون من كلّ غيّ ـ فهُم قِلّة لا يُحَسّ بهم في الأدب العبري، إلاّ عند الحَملة عليهم ووصفهم بالخيانة في أحسن الحالات ، وبالجنون في أسوَئِها . وليس بمستبعد أن يتعرَّضوا للملاحقة والتشهير ... والإيذاء الجسماني.

لقد كانت تحليلات الأستاذ غانم وردوده قَيِّمة. وهي تشكّل ، ولا ريب ، إسهاماً في تعريف القارئ العربي بما يجول في أفكار الأدباء العبريّين عنه. وهذا عمل جليل... ولكنّه غير كاف... فالقارئ العربي الذي يطالع عيون الأدب العالَمي يجب أن لا يكون بِمنأى عن الإنتاج اليهودي(المكتوب باللغة العبريّة أو بأيّة لغة أُخرى) ، الذي ـ شِئنا أو لم نشأ ـ يمسّنا في صميمنا، ونحن نشكّل عناصر هامّة في أشخاصه، وهو أخطر من الرصاص المصوَّب الى صدورنا... انّه إنتاج قريب مِنّا كثيراً ... بل أقرَب الينا من حبل الوتين.

انّ عمل الأستاذ غانم مزعل عمل قيّم ، يشكّل خطوَةً جَيّدةً على طريق يجب أن تكثر الخُطَى عليها ، حتى يكون العرَبي على بيّنة ، فيطّلِع على غَثّ الأدب اليهودي وسمينه.

القدس ١٩٨٥/٤/٤

عصام عباسي

المقدمة..

لا يستطيع احد ان ينكر انّ الحركة الصهيونيّة، وبعدها اسرائيل تعرفان عن العرب اكثر بكثير ممّا يعرفه العرب عن اسرائيل والحركة الصهيونيّة ، بل وعن أنفسهم . فالزائر لمكاتب الوكالة اليهوديّة ولدائرة أرشيفاتها يجد وثائق ومراجع ليس عن اليهود واليهوديّة أو عن الحركة الصهيونيّة وعن اسرائيل فحسب ، بل يجد وثائق ومراجع هامّة تتعلّق بالدول العربية وأحزابها وحركاتها ـ وعن فلسطين طبعاً ـ ؛ لذلك يلجأ الكثيرون من الباحثين العرب الى ملفّات الوكالة اليهوديّة ومكتبات الجامعات الإسرائيليّة عند إعدادهم دراسات وأبحاثاً تتعلّق بالقضيّة الفلسطينيّة او غيرها من القضايا .

ولعلّك اذا توجّهت الى عربيّ أو فلسطينيّ ممّن واكبوا الحركة العربيّة في الخمسين سنة الأخيرة ،لا يستطيع ان يقدّم لك المعلومات عن الجهات التي عمل فيها وأسهمَ في بعض نشاطاتها . ولعلّ العرب ، كما وصفهم بعض المؤرّخين ، انهم شعب لا يسجّل ولا يكتب ، ويعتمدون على الروايات المعنعنة فحسب .

وكان لِزاماً على العرب ، منذ أن لاحَت خيوط الحركة الصهيونيّة في فلسطين ، أن يكونوا مستعدّين لجمع كلّ المعلومات عن الحركةالصهيونيّة والشعب اليهودي، ولكن ، وبكلّ أسف ، لم يفعلوا ذلك . وإن فعلوه فقد

كان ذلك بلغات غير اللغة العربيّة . مِثلَما فعل نجيب عازوري في اوائل هذا القرن. حيث كتب آراءَه في الدعوة الى الوحدة العربيّة ومكافحة الأطماع الصهيونيّة باللغة الفرنسيّة وفي باريس، بعيداً عن العالَم العربيّ، وكما فعل جورج أنطونيوس في كتابه (يقظة العرب) الذي وضعه بالانجليزيّة ، بينما كان الواجب يقضي بأن يقوم المثقّفون العرب في تلك الأيّام بجمع المعلومات والوثائق والأوراق ، وإصدار المؤلّفات والكتب حولها.

صدر في العام الأسبق كتاب كبير باللغة العِبريّة اسمه (قاموس التخصيّات في فلسطين منذ ١٧٩٩ – ١٩٤٨) ويجد المرء فيه معلومات عن شخصيّات سياسيّة واجتماعيّة وأدبيّة وثقافيّة وفنّيّة مِمّن كانت لهم علاقة بفلسطين في هذه الحِقبة من الزمن.

لا نزعم أنّ هذا الكتاب كامل . ولكنّه محاولة قَيّمة لتسجيل سطور عن كلّ شخصيّة من هذه الشخصيّات ، ويلقي الضوء على جوانب غامضة.

اذا توجّهتَ الى شابّ يهودي يدرس الأدب العربي في إحدى الجامعات الإسرائيليّة يحدّثك بإسهاب عن مشاهير الكتّاب والشعراء العرب والقاصّين في مختلف مراحل الأدب العربي ، الأمر الذي قلّ أن تجد له مثيلاً في ما يتعلّق بالأدب العِبري في جامعات الوطن العربيّ، فهي هناك لا تزال تعتمد المصادر الأجنبيّة باللغة الإنجليزيّة والفرنسيّة وغيرهما، دونَ أن تكون لها المصادر الأصيلة .

وقد بدأ هذا الاهتمام الجِدّي – مع الأسف – فقط بعد حرب حزيران ١٩٦٧ . أذكر للرئيس الراحل جمال عبد الناصر أنّه قال في إحدى خُطَبِهِ انّه اطّلع على ما صدر في المكتبات الإسرائيليّة من مؤلّفات لباحثين يهود. لقد قال – طيّبَ اللهُ ثراه – انّ الإسرائيليّين يعرفون عن مصر والبلاد العربيّة أكثرَ

مِمّا يعرف العرب عن بلادهم هذه. وكان ذلك على أثـر اطّلاعه على كتاب عن الريّ في مصر، وضعه البروفيسور جبرئيل بير، وهو الذي وضع أيضاً كتاباً عن الحركة النقابيّة في مصر منذ أقدم الأزمان. وفي الواقع كانت هزيمة حرب حزيران من عام ١٩٦٧ حافزاً لِلانطلاق نحوَ دراسة عميقة لِلأدب العِبري والحركة الصهيونيّة، وكلّ ما يتعلّق بهما. وقد أسهمَ المرحوم غسّان الكنفاني إسهاماً كان من الممكن أن يتطوّر ويتقدّم، غير أنّه لقي حتفه باغتياله، وهو في أوج إقباله على عمله الجادّ المثمر.

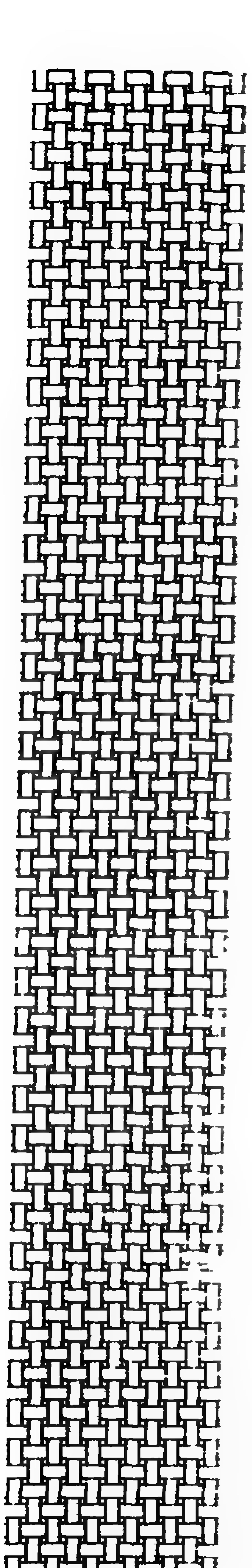
ولَعَلّي لا أُبالغ اذا قلت انّ اسرائيل الصغيرة استطاعت ان تهزم العرب في حرب حزيران وتزعزع اركانهم، لا لسبب ضعف العرب أو قوّة اسرائيل فحسبُ، بل لأنّ اسرائيل كانت كما قلنا سابقاً تعرف عن العرب تفاصيل أكثرَ مِمّا يعرفونه هم عن أنفسهم. لذلك كانت حرب ١٩٦٧ ضربةً موجِعةً، لكنّها أزاحت الغشاوة عن عيون المجتمعات العربيّة وهزّتها هزّاً عنيفاً ليصحُوَ العرب من سباتهم العميق، الذي كانوا يَغطّون فيه. ولست هنا لأشرح بالتفصيل اسباب الهزيمة العربيّة والتخلّف العربي .. ولن أتطرّق الى لَوم العرب لإهمالهم دراسة المجتمع اليهودي، بل لأؤكّدَ أنّ البدء بالشيء ولو كان متأخِّراً خير من تركه الى ما لا نهاية، كما يقول المثل العِبريّ. وكلّ ما أتمنّاه ان تستمرّ هذه الجهود لتعطيَ الثمر الطيّب. وبهذه المناسبة لا بدّ من ذكر حقيقة مميّزة لاسرائيل، وهي: انّ المراكز المختصّة بالمواضيع العربيّة والفلسطينيّة والاسرائيليّة في اسرائيل كثيرة، من أهمّها مركز (شيلوح) في جامعة تل - أبيب، ومركز (ترومان) و(فان لير) في القدس وغيرها من مؤسّسات أكاديميّة ورسميّة. وهذه المراكز والمؤسّسات على مستوى عالٍ، يفوق مستويات المراكز المشابهة في الدول العربيّة. هذه الحقيقة يجب أن تحفز الحكومات والجهات الأكاديميّة في البلدان العربيّة الى الاهتمام لرفع مستوى المراكز

القائمة بين ظهرانَيها.

وإن نَنسَ لا نَنسَ الجهود الفلسطينيَّة ومراكز الأبحاث والدراسات التي قدَّمَت مؤخَّراً دراسات عن المجتمع الاسرائيلي والشؤون الاسرائيليّة بنواحيها المختلفة، يشكل أثار استغراباً كبيراً بين الاسرائيليّين لوفرة المعلومات في هذه الأبحاث ودِقَّتها. غير أنَّ هناك ثغرات وفجوات تعود، ولا شكّ، الى عدم إلمام الباحثين الإلمامَ الكافيَ باللغة العِبريّة والييديش.

في أثناء دراستي في الجامعة العبريّة في القدس، وتخصُّصي في الساميّات والعلوم اليهوديَّة، شعرت أنَّ الأدب العِبري، ولا سِيَّما القصّة القصيرة والرواية، لا يزال مجهولاً حتّى لدى العرب في الداخل، وهم يجيدون اللغة العِبريَّة إجادةً لا غبار عليها. لذلك وجدتُ أن أقوم بمحاولة لتعريف القارئ العربي بجوانب من القصّة العِبريّة؛ وتعمَّدت أن آخذ موضوع الشخصيّة العربيّة في نظر الكُتّاب اليهود، مع تعليق يوضح الخلفيّات والملابسات، وهكذا يستطيع القارئ العربي أن يعرف كيف ينظر اليه هؤلاءِ الكتّاب، ويتعرَّف على التيّارات السياسيّة من خلال هذه النظرة.

صحيح انّ دراسة الإنتاج الأدبي أمر هامّ لدارسي الأدب في الجامعات؛ فلقد تعرَّف أبناء الجامعات العربيّة على آداب الشعوب، ولكنَّهم أهملوا الأدب العِبريّ، ولا سِيَّما المُعاصِر، إلاّ في نطاق محدود وضمن إمكانات ضيّقة. ونذكر في هذا الصدد الدكتور ربحي كمال، والدكتور حسن ظاظا اللذَين يُعتَبَران من روّاد تدريس اللغة والأدب العِبريّين فَي الجامعات العربيّة. ونذكر كذلك الدكتورة التونسيّة حياة جاسم والدكتور ابراهيم البحراوي.. وهم الذين قدّموا أعمالاً جَيّدةً في تعريف القارئ العربي بالأدب العِبري. وهذا أمر كان يجب أن



يبدأ منذ اجيال ؛ سِيَّما وأَنَّ الحركة الصهيونيّة واسرائيل موجودتان في هذه المنطقة منذ زمن ، وكان على العرب أن يعرفوهما.

وكلّ من يستعرض الأعمال ذات المستوى الأكاديمي في مختلف أنحاء العالم ، في أقطار الكتلة الشرقيّة والأقطار الغربيّة ، يجد فيها مدى الاهتمام الذي توليه كلّ دوله للإنتاج الذهني في الدول الأُخرى الصديقة والمنافسة. وعلى سبيل المثال، نذكر أَنَّ أَحد عشر أَمريكياً تخرّجوا في السنة الماضية بدرجة دكتور ، وكان تخصُّصهم في المواضيع السوفييتيّة (سوفيتولوج). وهذا الرقم ـ كما يؤكّد المطّلعون ـ أصغر من عدد الذين تخصّصوا في الماضي.

ولا ريب في أَنَّ الاتّحاد السوفييتي يهتمّ كذلك بتخريج المتخصّصين في المواضيع المتعلّقة بالدول المختلفة .. ونفيد المعلومات المتوفّرة عن الاتحاد السوفييتي أَنَّ في جامعاته ما يزيد على سبعة آلاف طالب ، يتخصّصون فقط في المواضيع الأَمريكيّة، الى جانب الاهتمام بمواضيع الدول الأُخرى. ويجري نفس الأمر في مختلف الدول الكبرى.

وتجدر الإشارة الى أَنَّ الولايات المتحدة ما اهتمّت بالأدب الياباني ، إلاّ بعد الحرب العالميّة الثانية، بعد أَن فوجِئَت بأَنَّ الأُكثريّة الساحقة من دوائرها تجهل الكثير الكثير عن الحياة اليابانيّة والعقليّة اليابانيّة والمجتمع الياباني ؛ لذلك وقفَت وِقفةَ المحتار في أَثناء الحرب العالميّة الثانية لا تعرف كيف تتصرّف مع اليابانيّين عموماً وجنودهم خصوصاً . كذلك لجأت الى الفئات القليلة جِدّاً من الأمريكيّين ، الذين كانوا على معرفة محدودة بالمجتمع الياباني، ولا سِيّما أساتذة الجامعات المتخصّصين.

انَّ الوضع المؤلم الذي نجتازه في هذه الديار ، سيصل

الى نهاية، ونأمل أن يسفر عن السلام والاستقرار. ولكن مع هذا يجب أن يكون العرب على بيّنة مِمّا أحاط بهم ويحيط . ولا بأس في أن يتعلّم العرب من تجربة اسرائيل وخبراتها؛ فهي التي اهتمّت ولا تزال تهتمّ بتاريخ الشرق الأوسط ـ حاضره ومستقبله الى درجة أنّها ترجمَت مواضيع مختلفة في الأدب العربي القديم والحديث الى جانب ما ترجمَته عن آداب الشعوب المختلفة في شتّى أنحاء العالم . ولم يكن هدفها من هذه الترجمات فقط الإمتاع الأدبي ، بل تعريف القارئ اليهودي بجيرانه العرب وبغيرهم من الشعوب .

ولا يقتصر اهتمام الدوائر الاسرائيليّة على طلاب الجامعات فقط؛ بل انّها تهتمّ بتدريس اللغة العربيّة ، واللهجة الفلسطينيّة الدارجة في مدارسها الابتدائيّة وخصوصاً في الصفوف الدنيا. وتهتمّ كذلك بإجراء أبحاث حول اللهجات العربيّة المختلفة المحلّيّة وعلى المستوى العربي.

ابحاث ميدانية حول رأي اليهود بالعرب

لعلّه من المفيد أن نقدم للقارئ شيئاً من الأدب العبري والقصّة العبريّة بشكل عامّ على لسان البروفيسور جرشون شاكيد، المحاضر في قسم الأدب العبري في الجامعة العبريّة. يقول البروفيسور شاكيد[1] ... ولدت القصّة العبريّة في الغربة * ، في أثناء المجابهة مع العالم الأجنبي . ولم يكن الأجنبي في عينيها مجرّد السخيف ، المهدّد . أو الساحر الخرافي كما هو في سائر الآداب ،بل الأجنبي في أدبنا يحطّم الأوعية والطقوس والأطر والتوقّعات المقبولة. زِد على ذلك .. فهو الجدار الذي تصطدم به الشخصيّة اليهوديّة في كلّ خطوة ومسرب ، حيث يقف أمامه البطل اليهودي يوميّاً وفي كلّ ساعة، وبموجب ذلك عليه أن يعطي حُكمه . وعندما وصلت القصّة العبريّة الى فلسطين حملت (الستيريوتيب) ـ الآراء المسبّقة التي كان يحملها اليهود عن الأجانب ـ كالصندوق الذي تحمله الحشرات . وكان السؤال الاجتماعي الأدبي : هل تعود وتزرع الستيريوتيب (الآراء المسبّقة) الذي نقلته معها من أنحاء الغرب في قلب الشرق؟ وهل سيكون هناء، وهذا هو الأساس، علاقات أقلّيّة مُلاحَقة تحمي نفسها، أو أكثريّة مُلاحِقة ومُهاجِمة، أو ربّما علاقات نحو أقلّيّة ـ متخلّفة ـ ومتدنّية الى أغلبيّة تسحره في خيوط ثقافته ؟

---

(١) جرشون شاكيد : لا مكان آخر ، ص ٦٧ .

* يعتقد اليهود أنّ انتشارهم في أنحاء العالم منذ السبي البابلي وبعده ، كان عَيش غربة ومنفى، وديدنهم كان دائماً الرجوع الى (أرض الميعاد) ، كما يقولون .

وهل سيكون هنا أيضاً استمرار بقاء أقلّيّة ملاحقة ومحصورة ، بينما العنف والسمّ والدفع والجلب تكون في هذه المجابَهات مع الغريب في تشابُك كثير التفسيرات .

ومن هذا الكلام نستطيع أن ندرك الخلفيّة التي حملها اليهود بشكل عامّ في هجرتهم الى فلسطين ، والكُتّاب ذَوو الثقافة معهم. فهذا التساؤل هو الذي أردنا أن نفسّره في كتابنا هذا.

وفي مكان آخر يقول البروفيسور شاكيد[1] ... انّ بين الكثيرين من الأجانب الممكن الالتقاء معهم هو العربي ، الذي يرد ذكره في أدب القصّة العبري في فلسطين، وليس غريباً أن يعود ويؤدّي في حياتنا ذلك الدور الذي أدّاه الغرباء في منافينا، على الرغم من أنّ شخصيّته تدحرجت وتحوّلت واتّخذت معنى آخر.

فِللسؤال : مَن هو العربي؟ أعطت القصّة العبريّة أجوبة مختلفة كثيرة.

أوّلاً ، وقبل كلّ شيء ، تستمرّ المتعة الأساسيّة من جنون العظَمة التي جُلِبَت الى البلاد وجلبها المهاجرون؛ إذ العربي حسب مفهوم القصّة هو الغريب ، ابن البلاد ، الذي تقف الأقلّيّة اليهوديّة معه في مجابَهَة دائمة. والمجابَهة ناجمة عن تعايش أقلّيّة وأكثريّة؛ تعايُش من طبعه أنّه لا يستطيع أن يكون تعايُشاً بسلام؛ إذ ما دام العربي ليس ابن الديار فقط ، إنّما مثّل المحيط المعادي كلّه. العربي هو استمرار المُلاحِق الذي جعل اليهودي مُلاحَقاً

ويستمرّ شاكيد ليقول[2] : ... انّ هناك أُدَباء عبريّين صوّروا العربي بالعربي التقليدي أي أنّه ساكن الصحراء ، راعي الجِمال، تستولي عليه دائماً غريزة الثأر والانتقام والشعور بالأصالة وحُبّ الأُبّهة والاعتزاز والشهرة ...

---

(1) جرشون شاكيد : لا مكان آخر ، ص ٦٩ .

(2) جرشون شاكيد : لا مكان آخر ، ص ٧١ .

ولعلّ هذه الصور كانت عالقة في أذهانهم قبل مجيئهم الى فلسطين متأثّرين بما قرأوه من قصص (ألف ليلـــة وليلة) وما شاهدوه من أفلام عنها.

ويذكر شاكيد في مكان آخر[(١)]: ... انّ مــن الكُتّاب مَن رأى في العربي ابن الديار الحقيقي، بل هو جزء لا يتجزّأ من هذه البلاد ، وما اليهودي إلاّ غريب عن هذه البلاد وهي غريبة عن طبعه. والعربي هــو كُـلّ الإيجابيّات التي تتوق اليها نفس اليهودي. والعربي كذلك هو نقيض كُلّ السيّئات التي جلبها اليهودي من البلاد التي قدم منها . ولقد رأى بعض الكتّاب في العربي أنّــه اليهودي الأصلي القديم الذي حَدَّثَت عنه التوراة والكتـب القديمة، اليهودي الدّمِث ، اللطيف، الطاهر، النقيّ ، قبـل أن يفسد . وبناءً على ذلك من المستحسَن أن ينصهــر اليهودي الجديد القادم في هذه البيئة...

ونتذكّر في هذا الصدَد أنّ لِدافيد بن غوريــون[(٢)] رأياً بأنّ بدو النقب هم بقايا من اليهود ؛ أي أنّهــم انحدروا من سُلالات يهوديّة قديمة. فلقد قال ذات مرّة عندما كان يتجوّل في صحراء النقب لِيهوشوع ماربيــن قائد منطقة النقب العسكري انّهم يشبهون الحسيديم* ... وتساءَل: ألا يمكن تهويدهم؟ ولعلّ بن غوريون استطـاب حياة البداوة البسيطة التي يحياها بدو النقب فرأى فيهـا شيئاً يذكّر باليهود القدماء ، أو لَعَلّه استهواه جَلَدهــم وتحمّلهم المشاقّ والصعوبات . ولعلّه أراد من جهة أُخــرى من تهويدهم أن يحلّ مشكلة أمنيّة كبرى .

---

(١) جرشون شاكيد : لا مكان آخر ، ص ٧٢ .

(٢) يديعوت أحرونوت (الملحق الأدبي) ٨٣/١١/١٨،ص ١٠ .

* الحسيديم: فرقة دينيّة يهوديّة عاشت في البـــلاد ، وعُرِفَ عنها تمسُّكها بالدين والفرائض الدينيّة.

وكذلك سبق لموشيه ديّان ، عندما كان وزيـــراً للزراعة أن فكّر في دعوة العرب في الرملة الى التهوّد.

كما أنّ المؤرّخة راحيل ينيليت بن تسفي (زوجــة الرئيس الثاني لدولة اسرائيل اسحق بن تسفي ـ وهـــو مؤرّخ أيضاً) تقول[1] : انّ قبائل البدو والليائنة فـــي منطقة البتراء بقايا قبائل يهوديّة قد تكون قبائل يهـود خيبر أو قبائل من سِبط يهودا. وكذلك ذكر جون ولسون المؤرّخ المعروف على حدّ تعبير راحيل بن تسفي أنّ أصل هذه القبائل يهودي ، لذلك يطاردهم أبناء القبائل الأخرى على حدّ قول راحيل بن تسفي.

والقارئ العبري بشكل عام لا يختلف عن قرّاء الشعوب الأخرى ؛ فهو يتّخذ الكلام الذي يقرأه في جريدة أو مجلّة أو قصّة أو شعر أو أيّ مصدر آخر حقيقةً مسلّماً بهـا، ولا حاجة الى إثباته . ويقتنع به اقتناعاً كاملاً. فإذا ناقشتَ اسرائيليّاً في موضوع من الموضوعات وأحسَّ أنّكَ ضايقتَه في النقاش ، أجابكَ بأنّ رأيه صحيح لأنّه مكتوب فـــي جريدة أو مجلّة أو كتاب. حتّى تمكّنت الظاهرة من خَلق روح التعالي والترفّع في نفوس القرّاء اليهود على غيرهـم من الشعوب ولا سيّما العرب ؛ لأنّ كثيرين من الكتّـاب والشعراء والساسة والصحافيّين الإسرائيليّين ، قد ربّـوا في القرّاء هذا التوجّه وغذّوه بالكلمة المطبوعة والمسموعة منذ بدء مسيرة الحركة الصهيونيّة ، وقد ركّزوا فـــي كتاباتهم على إظهار التفوّق اليهودي على غير اليهود. ومَن يقرأ الصفحات التالية ويطّلع على ما أوردناه من مواقـف واقتباسات من بعض القصص العبريّة ، يجد رائحة هـذا التفوّق تملأ إنتاجهم الأدبي وتدفع القارئ الموضوعــي والواقعي في كثير من الحالات الى التقزّز والاشمئـزاز ولكنّ هذه الموادّ وغيرها كانت كفيلة لتحذير القـارئ العبري من عدوه، بل واقناعه بأن عدوه الذي امامـه منحطّ وعلى ادنى درجات سلم الحضارة ، قذر وسـخ، جبان رعديد ،وغدار ، يتمسك بالقشور دون اللبـاب.

(١) قصص عبريّة من حياة العرب ، ص ١٠١ .

حتى سيطرت هذه الأفكار الى درجة كبيرة ودفعت الإسرائيلي الى الاستخفاف بالعرب وقدراتهم والاستهانة بهم والمغالاة في قتالهم ؛ لأنّه يقاتل أناساً لا يجوز أن يصنَّفوا في عِداد البشَر.

حتّى أولئك الكتّاب الذين ينتحلون لأنفسهم مبادئ اشتراكيّة أو يساريّة أو لِبراليّة لا يختلفون كثيراً عن ذاك الفريق ؛ فالظاهرة الإنسانيّة هناك مجرّد (دفع بَلاء) كي لا يتسموا بالرجعيّة والعنصريّة؛ ومع ذلك يستمرّون في النظر الى العربي على أنّه مخلوق من الدرجة الثانية أو الثالثة....

كما أنّ كثيرين من الكتّاب العبريّين كرّسوا جُلّ كتاباتهم في سبيل خدمة الحركة الصهيونيّة وتحقيق أهدافها ؛ لذلك تعمّدوا التشويه والإساءة الى العربيّ والشخصيّة العربيّة في كتاباتهم المختلفة؛ في حين كان يجب عليهم أن يسخّروا كتاباتهم في سبيل تحقيق السلام بين الشعبين ومحاربة التزييف والتشويه للعربي والشخصيّة العربيّة. وفئة كهذه ليست معنيّةً بالسلام. وكلمة (السلام) أو الألفاظ المشابهة التي تتشدّق بها ليست صادقة مخلصة في معظم الحالات.

ومن الجدير بالذكر أنّ هذا البحث وكلّ الأبحاث والمواضيع المشابهة بحاجة ماسّة الى بحث ضافٍ ودراسة عميقة للفكر اليهودي دينيّاً وثقافيّاً واجتماعيّاً وسياسيّاً وحضاريّاً . دراسة لا تترك جانباً من جوانب حياة اليهود ، دون أن تلقي عليه الأنوار الكاشفة. ومن هذا المنطلَق يمكن القول وبتواضع انّ لهذا البحث أهميّة لكلّ دارس وراغب في خَوض الميدان ، خصوصاً وأنّ الإسرائيليّين تركوا وما زالوا يتركون آثارهم المؤلمة البُغضة في حياة العالَم العربي. ولكنّنا في هذه العجالة لن نلمّ بتلك الجوانب ، مع أهميّتها، كي لا نبتعد عن الغرض الذي من أجله وضعنا هذا الكتاب. وسأحاول في ما يلي

أن أقدّم ملخّصاً يعطي صورة ما عن هذا المجتمع . وكي لا نتّهم بالتحيّز نترك لأقلام عدد من الإسرائيليّين المتخصّصين أن ترسم هذه الصورة دون تعليق إيجابي أو سلبي .

من المعروف أنّ المجتمع الإسرائيلي (اليهودي)، مجتمع يختلف عن كلّ المجتمعات الإنسانيّة التي تنشأ ضمن أوضاع اجتماعيّة واقتصاديّة خلال فترات تاريخيّة متعاقبة. فاليهود في اسرائيل أتوا من شتّى أنحاء المعمورة ؛ من غرب قديم عريق ذي حضارة قديمة أسهم فيها إسهاماً محسوساً ، الى شرق قديم عريق تميّز بالتخلّف والغيبيّة والتقاليد والروحانيّات وما الى ذلك . وقد اعتاد اليهود توزيع أنفسهم الى فريقين كبيرين هما : (الأشكناز) و(السفاراد) (١)

---

(١) الأشكناز: أشكناز تسمية أطلقت على ألمانيا ، ومن ثمّ على اليهود الذين سكنوا ألمانيا، ومن ثمّ على اليهود الذين هاجروا من ألمانيا وعلى نسلهم في البلدان المختلفة ... انّ ظاهرة تميّز اليهود الأشكناز كفئة حضاريّة خاصّة والتي تنتمي اليها أيضاً الطوائف اليهوديّة في فرنسا والدول السلافيّة نجدها منذ القرن الرابع عشر. في القرنين الخامس عشر والسادس عشر مع بداية هجرة اليهود الأشكناز من غرب أوروبا الى شرقها انتقل مركز ثقل اليهود الأشكناز الى بولندا. ومع مرّ السنين أخذ الفرق بين اليهود الأشكناز والسفاراد يزداد وخاصّةً في الطقوس الدينيّة وطريقة الحياة اليوميّة. ومنذ القرن السابع عشر تقريباً أخذ نجم اليهود السفاراد في الهبوط ، أمّا اليهود الأشكناز فقد ارتفع عددهم ومكانتهم . وقد بدأ الأشكناز بالانتشار في معظم بلدان غرب أوروبا وما وراء المحيط الأطلسيّ . وخلال عدّة أجيال أصبح عدد الأشكناز أكثر من عدد السفاراديّين . وفي نهاية القرن التاسع عشر ازدادت هجرة الأشكناز وخاصّةً من روسيا،

ولمّا كان اليهود القادمون من الغرب يتمتّعون بسبب تطوّر البلاد التي جاءوا منها بمستوى راقٍ من المعرفة والثقافة ، ويتأثّرون تأثّراً كبيراً بالحضارة الأوروبيّة وبمدارسها الفكريّة المختلفة ، لذلك كانوا يرون أنفسهم أرقى من إخوانهم اليهود الشرقيّين (السفاراديّين). يضاف الى ذلك توفّر المال والمفاهيم الاقتصاديّة لديهم . وكأنّما رضيَ اليهود السفاراديّون بالأمر الواقع وهو أنّ الأشكِناز أرقى وأغنى منهم ، فخضعوا لهم خضوعاً كبيراً الى درجة لا نستطيع معها أن نجد منهم قائداً مهمّاً في الحركة الصهيونيّة . واذا حدث وعثرنا على واحد منهم ، فإنّنا نجده يحتلّ مركزاً من مراكز الدرجة الثانية في قيادة الحركة ؛ وهذا يعني أنّهم دمًى يحرّكها قادة الأشكِناز.

ولندع الآن يوحنان بيرس* يحدّث عن الآراء في المجتمع الإسرائيلي في العرب .

– لذلك أصبح الأشكِناز الأغلبيّة العظمى من اليهود في أوروبا ، أستراليا، أفريقيا الجنوبيّة، الولايات المتّحدة وفلسطين. وفقط في ايطاليا وشمال أفريقيا والشرق الأوسط ظلّ السفاراديّون يشكّلون الأكثريّة . وقد شكّل اليهود الأشكِناز قبل الحرب العالميّة الثانية ٩٠٪ من يهود العالَم. العلاقة بين الأشكِناز والسفاراديّين تختلف من مكان الى آخر ؛ فمثلاً في هولندا وفرنسا رفض السفاراديّون قبول انضمام اليهودي الأشكِنازي اليهم. وفي أحيان كثيرة يمتنعون من الزواج من بعضهم.

السفاراديّون : تسمية تُطلَق على اليهود الذين عاشوا في إسبانيا حتّى سنة ١٤٩٢ وعلى نسلهم الذي انتشر في أجزاء العالَم المختلفة في ما بعد ؛ وخاصّةً في شمال أفريقيا ودوَل الشرق الأوسَط.

* الدكتور يوحنان بيرس يعمل محاضراً في جامعة تل – أبيب ، في قسم علم الاجتماع.

يقول يوحنان بيرس[1]: انّ موقف اليهود الإسرائيليّين من العرب الذين يسكنون البلاد لا يتقرّر فقط على أساس العلاقات المباشرة مع العرب، بل أيضاً على أساس الخلاف السياسي والعسكري؛ فالأقلّيّة العربيّة تشكّل رمزاً حيّاً للتهديد المُحيق بإسرائيل من وراء الحدود في نظر كثير من الإسرائيليّين.

أمّا بصدد علاقة كلّ فريق من الفريقين(الأشكنازي والسفارادي) فيقول: انّ المنطق السليم يقضي بأن يكون اليهود الشرقيّون الذين جاءوا من مجتمع شرقي ـ وهو في معظمه عربي ـ أقلّ تطرّفاً وحِدّةً، وأكثر إصراراً على قيام علاقات مع العرب، بالقياس الى الأشكِناز؛ لأنّ اليهود الشرقيّين والعرب ينتمون الى نفس الحضارة تقريباً. غير أنّنا نجد عكس ذلك في الواقع؛ إذ نجد الطوائف اليهوديّة الشرقيّة أشدّ رفضاً للعرب من الطوائف الأشكِنازيّة.

ومن الجدير بالذكر أنّ الفِئات المثقّفة من الأشكِناز أسبَق الى مصادقة العرب. ويتساءَل يوحنان بيرس عن سبب كراهية اليهود الشرقيّين للعرب وابتعادهم عنهم، ويجد لهذا التساؤل جوابَين محتَمَلَين:

أوّلاً: تراكُم ذكريات تاريخيّة عن تصرُّف العرب مع اليهود الذين عاشوا وإيّاهم.

ثانياً: انّ الابتعاد عن العرب والتحفُّظ منهم يعودان الى التشابه الحضاري المشترَك للعرب وللطوائف اليهوديّة الشرقيّة، أي أنّ هذا الابتعاد يعزّز القاعدة المشتركة بين اليهود الشرقيّين والغربيّين؛ وهكذا يُثبِت اليهود الشرقيّون انتماءَهم الى الشعب اليهودي.

وليؤكّد صدق التفسير الأوّل يسوق ما جاء على لسان بعض مَن أُجرِيَت معهم مقابلات من أبناء الطوائف الشرقيّة

---

(1) يوحنان بيرس: علاقات الطوائف في اسرائيل، ص ٩١ ـ ٩٦.

في هذا الصدد؛ فمنهم مَن قال: في الخارج، خـــارج اسرائيل، لم أحببهم(يقصد العرب). ويبقى هذا الشعـــور وهذا التوجُّه ...... العرب خلقوا المشكلات لليهـــود في العراق . ويقول يوحنان بيرس : لو كان تحفُّـــظ الطوائف الشرقيّة من قيام علاقات مع العرب نابعاً فـــي الأساس من ذكريات الماضي وترسُّباته ، فإنَّ لنـــا أن نتصوَّر أنَّ ذلك مع مرور الزمن سوف يقلّ ، وتـــزول ترسُّبات الماضي وذكرياته، لذلك نتوقّع أن يتقلّـــص الفارق بين موقف الشرقيّين وموقف الغربيّين من العـــرب مع تقادُم الزمن. ولكنّنا لا نلمس هذا في الواقع ؛ بل انَّ كراهية الشرقيّين آخذة في الازدياد .

وفي ما يلي نتائج استطلاع أُجريَ بين اليهود في سنة ١٩٦٥ حول التباعد الاجتماعي عن العرب ومدَى استعـــداد اليهود للتزاوُج مع العرب ، ومصادقتهم، ومجاورتهم.

الموقـــف

	مستعد بالطبع	مستعد	مستعد ولكن أفضل اليهودي	غير مستعد	غير مستعد بشكل قاطع	١٠٠٪	المجموع
زواج							
شرقيون	٠	٢	٦	٢٤	٦٨	١٠٠	١٩٥
اشكناز	٠	١	١٣	٢٩	٥٦	٩٩	١٤٣
كل العيّنة	٠	٢	١٠	٢٧	٦١	١٠٠	٣٣٨
صداقة							
شرقيون	٠	٤	٢٣	٣٤	٣٨	٩٩	١٩٥
اشكناز	٣	١٠	٢٧	٣٢	٢٧	٩٩	١٤٣
كل العيّنة	١	٧	٢٥	٣٣	٣٣	٩٩	٣٣٨
جوار							
شرقيون	١	٧	٣٢	٢٧	٣٢	٩٩	١٩٥
اشكناز	٤	١٢	٣٢	٢٧	٢٥	١٠٠	١٤٣
كل العيّنة	٣	٩	٣٢	٢٧	٢٩	١٠٠	٣٣٨

وعلى ضوء هذه النتائج يقول يوحنان بيرس : من هنا نرى أنّ ثمّة بُعداً كبيراً بين مواقف الأشكناز والسفاراديّين.

ومن بين المقابلات الكثيرة التي أُجرِيَت في أثناء الاستطلاع ، والتي رفض فيها الذين سُئِلوا العرب رفضاً قاطعاً نقتطف هنا بعض النماذج:

- ...... لا توجد عندي أيّة رغبة للتعرُّف على العرب عن كثب ؛ لَدَيّ من الأصدقاء ما يكفي .

- ...... أنا شخصيّاً لا ...... ولكن بالفعل أكرههم جِدّاً.

وكانت ثمّة فئة أُخرى لا تُظهِر الرفض تجاه العرب ، ولكنّها تقول انّ رفض العرب هو مقياس اجتماعي ملزم:

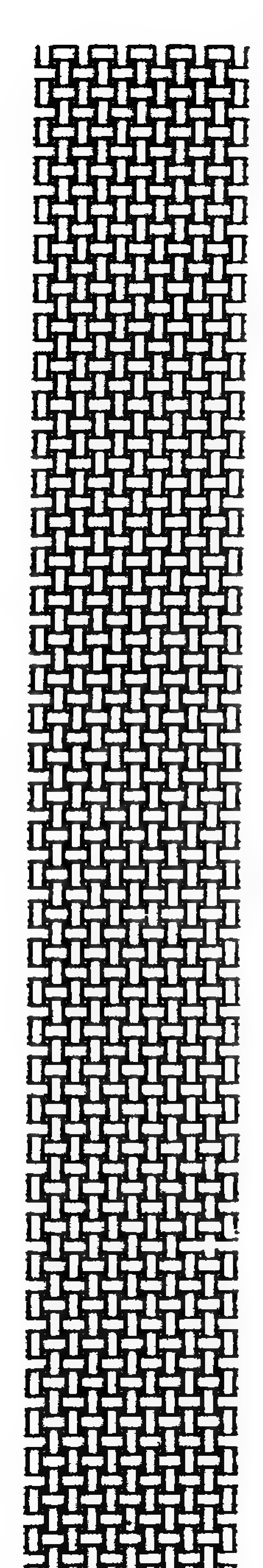
- ...... عندنا في العائلة لا يقبلون هذا أبداً. عربي ! الويل ثمّ الويل ! هذا هو ردّ الأبوَين.

- ...... من غير المعقول أن تكون في مجتمع عربي.

أمّا أولئك القِلّة الذين أبدَوا الرغبة في قيام علاقات مع العرب ، فكانت رغبتهم مقرونة بشروط أيضاً ؛ فقد قالوا : هذا يتعلّق بمستواه(مستوى العربي) ، لا أظنّ أنني أقبل قيام علاقات مع أيّ واحد. أمّا اذا كان على مستوى ، فإنّني مستعدّ ......

أمّا بخصوص تأجير شقّة فقد قال أحدهم: إن كنت أعرفه معرفة شخصيّة، وانّه إنسان مستقيم، فإنّي مستعدّ أن أؤجّره .

وفي ستّة استطلاعات أُخرى أجراها معهد البحوث الاجتماعيّة في الفترة ما بين حزيران ١٩٦٧ وكانون الأوّل ١٩٧١ ، واشتمل الاستطلاع على سؤال عن الاستعداد لقيام علاقات اجتماعيّة مع العرب فأظهر أنّ استعداد السكّان عموماً (في كلّ واحد من الاستطلاعات اشتركت



عيّنة تمثّل سكّان المدن ، يتراوح عدد كلّ عيّنة من ١٥٠٠-٤٠٠٠) لمصادقة العرب ارتفع بالنسبة لما كانت عليـــه الحال في السنوات السابقة بين الطلاّب الثانويّين.

أمّا في الاستطلاع الذي أُجرِيَ في تشرين الأوّل مـــن عام ١٩٧١ ، فكانت النتائج التالية بين الطلاّب الثانويّيـن الذين استُطلِعَت آراؤهم:

مستعدّ بالتأكيد (لمصادقة عربي)	٠/٠٣١
متردّد	٠/٠٣٤
غير مستعدّ	٠/٠١٦
غير مستعدّ على الإطلاق	٠/٠١٩
مجموع الذين استطلعت آراؤهم	٤٠٨٥

وفي استطلاع أُجري مع عيّنة من سكّان مدينة تـــل - أبيب تبلغ أعمارهم إحدى وعشرين سنة فما فوق، معظمهـم وُلد خارج البلاد وتعلّم هناك ، وفي استطلاع مع عيّنـــة ثالثة شملت جميع البلاد وتبلغ أعمار أفرادها سبعَ عشـرَةَ سنة ، وُلد معظمهم - أو تربّى - في البلاد ، نرى أنّ البُعـد الاجتماعي عن العرب لا يتقلّص في الجيل الثاني بالمقارَنة مع الجيل الأوّل ، بل نجد أنّ التفاوُت بين اليهـــــود، الأشكِناز والشرقيّين ، لا يزال ثابتاً إزاءَ العرب في مجال الزواج والمصادقة. أمّا في مجال المجاورة فإنّنا نجـــد أنّ التراجُع في الجيل الثاني أصبح واضحاً أكثر من قَبل :

الرافضون ٠/٠	جيل أوّل (سكان تل أبيب - يافا)			جيل ثانٍ (من جميع البلاد)		
	شرق	أشكناز	العرب	شرق	أشكناز	العرب
زواج مع العرب	٨٤	٧٦	٥	٩١	٨٥	٦
صداقة مع العرب	٩١	٨٠	١١	٧٢	٥٩	١٣
جوار مع العرب	٧٨	٥٣	٢٥	٥٩	٥٢	٧
مجموع الذين سئلوا	٢٤٦	٢٠٤		١٩٢	١٣٩	

وفي استطلاع أُجري بين الطوائف الشرقيّة في تل - أبيب، طُلِبَ الى الذين استُطِيعوا أن يشيروا الى نوعيّة لفظ من استطلعَت آراؤهم (القَصد لفظ حلقي ولفظ صبري. فاللفظ الحلقي هو لفظ الطوائف الشرقيّة ، أمّا اللفظ الصبري فهو لفظ الذين وُلِدوا في البلاد. والفرق بين اللفظين هو أنَّ أبناء الطوائف الشرقيّة يلفظون بعض الأحرُف بطريقة تختلف عن لفظ أبناء البلاد أو الأشكِناز. فمثلاً حرف الحاء يلفظه الشرقيّون حاء ؛ أمّا الصبريّون والأشكِناز فيلفظونه خاء. وحرف الراء يلفظه الشرقيّون راءً ، أمّا الصبريّون والأشكِناز فيلفظونه غيناً ......)، ولون الجِلد(غامق مقابل فاتح). في هذا الاستطلاع طُلب الى الذين أُجريت معهم المقابلة أن يعبّروا عن مدَى موافقتهم حول صِحّة بعض الجُمَل التي تُعَبّر عن آراء قديمة (ستيريوتيب) والموجَّه ضِدَّ العرب . ومن بين الجمل المقصودة ما يلي :

(العرب يفهمون لغة القوّة).

(يستطيع العرب أن يتقدّموا ، ولكن لن يصلوا أبداً الى مستوى اليهود).

آراء مسبّقة ضدّ العرب عند أبناء الطوائف الشرقيه حسب اللفظ ولون الجلد.

	العرب يفهمون لغة القوّة فقط		لن يصل العرب الى مستوى اليهود أبداً		
	أوافق	لا أوافق	أوافق	لا أوافق	المجموع
لفظ شرقي	٠/٠٨٩	٠/٠١٠	٠/٠٨٩	٠/٠١١	٩٩
لفظ صبري	٠/٠٨٤	٠/٠١٦	٠/٠٧٩	٠/٠٢٠	٤٢
لون غامق	٠/٠٩١	٠/٠ ٩	٠/٠٨٩	٠/٠١١	٦٨
لون فاتح	٠/٠٨٧	٠/٠١٣	٠/٠٧٧	٠/٠٢٣	٣٥

يقول يوحنان بيرس: نستطيع القول هنا انَّ التشابُه في المظهر الخارجي بين اليهودي الشرقي والعربي يزيد من العِداء ولا يقلّله. فالخوف يسيطر على الكثيرين من اليهود الشرقيّين، وذلك خوفاً من أن يفسَّر النقص الموجود عندهم، لَدَى المقارَنة مع الأشكِناز، بأنّه ناتج عن تأثير الثقافة الشرق أوسطيّة، أو خوفاً من أن يوضَعوا تحت صنف واحد مع العرب. وتظهر آثار هذا الخوف واضحةً في انطباعات جندي في الجيش الإسرائيلي في حرب حزيران: هرب[1] هذا الجندي من سيّارته العسكريّة الملتهبة بالنار وخسر ملابسه وسلاحه، أي خرج بدون ملابسه التي تميّزه وتدلّ على أنّه جندي اسرائيلي في ساحة المعركة. وبقى حافياً عارياً، وأخذ يزحف الى الشارع يطلب النجدة، له ولأصدقائه الجرحَى، وعندما وصل الى حافّة الشارع الرئيسي، كان يرفع يديه ويصرخ. ويقول: توقّفَت على مقربة منّي عربة مصفّحة ووجّه إلَيّ منها أحد الجنود الإسرائيليّين فوهة مدفع العوزي، وأخذ ينظر إلَيّ بدهشة ....

وسمع صوتاً مبحوحاً يقول: ما هذا! ويسمع جواباً: مصري بقي في الكلسون. وهنا استشاط الجندي الإسرائيلي طالب النجدة غضباً وقال: يلعن دينك؛ قال ذلك باللغة العربيّة. فسمع أَحد الجنود في العربة يقول: أَعطه صلية رشّاش وبهذا ينتهي الأمر. ويقول آخر: انه جيفة. ويقول ثالث: انه يتحرّك كإنسان حيّ، أَعطه رصاصة... أقول لك. ويقول الجندي في سياق القصّة: انني لم أَخَف لكنّني دهشت وغضبت. وفي تلك اللحظة انعقد لساني. انني أضع وجهي في الرمل، وطوابير سيّاراتنا تمرّ بدون انقطاع باتّجاه الغرب وترفض الوقوف. فالجنود لا يعرفون أَنّني واحد منهم... وبقيَت في فمي المسبّات والشتائم

(١) انظر تفاصيل القصّة كاملةً في كتاب (متساوون ومتساوون أكثر) للكاتب سامي ميخائيل، ص ٢٢١ .

فقط...... وفي النهاية وقفت دبابة ، وفجأة ينـــادي بالعربيّة جندي أشقر ذو شاربين شقراوين: (تعال لهون)، فأخذت أزحف وإذا بأحدهم يأمرني: انزل عن الشارع. فأجبته بالعبريّة: هل الشارع لك؟ فصاح الجميع : انـــه يهودي. وسرعان ما امتدّت الأيدي بلطف لتنتشلنـــي، وكان الجنود يقولون : احذروا انّه جريح.

ومن هنا نرى أنّ ابن الطوائف الشرقيّة بدون ملابسه العسكريّة يبدو عربيّاً في عيون الأشكناز . وهكذا فليس من المستبعد أن نعتقد بأنّ أبناء الطوائف الشرقيّـــة يرون في الحرب الطريقة الوحيدة لمحو الوصمة التـــي لحقت بهم، بأنّهم يشبهون العرب . لذلك ، فمن المتوقّـع أن يتصرّف الجندي اليهودي الشرقي بقساوة ووحشة مـــع العرب ومع الأسرى العرب في ساحات القتال؛ وهذا مـا تؤكّده الروايات .

ويقول ألوف هار إيفن[1] في كتابه (واحد من كُـلّ ستّة) : (يرى اليهود أنفسهم أقلّيّة بين العرب في الشرق الأوسط ، ومن جهة أخرى يرون أنفسهم أكثريّةً فـــي اسرائيل ، ويرون الفلسطيني داخل الخطّ الأخضر أقلّيّـة. ويضيف : هناك من الاسرائيليّين من يؤمن بأننا يجب ألاّ نعطي عرب فلسطين داخل الخطّ الأخضر حقوقهم التامّـة؛ لأنّ لهم إخواناً خارج اسرائيل يهدّدون كيانناً . فكيـف نمنحهم حقوقهم التامّة ونحن على هذا الوضع؟ وهناك مـن يرى أنّ مشكلة الفلسطينيّين مشكلة عربيّة بحتة ، وعلـى العرب أنفسهم أن يجدوا لها حلاً ، وليس ذلك الحلّ مـن اختصاص اليهود).

هذا؛ وفي بحث ميداني أجرته مؤسّسة (فان لير) في القدس ، بإشراف الدكتورة (مينه تسيمح) في سنة ١٩٨٠ حول موقف اليهود من الأقلّيّة العربيّة ، كانت النتائج أنّ

---

(١) ألوف هار إيفن : واحد من كلّ ستّة، ص ٢ - ١٢ .

هناك ثلاث فِرَق من اليهود تتباين في مواقفها من العرب . أمّا الفرقة الأولى فذات موقف سلبي وهي تشكّل ١٤٪ من المستَجوَبين . وتجدر الإشارة الى أنّ معظم هذه الفرقة مِمَّن تتراوح أعمارهم بين ١٨ - ٢٢ سنة ، كما أنّهم من أبناء القادمين من الدول العربيّة ، والمعتَبَرين من أنصار التكتُّل والحزب الوطني الديني . والفرقة الثانية وهي ذات مواقف إيجابيّة وتشكّل ١٣٪ ومعظمها من أصل غربي أو من مواليد البلاد ومن أصل غربي ، وتتمتّع بثقافة عالية ومن سكّان المدن التي يعيش فيها عرب . أمّا الفرقة الثالثة والتي تكاد تشكّل ٧٠٪ فهي تتخبّط في مواقف مختلفة بين الإيجابيّة والسلبيّة. ولَعلّ هذه الفرقة تتّفِق ، الى حدّ ما، في الصفات الإيجابيّة على أنّ العربي مجتهد، مخلص لعائلته، أمّا الصفات السلبيّة فهي أنّه قاسٍ ...... كما قال ٣٦٪ منهم انّ العربي قذر ، بينما قال ٦٤٪ انّه ليس قذراً وليس نظيفاً . ولكنّه مخلص لعائلته ؛ فلقد اتّفق على هذا ٦٩٪ ، وقال فقط ٨٪ انه غير مخلص . كما قال ٤٢٪ انّ حياة الإنسان في نظر العربي مهمّة ، أمّا ٣٣٪ فقالوا عكس ذلك . وقال ١٥٪ انّ عرب الخطّ الأخضر جواسيس ، وفي الوقت نفسه قال ٦٠٪ انّ بعض العرب جواسيس . وقد صرّح ٥٢٪ انّ العرب يغمرهم الفرَح عندما يصاب اسرائيلي بأذى . وقد قال أيضاً ٩٠٪ انّهم يؤيّدون تسامُح الأكثريّة مع الأقلّيّات في العالم . أمّا بالنسبة للعرب في اسرائيل فقد أيّد ٣٠٪ مِمَّن سُئِلوا عن منح العرب الحقوق المتساوية ، أمّا الذين يعارضونها ويعارضون المساواة مع العرب فتذرّعوا بمشكلات الأمن. كما أبدَى ٤٠٪ منهم موافقتهم للسكنَى مع العرب في بناء واحد . وأبدَى أكثر من النصف موافقتهم على قيام علاقات اجتماعيّة مع العرب، الذين يسكنون بين ظَهرانَيهِم ، و٦٠٪ يوافقون على العمل مع العرب سويّةً.

ويقول هار ايفن انّ الشباب الإسرائيلي يختلف عن الشباب في أنحاء العالَم ؛ وذلك لأنّ النظرة السلبيّة

الى العرب لا تزال عالية بينهم، اذا ما قورن الأمر مع الفئات الأكبر سِنّاً .

ويضيف هار ايفن أنّه في الوقت الذي يبدي طلّبة الجامعات والشبّان التعاطف والتأييد نحو الأقليّات، نجد العكس في اسرائيل ؛ حيث نجد طلاّب الجامعات والشباب يبدون المظاهر السلبيّة وعدم التسامح مع العرب . ويعزو هار - ايفن ذلك الى افتقار المناهج التعليميّة الى البرامج الخاصّة حول معاملة العرب الذين يشكّلون سُدس تَعداد السكّان في البلاد.

ولا شكّ في أنّ هار- ايفن مصيب في قوله: انّ الشباب الإسرائيلي يختلف عن الشباب في أنحاء العالم. ولكنّي أريد أن أضيف شيئاً مهمّاً ؛ وهو أنّ الشباب الإسرائيلي في معظمه ينزلق نحو اليمين ؛ بل نحو اليمين المتطرّف ؛ على عكس ما يحدث في باقي أجزاء العالم. وقد لوحِظَت هذه الظاهرة بشكل واضح على ضوء الانتخابات البرلمانيّة الأخيرة التي أجريَت في ١٩٨٤/٧/٢٣ في اسرائيل؛ إذ كان من نتائج هذه الانتخابات أنّ اليمين ازداد قوّةً في البرلمان الإسرائيلي بشكل ملحوظ. فحزب النهضة(هتحياه) بزعامة البروفيسور يوفال نِئمان قد زاد عدد أعضائه في الكنيست ، وهو اليوم ممثَّل بخمسة أعضاء* . وأكبر دليل على الانزلاق نحو اليمين في اسرائيل وصول العنصري الشوفيني الحاخام مئير كهانا الى البرلمان الإسرائيلي. ويجب الإشارة الى أنّ هذه الأحزاب اليمينيّة المتطرّفة قد حظيَت أيضاً بأصوات كثيرة بين صفوف الجيش الإسرائيلي ، الذي معظم أفراده من الشباب . هذا

---

* حزب النهضة(هتحياه) يتألّف من خمسة أعضاء كنيست ؛ هم: البروفيسور يوفال نئمان، رئيس الأركان الإسرائيلي السابق رفائيل إيتان ، غيئولا كوهين ، الحاخام الديني اليعيزر فالدمان ، جرشون شفاط

بالإضافة الى الأحزاب الدينيَّة المختلفة وحزب التكتُّل (الليكود) المعروفة باتّجاهاتها اليمينيَّة الواضحة.

وعلى أثر الانتخابات الأخيرة للبرلمان الإسرائيلي عقد في جامعة تل – أبيب مؤتمر[1] ضمَّ الكثيرين من المحاضرين في كلّيّة علم الاجتماع لتفسير وتحليل نتائج الانتخابات الأخيرة . وقد أجمع الحضور على أنَّ الشباب الإسرائيلي ينزلق الى اليمين فِعلاً.

يقول البروفيسور أفرايم ياعر ، وهو عالم نفساني اجتماعي ومدير معهد البحوث الاجتماعيَّة في جامعة تل – أبيب : تعبّر نتائج الانتخابات الأخيرة تعبيراً واضحاً عن تحوّلات متطرّفة استمرَّت حوالي خمسة عشر عاماً . فمنذ بداية الستّينات حدثت تحوّلات يمينيّة على التوجُّهات السياسيّة في اسرائيل ، ولا يدور الحديث هنا عن تحوّلات من اليسار الى اليمين ، فمن الناحية النوعيَّة أصبح اليسار الإسرائيلي أقلّ يساريّةً ، واقتربَت مواقفه من مواقف الوسط ، وأصبح الوسَط أكثر يمينيّةً ، كما أصبح اليمين أكثر تطرُّفاً . ويزداد بشكل مطَّرد حجم الفئات التي تعتبر نفسها يمينيَّةً ، أو التي تتعاطف مع التوجُّهات السياسيَّة اليمينيّة.

ولم يجد هذا التحوُّل تعبيره الواضح فقط في نتائج الانتخابات ، إذ تشير كافَّة استطلاعات الرأي خلال الخمس عشرة سنة الأخيرة الى هذه الظاهرة التي على الرغم من أنها بطيئة فإنّها تترك آثاراً واضحة على المجتمع الإسرائيلي ، ولم تفهَم بشكل جليّ إلاّ بعد فترة من الزمن. وسبق للدكتور يوحنان بيرس والدكتورة سارة شيمر أن نشرا بحثاً قبل فترة بعنوان (العامل الطائفي في انتخابات الكنيست العاشرة) ، وقد وصل الباحثان الى النتائج الآتية : انَّ العامل الطائفي لَمِن أكثر العوامل تأثيراً على التصرّفات السياسيّة للإسرائيليّين في مطلع الثمانينات . والعلاقة بين الأصل

---

(١) انظر تفاصيل هذا المؤتمر في صحيفة يديعوت أحرونوت (الملحق ليوم السبت) ١٠/٨/١٩٨٦ ص ٢ .

الطائفي والتصويت الانتخابي قد تطوّرت منذ الانتخابات الأخيرة ، وأصبح الانتماء الى إحدى الكتلتين الكبيرتين قائماً على أساس طائفيّ . وفيما اذا حاولنا دراسة تأثير العامل الطائفي مفترضين أنّ العوامل الأخرى متساوية بين الكتلتين ، فإنّنا سنجد أنّ الفرق سيكون لصالح كتلة الليكود، إذ ستتجاوز نسبة ٥٥٪ ، ولكن لم تتحقّق هذه النبوءة في انتخابات الكنيست الحادية عشرة ؛ حيث انخفضَت قوّة الليكود ، لكن في نفس الوقت ارتفعَت أسهُم الاتّجاهات اليمينيّة في اسرائيل بنفس النسبة التي تنبّأ بها الباحثان .

وأشار البروفيسور أشير ايريان الى أنّ هنالك ثلاثة عوامل ديموغرافيّة متغيّرة تؤثّر على نتائج الانتخابات وهي الأصول الطائفيّة، السنّ ، والقِدَم في اسرائيل . ويتّسم مؤيّدو الليكود بالأصول الشرقيّة ـ من آسيا وأفريقيا ـ ويعتبَرون بشكل عامّ صغار السنّ . أمّا مؤيّدو التجمّع فهم من أصول أوروبيّة ، وكُهول ، وقُدَماء في اسرائيل. وبما أنّ السكّان ذوي الأصول الشرقيّة يزدادون عدداً بشكل ملحوظ ، فمن الطبيعي أن يتضخّم المعسكر اليميني الذي يؤيّدونه. وفي بحث آخر أجراه البروفيسور يوحنان بيرس وياعر وشوفاط بعد انتخابات عام ١٩٧٣ ما يعزّز النتائج التي توصّل اليها ايريان ، فهم توصّلوا الى نتيجة هي أنّ المجموعات السكّانيّة المتزايد حجمها في اسرائيل تصوّت لصالح الليكود ، بينما المجموعات السكّانيّة المؤيّدة للتجمّع آخذة بالتضاؤل ؛ لذا فإنّ التطوّرات الديموغرافيّة في اسرائيل تعمل لصالح اليمين .

لِكُلّ ما ذُكر أعلاه يوجد انعكاس على الصعيد اليوميّ لوجهة النظر في معاملة اليهود السكّان العرب . وهذه ظاهرة خطرة ستعطي أكلها السيّئ.

والسؤال ؛ ما هو موقف الأدب والأدباء من هذا؟

والجواب على ذلك سهل لأنّ الأدباء بشر ، يقعون

تحت تأثير الوضع العام المسيطر، ويعيشون مع أبناء الدولة أو الأمّة ؛ ومن هنا تتأثّر آراؤهم فيما يعرضون له من قضايا ومشكلات، وقد يكون تأثّرهم بهذا التوجّه جُبناً فيهم، قصداً أو التزاماً بموقف السلطة الحاكمة صاحبة هذا التوجّه. ومعظم الكتّاب والأدباء لا يعيشون في برج عاجيّ بمعزل عمّا حولهم وعمّا يجري في أوساطهم. وكثيراً ما يكونون الصوت المعبّر، سواء كان الأدباء واقعيّين أو خياليّين، فإنّنا نجد بعضهم لا يصدرون في ما يكتبون إلاّ عن تعصّب قومي، أو ينساقون وراء أصحاب السلطة في بلادهم. على أنّ منهم الموضوعيّ المعتدل، الذي لا ينساق وراء الدعايات الرخيصة، والشعارات الزائفة والتحريض. ولكنّ هؤلاء قد يصطدمون بتعنّت السلطات ومقاومتها، وقد يتعرّضون لغضب الجماهير بتحريض من السلطات.

ولا يختلف الأدباء الإسرائيليّون اختلافاً جوهريّاً عن زملائهم من أدباء الشعوب والأمم الأخرى، إلاّ في أمر واحد ؛ وهو أنّه ليس لديهم أدب اسرائيلي عريق ذو تاريخ طويل ؛ وهذا يعني أنّ الأدب الإسرائيلي المعاصر ليست له جذور عميقة، كما هي الحال عند الشعوب الأخرى. ومن هنا نجد أنّ الأدب الإسرائيلي، قد اختلط بآداب الشعوب الشرقيّة والغربيّة، وأخذ من مختلف المدارس الأدبيّة الأوروبيّة حتّى إنّنا نستطيع أن نصف الأدب الإسرائيلي، أنّه أدب مترجَم عن آداب أخرى، مضافة اليه ملامح ذات صبغة دينيّة يهوديّة أو صهيونيّة، كما أنّ لغة هذا الأدب لم تكن لغة واحدة ؛ فعلى سبيل المثال نجد القادمين الجدد من أوروبا الشرقيّة، يكتبون أدبهم في أكثر الأحيان بلغة(الييدش) * ، بينما لم تتخذ العبريّة لغة للأدب عند اليهود، إلاّ مع بداية هذا القرن، بعد أن جمّدت وتحجّرت مدّة لا تقلّ عن ألفي سنة.

---

* الييدش : لهجة تكلّم بها اليهود الأشكناز . وهي مزيج من لغات مختلفة.

ومهما يكُن شكل الأدب اليهودي في فلسطين واللغة التي كتب بها فالطابع المميّز له كان الطابع الصهيوني والديني. وكانت المشكلة العربيّة اليهوديّة جوهر هذا الأدب. غير أنَّ الأدباء الإسرائيليّين اختلفوا في مواقفهم من هذه القضيّة حسب انتماءاتهم الحزبيّة والسياسيّة؛ فكان ثَمَّةَ تيّار اليمين، واليمين المتطرّف، واليسار. وكان كذلك ما يمكن تسميته بالتيّار المعتدل. وكانت الشخصيّة العربيّة دون شكّ مدار اهتمام هؤلاء الكتّاب، وعاملاً مشترَكاً في جلّ ما قدّموه في أثناء وجودهم في فلسطين. وكانت لكُلّ أديب ـ ولا تزال ـ نظرته الخاصّة الى العرب وحياته وعاداته ومجتمعه. ومنهم مَن عرف العربي على حقيقته فصوَّر حسناته وسَيِّئاته، ومنهم مَن أغمض عينيه عن حسناته وأبرزَ سيّئاته لإظهار العربي متأخّراً متخلّفاً. ولعلّنا لا نتجاوز الحقيقة اذا قلنا انَّ معظم ما كتب قبل عام ١٩٤٨ لم يكن نتيجة صلة وثيقة بالعرب أو معرفة بحياتهم، وعاداتهم، وأخلاقهم. ولعلَّ الكتّاب اعتمدوا على ما قرأوه في الكتب والصحف، وما اجتمع لديهم من آراء مسبّقة خاطئة عن العرب. وكان معظم الكتّاب اليهود في فلسطين، قبل قيام (دولة اسرائيل) وبعده من المهاجرين، وهذا ما يؤكّد صدق قولنا. وسواء انقسم الأدباء اليهود الى يمين، ووسط ويسار أو لم ينقسموا فإنّنا نجد الخطّ الصهيوني هو الغالب على هذا النتاج، الذي يتميّز بالنظرة المتعالية ويتّسم بالسخرية والاستخفاف بالعرب واعتبارهم سُذَّجاً وبُسَطاء. أمّا الذين نظروا الى العرب نظرة منصفة أو متّزنة، فيها شيء من الاحترام، فكانوا قِلَّةً؛ وهذا ما سنحاول أن نبيّنه في هذا البحث.

لذلك لا بدّ من تقسيم العلاقات بين العرب واليهود الى مراحل يمكننا على ضوئها أن نتعرّف على إنتاج الأدباء اليهود في فلسطين:

في فترة ما قبل ١٩٤٨ عاش العرب واليهود معاً منذ أقدم الأزمنة في أقطار مختلفة حياةً بعيدةً عن الحروب والاقتتال، ويمكن أن نقول انَّ العلاقات كانت حسنة جِدّاً حتّى إنَّ اليهود تبوّأوا مناصب عالية في كثير من الأقطار العربيّة. وتحدّث كتب التاريخ عن حياة اليهود في فلسطين، في العهد العثماني، وتذكر لنا مثلاً حاييم فارحي الذي تولّى خزينة الجزّار قبل أكثر من مئتي سنة، ولم يَبدُ من اليهود طيلة الفترات الماضية ما يوحي بتطلّعاتهم نحو إقامة كيان لهم في فلسطين، إلاّ منذ نشأت الحركة الصهيونيّة. وسرعان ما تسرَّبَت هذه الفكرة الى اليهود المقيمين في فلسطين، ولا سيَّما ذوي الأُصول الغربيّة (القادمين من الغرب)، ولكنّها لم تشمل في كثير أو قليل اليهود أبناء البلاد، أو اليهود الشرقيّين. ولكنَّ هذه الفكرة أخذت تنتشر رويداً رويداً، حتّى جعلت العرب يشعرون بخطر ينتظرهم.

وهكذا نجد أنَّ الحياة الهانئة الرتيبة، التي كانت بين العرب واليهود في العهد العثماني، أخذ صفوها يتعكّر، ولا سيّما بعد أن امتدّت الأيدي الصهيونيّة الى القرى العربيّة، ومضارب البدو لتمتلك الأراضي، وبالتالي تطرد أهلها منها، الأمر الذي استفحل في أواخر العهد العثماني، فدفع السلطات العثمانيّة الى كبح جماح الثورة والاستعمار اليهوديّين؛ لذا نجد الأدب العبري، ولا سيّما القصّة، يتطرّق الى حياة البدو والقرويّين والأفنديّة(تلك المصطلحات كثُر استعمالها في الأدب العبري في ذلك الوقت)، أمّا غير هذه العبارات فقلَّ أن نجد منه في الأدب العبري في تلك الآونة شيئاً. ولا رَيبَ أنَّ العرب لم يكونوا على مستوى اجتماعي مثل المستوى الاجتماعي الأوروبي، الذي شاع فيه التعليم، والتطوُّر الاجتماعي؛ ولكنَّ هذا لا يعني أنَّ مستوى العرب كان متدنّياً الى حدّ يبعد تصوُّره، كما حاول بعض الكتّاب اليهود أن يظهروه

مهوّلين ومضخّمين النواقص التي كانت تبرز هنا وهناك في الحياة العربيّة.

لقد كان ذلك المجتمع العربي في فلسطين كأيّ مجتمع إنساني، يتطوّر تطوّراً طبيعيّاً، ويمرّ بمراحل لا بُدّ من المرور فيها، ليسير الى الأحسن والأفضل. ولا ننسى أنّ الحُكم العثماني لم يساعد على الإسراع في هذا التطوُّر. هذا؛ بينما كان المجتمع الأوروبي قد قطع مراحل مهمّة على طريق التطوُّر الاجتماعي، واستطاع أن يتخلّص من الإقطاع ليتحوّل الى مجتمع برجوازي يعتمد في حياته على الصناعة الآليّة.

وفي غمرة التعالي اليهودي على العرب في البلاد، ولا سيّما تعالي الكتّاب اليهود، كانت تظهر عناصر تبتعد كثيراً عن التعالي والسخرية والازدراء، وكانت تنظر الى العرب نظرة تتميّز بالإيجابيّة؛ وفي هذا يقول غسّان كنفاني[1]: (... أغلب الظنّ أنّ هؤلاء القاصّين (الموضوعيّين) وخاصّة يزهار سميلنسكي وبنيامين تموز، ليس بمقدورهم عمليّاً أن يحمّلوا العرب مسؤوليّة جرائم هتلر، كما حاول اوريس (أكسودس ـ ص ٣٨)، وهم لا يواجهون على صعيد شخصي ضرورة تقديم مبرّر للهجرة، لأنّهم كانوا يعيشون في فلسطين قبل ١٩٤٨، وقد مارسوا في السنوات التي سبقت القتال، وأثناءه علاقات من نوع ما، مع العرب سواء أكانت علاقات مواجهة عنيفة أو علاقات اجتماعيّة. ولا شكّ في أنّ مثل هذه العلاقات قد جعلتهم يعيشون أحداث القضيّة الفلسطينيّة على حقيقتها، ويطّلعون على وقائعها. وهم لا يواجهون بإلحاح متطلّبات الدعاية الخارجيّة.).

(لقد نشأ عن جميع هذه الضغوط اضطرار للرضوخ الى الحدّ الأدنى من الموضوعيّة أكثر ممّا تتطلّب الظروف الأخرى التي كتب فيها عمالقة الأدب الصهيوني أعمالهم).

---

(١) غسّان كنفاني : في الأدب الصهيوني، ص ١٩٤ .

غير أنّ فكرة الوطن القومي اليهودي تبلوَرَت مع تزايُد الهجرة اليهوديّة الى فلسطين. وبفضل الحرب العالميّة الثانية ، تبلوَرَت فكرة الوطن القومي بشكل أصبحت فيه مطالبة الحركة الصهيونيّة بقيام دولة يهوديّة في فلسطين أمراً مفزعاً ومخيفاً بالنسبة للعرب ، الذين كافحوه وقاوموه بكلّ قواهم. وفي مؤتمر (بلتيمور) اتّخذت الحركة الصهيونيّة، وبتشجيع ومباركة الولايات المتّحدة، قراراً بالسعي لإقامة دولة يهوديّة ، الأمر الذي كان يدعمه حزب العمّال الإسرائيلي (مباي) وتتردّد إزاءَهُ الأحزاب الصهيونيّة من اليمين والوسط ، بينما تعارضه بعض الأجنحة اليساريّة مثل (هشومير هتسعير) ، التي دعت الى قيام دولة ثنائيّة القوميّة . وانعكس هذا التحوّل أيضاً على الحزب الشيوعي الفلسطيني ، الذي قاد موقفه هذا الى نشوء خلاف عميق في كوادره العربيّة واليهوديّة، أسفر عن انقسام الحزب .

وكان للحرب العالميّة الثانية أثر كبير في إيجاد نوع من العطف على اليهود، ولا سيّما بعد المجازر التي ذهب ضحيّتها الملايين منهم، في معسكرات الاعتقال النازيّة في أوروبا . وأجادَت الحركة الصهيونيّة استغلال هذا العطف لصالحها كي تكسب عطف المجتمعات العالميّة لفكرة قيام الدولة اليهوديّة ودعمها، الأمر الذي انتهى الى اتّخاذ قرار التقسيم سنة ١٩٤٧ .

لسنا هنا في صدد استعراض المآسي التي حلّت بالبلاد بسبب الحرب الفلسطينيّة سنة ١٩٤٨ وما أسفر عنها من تشريد للشعب الفلسطيني عن دياره، الأمر الذي لا تزال آثاره بادية للعِيان الى اليوم. وكلّ ما نستطيع أن نقوله انّ كِياناً جديداً نشأ في المنطقة وُجِدَت فيه دولة أُطلِق عليها(اسرائيل)؛ هذا الكيان الذي ظلّ معزولاً عن جيرانه عزلة تامّة، ولم يكن له من صلة بينه وبين العالم الخارجي إلاّ البحر الذي كان يأتيه بالمهاجرين من كلّ حدب وصوب ،

حتّى صار اليهود الأكثريّة الساحقة في البلاد، وأصبح العرب أقلّيّة لا يُعتَدُّ بها ، وعاشت معظم سنوات وجودها في ظِلّ الأحكام العسكريّة ومصادرة الأراضي والاضطهاد القومي، ونسبة المثقّفين بين ظَهرانَيهم تكاد تكون منعدمة بسبب نزوح الأهلين الى الأقطار المجاورة.

وجابهت الحركة الصهيونيّة والسلطات الإسرائيليّة بشكل خاصّ مشكلاتٍ جِساماً كان على رأسها موضوع صَهر المهاجرين اليهود الجدد من مختلف أنحاء العالم في بوتقة واحدة ، لتحويلهم الى شعب واحد، متراصّ، له لغته وأدبه وثقافته .

ولم تتوقّف الصهيونيّة حتّى هذا اليوم عن خلق هذا الشعب ، ومع ذلك لا تزال الفوارق بين اليهود الشرقيّين واليهود الغربيّين قائمة. وحتّى في الأدب لم يقم ما يدلّ على نشوء أدب يمكن أن يوصف بأنّه اسرائيلي. ولعلّ الأمر الوحيد الذي يوحّد الكتّاب اليهود الى حدّ ما ، هو استغلال الشخصيّة العربيّة استغلالاً سلبيّاً ، حتّى عند الكُتّاب الذين يتمتّعون بنظرة إنسانيّة ؛ فلا يختارون لقصصهم إلاّ شخوصاً من المجتمعات القرويّة أو البدويّة. وكانت نظرة التعالي على العرب من السمات المشتركة بينهم. هذا الى جانب الفكرة التي روّجت لها الحكومات الإسرائيليّة المتعاقبة بين الكتّاب من أنّ اسرائيل محاطة بالأعداء من كلّ صوب ، وليس أمامها غير البحر. وعليها أن تحميَ نفسها قدر المستطاع ، وتجابه أعداءَها. ولم تتورّع هذه السلطات عن اتّهام العرب المقيمين في اسرائيل ، بأنّهم طابور خامس لا يؤتمن جانبه، وقد اتّخذت السلطات احتياطات أمنيّة مشدّدة ومتنوّعة خصوصاً في المناطق المجاورة للحدود مع الدول العربيّة ، فأُحيطت المستوطنات الإسرائيليّة بالأسلاك الشائكة ، كما مُنع العرب منعاً باتّاً من زيارة قراهم ومدنهم التي نأوا عنها على الحدود، مثل صفد وطبريّا وغيرهما. ولا يزال حتّى اليوم أهالي

كفر برعم وإقرث يطالبون بالرجوع الى القريتين اللتين أُبعدوا عنهما لأسباب أمنيّة، كما تدّعي السلطات. واليهودي في الغالب يقبل بقول السلطات أو ينصاع لتوجيهاتها، ولا سيّما في ما يتعلّق بالأمن. ولقد أدّى هذا الوضع الى تزايُد تحامُل اليهود على العرب، وقوّى الروح الشوفينيّة. ولذلك فالمُراجع للقصص العبري، في فترة ما بين ١٩٤٨ - ١٩٦٧ يجد إلحاحاً من الكتّاب اليهود على تصوير العربي في أبشع صورة ممكنة، متأثّرين في ذلك بما تركته الحرب الفلسطينيّة من آثار على أغلب السكّان اليهود، وبالتخوُّف من اعتداءات الدول العربيّة على الدولة الناشئة. ولعلّنا لا نبالغ إذا قلنا: انّ العربي كان يبدو في القصص العبري كابوساً مزعجاً مخيفاً، تسيطر عليه نزعات الشرّ والعدوان، ويهدّد كيان اسرائيل وحضارتها. إذ كثيراً ما قال ربابنة الحكم: انّ اسرائيل هي واحة في صحراء الشرق العربي. ومن الطبيعي أن يولّد هذا الجوّ في الأجيال الناشئة التي تعيش حياتها اليوميّة على الدعاية الرسميّة، وعلى قصص الكتّاب، وشعر الشعراء، بما تتضمّنه من التحذير من الأخطار المحدقة، فمن الطبيعي أن يولّد مثل هذا الجوّ عند الإسرائيليّين رغبةً في الحياة العسكريّة دفاعاً عن أنفسهم، ممّا جعل الشابّ اليهودي ينخرط منذ نعومة أظفاره في ما يسمّى (بالجدناع) و(الناحل)[1] والفرَق العسكريّة الأخرى. وبسبب الخوف الذي زُرِعَ في نفوس الشباب اليهود من جيرانهم العرب، أصبحوا يتقبّلون فكرة الخدمة العسكريّة لمدّة ثلاث سنوات حال انتهائهم من مرحلة التعليم الثانويّة.

---

(١) الجدناع والناحل: من الأُطُر التنظيميّة للشبيبة اليهوديّة ما دون سنّ الثامنة عشرة، أي قبل الانخراط في الجيش؛ حيث يتدرّب الشباب في هذه الأُطُر على استعمال الأسلحة، والعمل تطوّعاً في المستوطنات المختلفة من أجل دعمها.

ولعلّ الدول العربيّة قد ساعدت الى حدّ ما في تنمية مشاعر الخوف هذه، حتّى لم يعد أمام اليهودي الناشئ غير أن يحسّ بأن ليس أمامه إلاّ البحر، إذا أراد الهرب وغير الاستبسال في مجابهة العدوّ المحيط به من كلّ صوب إن أراد البقاء. ولذلك عندما نشبت حرب١٩٥٦ تمكّنت القيادة الصهيونيّة من حشد الألوف من الجنود في المعركة التي عرفت بمعركة السويس، كما استطاعت أن تحشد في وقت قصير فِرَقها العسكريّة المتطوّرة عندما خاضت حرب حزيران سنة ١٩٦٧ ؛ الأمر الذي أسفر عن احتلال أجزاء كبيرة من البلاد العربيّة.

وكان من نتائج حرب حزيران ١٩٦٧ أنّ كثيرين من اليهود أصبحوا يحسّون أنّ قيادتهم تسير بهم من نصر الى نصر وتعود عليهم بالمكاسب التي لم يكونوا يحلمون بها . ومن شأن ذلك أن يربّي في الأجيال الناشئة عن طريق وسائل الإعلام المختلفة ، وعن طريق الإنتاج الأدبي القصصي والشعريّ روح التفاخُر والتعالي والنظر الى الطرف الآخر على أنّه حقير المستوى. وبالفِعل فإنّنا نجد كثيراً من الإنتاج العبري يعكس نشوة الانتصار الجنوني الذي حقّقه الجيش الإسرائيلي في هذه الحرب (١٩٦٧) . وبرزَ هذا الاتّجاه بشكل خاصّ في الشعر العبري ؛ إذ إنّنا نجد القصائد الطوال والقِصار ، التي تمجّد جنرالات الجيش مثل ديان ورابين وغيرهما. وعلى سبيل المثال نذكر الشاعرة العبريّة المعاصرة نعمي شيمر التي نظمت قصيدتها المشهورة ، والتي يتغنّى بها الكثيرون من اليهود في كلّ مكان ، وفي كلّ مناسبة ، ألا وهي أغنية (القدس من ذهب) (يروشلايِم شِل زَهاف) . وقد اتّسمت قصائدها بروح العداء للسلام. انّ هذا الأدب يمجّد الروح العسكريّة والحضاريّة الإسرائيليّة ويزخر بالاستهزاء بالعرب لتخاذلهم في ساحة الحرب .

ومن جهة أُخرى فقد كان من نتائج حرب ١٩٦٧ أيضاً

الاتّصال بين اليهود وعرب الضفّة الغربيّة وقطاع غـــــزّة وهضبة الجولان، بشكل لم يسبق لإسرائيل أن عرفته. وهال الإسرائيليّين أن يروا بأمّ أعينهم أعداداً كبيرة مـــــن المتعلّمين والمثقّفين، وهم الذين تعوّدوا أن يسمعوا عـــن العرب أنّهم متأخّرون متخلّفون رُعاة إبل وشاء. وفوجئوا بأنّ النهضة التعليميّة والثقافيّة قد شملت كلّ الفئات، ولا سيّما الفقيرة والكادحة، والنساء أيضاً. الأمر الذي لـــم يكن مألوفاً لديهم قبل سنة ١٩٤٨. ودهشوا عندمـــا رأوا الفلسطيني في الضفّة والقطاع لم يعد يتعلّم فقط مِهـــــن المحاماة والطبّ والهندسة في صورها التقليديّة، بل اتّجـه الى العلوم التقنيّة التي سيكون لها شأن كبير في الحيــاة المعاصرة. من هنا فقد نشأ اتّجاه عقلاني بين أوســـاط يهوديّة؛ ذلك الاتّجاه الذي يبدي تفهّماً للواقع المُـــرّ الجديد. وقد أبدى هذا الاتّجاه استياءه من واقع التمجيد للزُمرة العسكريّة، وإبراز اليهودي بطلاً في جميع الميادين، واحتقار العربي.

اننا نرى كثيرين من المثقّفين والشعراء والكتّـــاب الذين رفعوا صوتهم يشجبون الاتّجاه الشوفيني المذكـــور سابقاً. ومن بين هؤلاء المفكّر البروفيسور يشعياهـــــو لايفوفيتش، والشاعر يتسحاك ليئور، ياعيل غرينفينـــد، دالية رافيكوفتش وآخرون.

ولعلّنا اذا راجعنا أخبار الأيام التي سبقت حـــرب ١٩٦٧ نجد أنّ الأصوات التي ناهضت الحرب كانت أصواتاً قليلة، تشمل الشيوعيّين وأنصارهم، وهم قِلّة في المجتمَـع اليهودي، كما تشمل أفراداً من المثقّفين نذكر منهـــم البروفيسور يشعياهو لايفوفيتش؛ الذي اتُّهِمَ بالخَــــرَف والجنون، عندما رفض الحرب، وأنكر أنّها سبيل لإحلال السلام. بل أوغل في انتقاده للسياسة الإسرائيليّـــة الرسميّة. ولكنّ الأوضاع التي مرّت بإسرائيل بعد تلـــك الحرب قد زعزعت الثقة العامّة بالسياسة الرسميّة، وأخـذت

الأصوات التي تعارض السياسة الإسرائيليّة تتزايـــــد، وتبدّى ذلك بشكل محسوس بعد حرب رمضان ١٩٧٣ التي يمكن اعتبارها نقطة تحوُّل ثبت فيها أنَّ النصر لا يكـون دائماً حليف جانب واحد، وأنَّ في وسع المنتصـــــر أن ينتصر مرّةً ومرّتين وثلاثاً ، ولكنّه لا يضمن أن يبقـــــى النصر حليفه الى الأبد . وبعد أن كانت المطالبـــــة بالحلول السلميّة المنطقيّة وقفاً على قلّة من الناس فقـــــد تصاعدت هذه المطالبة بشكل واضح وصارت تشمل أوساطاً غير تلك التي ذكرناها آنفاً ؛ فنشأت حركات مختلفة، وأحزاب تطالب بالتغيير والسلام الناجز. انَّ حرب١٩٧٣ جعلت الكثيرين من الإسرائيليين يصطدمون بصخـــــرة الواقع لتنقشع عن عيونهم وأنفُسهم غشاوة النصر الـــــذي اعتادوه وعاشوا فيه سنواتٍ طويلةً. ولذلك عاد الكثيرون الى صوابهم فنشأت مثلاً حركة(السلام الآن) (شلـــــوم عَخشاف) التي تحوّلت مع الأيام الى حركة شعبيّة ، ذات قاعدة واسعة. ومن الطبيعي أن تتزعزع ثقة أقســـــام كبيرة من اليهود في اسرائيل ، بالسلطة التي أمسكـــــت بزمام الأمور منذ قيام الحركة الصهيونيّة ، ولكنّها لـــــم تجد أمامها إلاّ اليمين الذي يتجلّى في الليكود. ولعلّهـــــم في ذلك كانوا يعتقدون أنَّ بيغن ورفاقه يستطيعون أن يعيدوا الى الشعب اليهودي ثقته بنفسه ويُخرجوه مـــــن الأزمات التي اجتاحته . وفي الوقت نفسه تصاعدت قوى أُخرى وتنامت ، ولكنّها حتّى اليوم لم تتمكّـــــن مـــــن أن تتبلوّر وتتوحّد لتصبح قوى فعّالة . ولا شكّ في أنَّ هـــــذه الأوضاع والتغييرات قد تركت آثارها على الإنتـــــاج الأدبي العبري ؛ فأصبح بعض الأدباء أكثر تطرُّفاً فـــــي تعصُّبه القومي ، بينما ازداد الاتّجاه العقلاني الداعي الى السلام ومقاومة الحرب . وهكذا نجد أمامنا تيّارَيـــــن؛ أحدهما يحثّ على إخضاع العرب نهائيّاً ، وثانيهمـــــا تيّار يمكن أن يوصف بالعقلانيّة ؛ وهو الذي يعمل مـــــن أجل إحلال السلام . وبين هذين التيّارَين تيّار ثالـــــث

ما يزال أفراده يكرّسون الوضع الذي كان قائماً قبل خمسين عاماً أو يزيد . على أنّنا نجد بين الحين والآخر بعض القصص التي لا تزال تنظر الى العرب نظرة الاستعلاء والازدراء. ولكنّنا نشعر أنّه رُبّما تكون هناك فئة غير قليلة لا تزال تنطلق من وجهة نظر واقعيّة، تتّسم بشيء من العقلانيّة والاستعداد لسماع أقوال الفريق الآخر ووجهة نظره ومناقشتها وقبول بعضها. ومنهم مَن لا يتردّد في الوقوف بوضوح في قصصهم الى جانب العربي مدافعين عن حقوقه.

وهناك طبعاً كتّاب أقلّ ما يقال فيهم : انّهم أبواق للسلطة الحاكمة، والصهيونيّة. هدفهم إقناع القارئ العبري بأن لا جدوى من التفاهم مع العرب إذ ليس أمامَ العربي إلاّ الرضوخ لِما تمليه عليه الصهيونيّة ، وأنّ العرب لا يفهمون إلاّ لغة القوّة.

ويجب ألاّ ننسى بأنّ الاستيطان الذي كان مجرّد فكرة بعيدة عن التطبيق أصبح بعد احتلال الضفّة الغربيّة وقطاع غزّة والجولان حقيقةً عمليّةً في هذه المناطق ووسيلة ناجعة عن طريق إقامة أرض اسرائيل الكاملة ، الأمر الذي تجلّى في إقامة المستوطَنات في مختلف أجزاء المناطق المحتلّة ، وانعكس هذا كلّه في القصّة العبريّة ، وتميّز بتطرُّفه المحسوس . ولا يسلم هذا النوع من الأدب (المتعلّق بالاستيطان) من التطرُّق إلى شخصيّات عربيّة؛لا سيّما السماسرة الذين عملوا كوُسَطاء من أجل تسريب الأراضي الى اليهود عن طريق بيعها تارةً ، أو اغتصابها بالتحايُل على أصحابها في أكثر الأحيان.

ومن الأمور البارزة أيضاً تحويل السلطات الحاكمة حِرابها الى الفلسطينيين ومنظّماتهم أكثر من تحويلها الى الدول العربيّة ، كما كان في السابق. وبرز هذا بشكل خاصّ بعد زيارة السادات للقدس ، وتوقيع اتّفاقات (كامب ديفيد) والخروج بفكرة الحكم الذاتي(الأوتونومية)

.. ولعلّ الصواب لا يجانبنا اذا قلنا انّ المعسكرَيـــن: التجمُّع العمّالي(همعراخ) والتكتُّل اليميني(هليكـــود) لا يختلفان كثيراً حول هذه الاتّفاقات إلاّ في بعض المواقف؛ ويسعى كلاهما الى إظهار الفلسطينيين بصورة المخرّبين ، والحثّ على مقاومتهم بغير هَوادة. والقارئ العبري عموماً، يقبل دون نقاش كلّ ما يقرأه ، ويعتبره أمراً مسلَّماً به؛ بل ينصاع اليه انصِياعاً . فقد تعوَّد أن تنتصر حكوماتـه المتعاقبة في الحروب وفي المجالات السياسيّة. وعلـى الرغم من ذلك ، وعندما أصبحت تلك السياسة والتصرُّفات تمسّ اليهودي الإسرائيلي في صميم حياته وتؤدّي الـى تدهوُر البلاد الاقتصادي وسقوط القتلَى والجرحَى ، نجِـد الحركات المناهضة لتلك السياسة لم تعد مجرَّد حركـات اجتماعيّة تظاهُريّة ، تكتفي بالشعارات ، بل صـــارت حركة واسعة أكثر فعاليّة ؛ فنشأت بعد حرب لبنـان ، وفي أثنائها ، وقبلها حركات بين الجنود والأهالي مِمَّـن يحضّون على رفض الخدمة العسكريّة في المناطق المحتلّة، والاشتراك في حرب لبنان، والخدمة العسكريّة فيـه؛ فنشأت حركة((هناك حدّ) و(الآباء ضِدّ الصمت) . وفـي السجون الإسرائيليّة عدد من الجنود والضبّاط لا يستهـان به على الرغم من قلّته.

كلّ ذلك يدلّ على تحوُّل عن الطريق القديم ، الـذي استولى على التفكير العامّ في الوسَط اليهودي . ولا يعنـي هذا القول أنّ أصحاب الفكرة القديمة تنازلوا عن فكرتهم .. وعلى سبيل المثال انّ عاموس عوز الذي كان فـي الماضي يمينيّاً متعصّباً ، تحرَّر مؤخَّراً ، وصار مِمَّـن يشتركون في مظاهرات (السلام الآن) ويبدي وجهـات نظر مخالفة للوجهة التي كانت غالبة على أدبه . وكذلـك نجد أنّ (موشيه شمير) الذي بدأ حياته الأدبيّة قبـل قيام الدولة قد تحوّل من اليسار(مبام) الى أقصى اليمين ، فأصبح صاحب شعار أرض اسرائيل الكاملة من النيـل

الى الفرات ، في عداد حزب النهضة(هتحياه) . وهو يزداد كلّ يوم تطرُّفاً ينعكس في ما يكتبه من إنتاج أدبي . واذا رجعنا الى كرّاسة يهوشفاط هركابي (موقف اسرائيل من النزاع الإسرائيلي العربي)[1] نجد أنّه يقسم المواقف من العرب الى قسمين متناقضَين تماماً ؛ أوّلهما: فريق الصقور ، والثاني : فريق الحمائم. وفي كرّاسته هذه ، يصف موقف الحمائم بأنّه الموقف الليّن المتسامح الداعي الى الحلّ الوسط والسلام، ويحاول جاهداً تضييق شقّة الخلاف وتطويقه، بينما يصف موقف الصقور بأنّه الموقف القومي المتطرّف ، الذي لا يرى للخلاف العربي الإسرائيلي أيّة نهاية؛ بل يراه أبدياً الى ما شاء الله. ومنطلَق الصقور هو الحقّ التاريخي لليهود على أرض اسرائيل . ويعتقدون ـ جازمين ـ أنّ العرب ـ عاجلاً أم آجلاً ـ سيسلّمون بهذا الحقّ ، وسيتنازلون عن البلاد لليهود.

حقّاً انّ هذه النزعة(الصقور) نزعة مبعثها الاستِعلاء، والشعور بالكِبرياء ، والاعتِقاد بأنّ الانتصار اليهودي ، لم يكن فقط لأفضليّة اسرائيليّة بل لمميّزات أخلاقيّة؛ أي أنّ في اليهود روحانيّة تميّزهم وتجعلهم يتفوّقون وينبغون أكثر من غيرهم . (والغريب أنّنا نجد أناساً من هذا القبيل بأعداد كبيرة بين اليهود الشرقيين) . وفئة تحمل هذا التوجُّه لا يمكن أن يهديها تفكيرها الى أنّ ميزان القوى قد يتغيّر لغير صالحها، ولذلك من الصعب عليها أن تتراجع عن نظرتها المتعالية، وعن تأكُّدها من أنّ النصر حليفها دائماً . وغريب أن نجد فريقاً يهتدي بهذا الهَدي ويفكّر بهذه الطريقة على الرغم من أنّ معظم اليهود قضَوا الشطر الأكبر من حياتهم خارج هذه البلاد ، ومع شعوب أُخرى، ولكنّهم لا يزالون متسربلين بالسربال

---

(١) يهوشفاط هركابي: موقف اسرائيل من النزاع الإسرائيلي العربي ، ص ١٦ .

الديني الروحاني ، متمسّكين بما في نفوسهم من تطلّع الى هذه البلاد سواء كان الوازع دينياً أو علمانياً . كما أنّهم لا يسلّمون بأنه كان لأرض اسرائيل (فلسطين) أيّة مكانة مرموقة في التاريخ العربي مثل ما كانت عليه في التاريخ اليهودي . وتؤمن هذه الفئة بأنّ لغة القوّة هي التي تحكم العلاقات بين الشعوب ، وترى أنّها تقوم على أساس المصالح المشتركة والقوّة، وتعتقد أنّ العرب إذا انتصروا فسيعاملون اليهود بقسوة. وهم يزعمون أنّ العرب الذين أقاموا في الجهة اليهوديّة (اسرائيل) يتمتّعون بحقوق المواطن ، أمّا الجاليات اليهوديّة التي كانت تقيم في الدول العربيّة فلم يبقَ منها شيء .

أمّا الحمائم ، فيرون أنّ تاريخ العلاقات اليهوديّة العربيّة مليء بالمناسبات التي سنحت واتّسمت بالتعايش السلمي بين العرب واليهود. ولكنّها ضاعت . وكان في وُسع الإسرائيليين ألاّ يفوّتوا عليهم تلك الفُرَص ؛ لذا فهم يتحمّلون مسؤوليّة ضياعها وتفويتها. ويضيف هركابي : (انّ السبب في عدم أخذ وجهة النظر هذه بالاهتمام اللائق يعود الى عدم جِدّيّة الموقف العربي، هذا الى أنّ أصحاب هذا الموقف كانوا يخفّفون من وطأة التهديدات العربيّة بالتشريد والرمي في البحر .

ويواصل هركابي القول: (انّ مَن يميل الى قبول أنّ التهديدات العربيّة هي مجرّد أقوال لِلاستهلاك المحلّي، وأنّ العرب لا يقصدون تطبيقها، لأنّ اليهود هم شعب مختار على درجة عالية من التحضُّر والتقدّم ، ولا يمكن للعرب أن يفكّروا في إبادة هذا الشعب المختار، الذي يتمتّع بصفات إيجابيّة كثيرة ، في تفكيره نوع من الغرور).

وهذه الفئة صاحبة الموقف الليّن تشعر أنّ من واجب (اسرائيل) أن تسعى جاهدةً للوصول الى طريقة يمكن بوساطتها ـ أو من خلالها ـ التأثير على العرب لعقد

الصلح معها، وهي تلقي مسؤوليّة الفشل في بلوغ السلام المرموق على عاتقها لأنّها لم تبذل كلّ الجهود للوصول الى ذلك. وفي رأي هذه الفئة أنّ اسرائيل، التي استطاعت أن تتغلّب في حروبها على العرب، يمكنها كذلك أن تصنع السلام. وهذا النوع من الإسرائيليّين لا يقرّون بأنّه لا يوجد مجال للتوصّل الى السلام، بل انّهم غير مستعدّين لقبول هذا المستحيل. فهم يتّهمون أنفسهم بتفويت الفرص؛ وكأنّهم يقولون: لو كنّا حقّاً طيّبين لكان السلام في متناول أيدينا.

غير أنّ هركابي يقول: انّ لهذه الفئة تطلّعات ورغبات إيجابيّة ولكنّها، كما يراها، مصابة بنوع من العمى أو انعدام الرؤيا لأنّها ترى الصراع، وكأنّه صراع وهمي، ولم ترَ عُمق الخطر العربي. كما تُتّهَم هذه الفئة بأنّها تفسّر كلّ ما يوجّه اليها من نقد، بأنّه موقف متطرّف معاكس.

هذا؛ ويقول هركابي: (انّ هذا التيّار يمتاز بِوَرَع ذاتيّ، وصفات أخلاقيّة؛ فهو يوجّه النقد المبالَغ فيه الى اسرائيل، ويشعر بعدم الراحة من استمرار الصراع، وانّ ذلك قد يؤدّي في النهاية الى التصريح بأنّ العدوّ (العربي) على حقّ ونحن اليهود على ضلال. ومن هنا نشأت عقدة الشعور بالذنب، هذا الشعور الذي نجد له براعم في الأدب العبري الحديث. ويتمثّل بالاعتراف صراحةً أو تلميحاً بالأعمال المجحفة الظالمة التي ارتكبَتها فئات اسرائيليّة، بممارستها مع العرب، أو باستِغلال التفوّق الإسرائيلي على السكان العرب المحلّيّين، غير المتكافئين مع الإسرائيليين، أو بالإشارة الى مظاهر عربيّة، وخصال يتحلّى بها العرب، مثل إكرام الضيف؛ الأمر الذي أثبته العرب في تعاملهم مع جيرانهم اليهود. فلقد ردّ اليهود على تلك الخِصال الخَيّرة بالشرّ. لذلك تشعر هذه الفئة بتأنيب الضمير لدمار المجتمع

العربي، الذي انسجم مع البلاد وطبيعتها ، ومدّ له جذوراً في الأرض ، فجاء اليهود وأقاموا مجتمعاً مصطنعاً وغريباً وغير منسجم ، ولعلّه كان من الممكن لظواهر الشعور بالذّنب أن تكون أوسع وأعمق . ولكنّها لم تكن كذلك بسبب التناقض بين هذه الظواهر من جهة ، وتصرّفات العربي من جهة أخرى. فالموقف الوحشي واللاإنساني الذي يوصف به العرب ، والذي وقفوه إزاءنا لم يسمح لمثل هذه الظواهر أن تنمو وتكبر ، ولا سيّما عندما تجد العربي قبيحاً في تصرّفاته وأعماله. ومن الممكن أن يؤدّي الشعور الذي يولّده الصراع الإسرائيلي العربي الى المبالغة في اتّهام الذات ، وبالتالي تبرير تصرّفات العرب في صراعهم مع اسرائيل . كما أنّ الشعور بالذنب قد يغذّيه عدم الشعور بالراحة ، وخيبة الأمل من الإنجازات التي تمّت في اسرائيل. انّ الحركة الصهيونيّة ، ولا ريب ، لم ترغب ــ طبعاً ــ بإرجاع اليهود الى البلاد فقط. بل طمحت أيضاً الى بناء مجتمع مثالي نموذجي يمكن الاقتداء به اجتماعيّاً وثقافيّاً . غير أنّ البون الشاسع بين الطموح، وما أُنجز فعلاً ، وعدم الارتياح للوضع الداخلي على الصعيدين الاقتصادي والسياسي ، وعدم الوصول الى إنجازات ممتازة في حقلَي العلوم والآداب . كلّ ذلك أدّى الى ازدياد النقد الذاتي . انّ الأمور التي ذكرناها آنفاً ــ مجتمعةً ــ قد تؤدّي الى عدم الرضى الذاتي ، الأمر الذي يؤدّي الى كراهية الذات (كراهية الإسرائيلي لنفسه) ويصل الى حدّ توبيخ الضمير ، وتوبيخ السياسة الإسرائيليّة مع الأقلّيّة العربيّة توبيخاً شديداً . هذا كلّه أوجد الشعور المعاكس ؛ وهو الإيمان بحسن نوايا العرب وأنّهم لا يريدون القضاء على اسرائيل، وإنّما يرمون الى حلّ مشكلات بعض اللاجئين . انّ باستطاعة هذه المؤثّرات ا٣١ اجتمعت معاً أن تولّد الاستعداد بالتقليل من المجهود الأمني والتنازلات الكبرى ، والتي أنعتها أنا شخصيّاً بأنّها انتحار (حسب رأي هركابي).

القصص ذات الميول الواقعية والانسانية

انّ قصّة (الأسير) (هشفوي) للكاتب يزهار سميلنسكي تستحقّ البحث والدراسة ، فهي تتحدّث عن راعٍ عربيّ يدعى حسن أحمد أسَرَته فرقة عسكريّة اسرائيليّة، بينما كان يجلس تحت شجرة يتفيّأ ظلالها في يوم صيف قائظ ويرقب قطيع أغنامه وهو يرعى باطمئنان، ودون أن يكون معه سلاح . لقد داهمه الجنود ، فقرّر أن يهرب منهم، ولكنّ الجنود أحاطوا به من كلّ جانب وأسَروه . في هذه القصّة يصف الكاتب بدقّة ما تعرّض له الأسير من تنكيل في إحدى غرف التحقيق ؛ حيث كانت المعاملة سيّئة للغاية، وكان المحقّقون يَكِيلون له الشتائم والإهانات ويصفونه بالكذّاب ، ويقابلونه بالسخرية والاستهزاء كلّما طلب منهم (سيجارة) ليدخّنها. وقد تعرّض هذا الأسير لكثير من الأسئلة التي كشفت أجوبته عليها عن سذاجته ، بل وغَبائه.

ولا ندري الدافع الحقيقي الذي جعل الكاتب يسرد أجوبة هذا الراعي ؛ أتراه يريد أن يظهر للقارئ غَباء الأسير وبساطته، أم انّه يريد أن يستثير في نفسيّة القارئ الشفقة عليه ، أم يحرّض على استنكار المعامَلة القاسية التي عامله بها المحقّقون . انّ سميلنسكي يبدو في هذا الفصل من القصّة (فصل التحقيق) كأنّه يرغب في وصف الحادثة ، والتحقيق، وكأنّهما وصمة عار في جبين أولئك المحقّقين ، وبأنّها عار على الذين يدّعون أنّهم تربّوا على مبادئ احترام الإنسان والإنسانيّة؛ فهو يسخَر من طريقة التحقيق لأنّ المحقّقين كانوا يوجّهون أسئلة تضطرّ الراعي الى الكذب عند الإجابة عنها ؛ فقد وجّهوا اليه أسئلة محيّرة يعجز عن الإجابة عنها، ليجدوا مبرّراً لضربه وتعذيبه . وفي هذا يقول سميلنسكي: (....

انّ طريقتهم في التحقيق كانت تجرّه الى تلقّي الضربات سواء كذب أم صدق»[1]، وبعد هذا التحقيق يقرّر القائد نقله الى معسكر آخر للجيش ؛ حيث يجرَى التحقيق هناك مع الأسرَى بشكل مكثّف ويقوم به رجال مختصّون، وتأتي سيّارة، وتنقله معصوب العينين الى المعسكر يرافقه عدد من الجنود . ويستغرق أحد هؤلاء في التفكير بالأسير ووضعه ؛ فمنظره وهو ملقّى على أرض السيّارة يثير الكثير من التفكير في مخيّلته، ويخاطب نفسه في حِوار داخليّ : «... يجب أن نوقف السيّارة ونطلق سراح هذا الأسير . وهكذا ستكون النهاية نهاية مختلفة...»[2].

انّه يرغب في أن يدعه يذهب في سبيله؛ وبهذا يضع حَدّاً لتعذيبه . بل انّه يرغب حتّى في أن يحذّره من الجنود اليهود المنتشرين على الطرقات المؤدّية الى بيته «... هنا توقف الجيب الى جانب الوادي، وينزل الرجل ، وترفَع العِصابة عن عينيه ، ونوجّهه نحو الجِبال ونقول له: اذهَب الى البيت أيّها الإنسان . سِر باتّجاه مستقيم الى هناك . احذَر تلك التلّة فإنَّ عليها عدداً من اليهود . حذارِ أن تقعَ في أيدينا مرّةً أُخرى. وعند ذلك يرجع هذا الرجل الى بيته . انّ امرأته وأولاده ينتظرونه بفارغ الصبر في بيته ... فزوجته ـ ولا رَيب ـ قلقة خائفة تتساءَل: هل سيرجع؟ ولا بُدّ أنّها ستفرح عندما تراه سالماً . انّها ستشعر بالراحة... هَيّا فلنطلق سراح هذا الرجل ! لِمَ لا ؟ مَن يؤخّر هذا؟ يجب أن تكون منطقيّاً ، إنساناً ... انهَض وأوقِف السيّارة . ... هذا الأمر في يدك هذه المرّة . أمر هذا الأسير يعذّب ضميرك. أنزِله من السيّارة وهكذا تنقذه . حياته هذه المرّة في يدك...»[3]. وفي أثناء

(١) يزهار سميلنسكي: أربَع قصص ، ص ١٢٩ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٣٢ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٣٣ ـ ١٣٤ .

الطريق تساوره أفكار مختلفة منها أن يقول للسائق: (قف.. قف أيّها السائق. أطلِق سراح الرجل. لا داعيَ لتقديم المبرّرات . هذا حقّه ، وهذا واجبك . اذا كانت لهذه الحرب لَذّة ، فلذّتها ستظهر الآن (بعد إطلاق سراح الأسير) أيّها الإنسان، كُن إنساناً وأرسِله الى بيته. استهزئ بهذا الظلم النازل به. دَع هذا الراعي يعود الى زوجته وأولاده الذين أصبحوا جِياعاً ، ولا يعلم أحَد ما يعانونه الآنَ، وأين سيكونون . واجبك أن تتوقّف. لا مفرّ من هذا الواجب. لقد أصبح جَلِيّاً واضحاً ، ولقد أصبح من الصعب أن تنتظر حتّى تقرّر ماذا تفعل...)[1].

ولكنّه يصحو الى نفسه ويتساءَل: (... كيف أستطيع، ليس الأمر في يدي. لا، لا . هذا غير صحيح، لست صاحب الأمر. أنا مجرّد رجُل ينفّذ الأوامر، وليس عليّ ذنب في ما أصابه . منذ متى أصبحت مسؤولاً عن قسوة قلوب الآخَرين؟)[2]. وينتابه صراع آخَر : (... كَفَى! هذا تهرُّب حقير ، وهكذا يتهرَّب كلّ حقير ويجبن عن اتّخاذ القرار المناسِب ، ويتستَّر وراء شِعار - لا خيار -. أين احترامك لذاتك؟ أين استقلاليّة فكرك؟ أين الحرّيّة ومحبّة الحرّيّة؟ ... أطلِق سراحه. بل على العكس كُن مستعدّاً لتدفع الثمن عن ذلك . أقوالك واعتراضاتك وتمرُّدك .. هل تلاشَت في هذا الموقف؟)[3].

ثمّ يوجّه تفكيره في أثناء الطريق الى لوم نفسه وعتابها ؛ نفسه التي تمرّدَت على التوافه والاضطهاد والظلم ، وتمرّسَت على دعم الحقيقة والحرّيّة وكرامة الإنسان . ولكن سرعان ما يعود الى نفسه ويكرّر : (انني مجرّد انسان مأمور ، وهكذا هي الحرب ، وهذا الرجل الأسير من الطرف الآخَر يقاتلنا ، وقد يكون

---

(١) يزهار سميلنسكي: أربَع قصص ، ص ١٢٤ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٢٤ - ١٢٥ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٢٥ .

ضحيّة، ولكنّي لا أستطيع أن أُطلق سراحه بناءً على مسؤوليّتي الخاصّة. وليس في مقدوري أن أفعل ذلك. ثُمَّ لو قام كلّ واحد مثلي بإطلاق سراح أسير فإلى أين سنصل ... قد يكون لدى هذا الرجل أشياء هامّة ... ولكنّه يبدو غبيّاً وسخيفاً. انّه ليس مقاتلاً. انّه مدنيّ نَتِن. من أين جاءوا به؟ انّه أسير، ومجرّد إطلاق سراحه يُعَدّ جريمة أُعاقَب عليها. لا تغمض عينيك عن هذا. ألَم تحقّقوا معه؟ يجب إخلاء سبيله. انّكم لن تتمكّنوا من أن تأخذوا منه أكثر مِمّا أخذتم. وانّ أيّة معلومات أخرى قد ينطق بها لن توازي الظلم الذي يقاسيه)[1]. ثمّ يعود الى نفسه مرّةً ثانيةً ويقول: (من الصعب عليّ أن أقرّر. لا أجرؤ على ذلك. واذا أردت إطلاق سراحه فيجب عليّ أن أقوم بسلسلة من الأعمال. عليّ أن أتحدّث مع السائق حتّى يوقف السيّارة. ثمّ عليّ أن أُقنِع الزميل المرافق لي بالموافقة على ما أنوي الإقدام عليه. وإذا نجحت في كلّ ذلك فلا بدّ لي من أن أَمثُلَ أمامَ المحقّقين الذين سيتّهمونني بالخيانة بسبب (حسن) هذا. هذا، وانّ استجوابه والتحقيق معه لم يستكملا بعد)[2].

هذه القصّة تصوّر الصراع الداخلي الذي يدور بين الجندي المرافق وقرارة نفسه. هو جنديّ من جهة، وإنسان من جهة أُخرى. فهو يعلَم أنّ على الجندي أن يتحلّى بالانضِباط، ويطيع الأوامر العسكريّة، ويقوم بالمهمّات التي يكلّف بها حتّى ولو كان ضميره يحثّه على التمرُّد على هذه الأوامر.

انّ سميلنسكي في هذه القصّة يجعل الانضباط العسكري في نفس هذا الجندي يتغلّب على القِيَم الإنسانيّة التي دارت في رأسه في طريقه الى المعسكر الثاني. بينما يعترف سميلنسكي نفسه في قصّته أنّ ذلك

(١) يزهار سميلنسكي: أربع قصص، ص ١٣٥.
(٢) المصدر نفسه، ص ١٣٥.

الرجل (الراعي) لم يرتكب جريمة سوى أنّه عربي. لم يكن مقاتلاً يحمل السلاح؛ بل مدنيّاً نَتِناً ، ساذَجاً، مغفّلاً . . . لا يستحق كلّ هذا الظلم والتعذيب على حدّ تعبير الجندي في حواره مع نفسه. انّ ما يتبادر الى الذهن أنّ سميلنسكي يريد أن (يضرب عصفورين بحجر): يغذي القارئ بالقيم الإنسانيّة ، والتمسُّك بالواجبات العسكريّة في وقت واحد، وإن كان في نهاية الأمر قد رجّح الدافع العسكري على الروح الإنسانيّة. بينما كان عليه أن يشجّع الناحية الإنسانيّة ، ولا سيّما اذا تأكّد من براءة ذلك (الأسير)؛ خصوصاً وأنّ ذلك الجندي قد تصرّف حسبما أوحَى اليه ضميره، وكان الأجدَر به أن يتحمّل ما سيتعرّض له من تحقيقات وعقوبات * . وبذلك كان ينقذ إنساناً ويعيده الى زوجته وأولاده. فلو فعل الكاتب ذلك لَما انتهَت القصّة الى ما انتهَت اليه.

كما نجد أنّ سميلنسكي الذي امتاز عن غيره من الكتّاب بأفكاره ومُثُله ، لم يَنجُ من نظرة التعالي التي أصبحَت طابَعاً عامّاً في الأدب العبري؛ فاختار للقصّة بطلاً ساذَجاً أحمقَ ؛ الأمَر الذي يظهر كثيراً في القِصص العبريّة . ولَعلّ اتّهام-الراعي بالغَباء لا يعطي الصورة الحقيقيّة عن هذه الفئة من الناس؛ فالرُّعاة العرب ، وإن كانوا في غالبيّتهم من الأمّيّين ، إلاّ أنّهم يتمتّعون بشيء من الذكاء الفِطريّ والفِراسة. وقد يكون ذلك الذكاء ناجماً عن تأثير الطبيعة المحيطة بهم، وعن كثرة تأمُّلهم بما يحيط بهم.

وملخّص القول أنّ سميلنسكي سَرَدَ للقارئ قِيَماً إنسانيّةً وصراعاً نفسيّاً مريراً عاناه الجنديّ دون أن يكون لذلك السرد نتيجة إيجابيّة ، تجعل القارئ يُكبِر الجنديّ ، ويقتنع بالتالي بموقفه المنبعث من ضميره.

---

* مثلما يرفض الجنود أصحاب الضمائر الحيّة الخدمة العسكريّة في الضفّة الغربيّة وقطاع غزّة وهضبة الجولان. ويرفضون الأشتراك في حرب لبنان.

يجب أن يؤخذ بالاعتبار أنّ قصّة الأسير كُتبت في تشرين الثاني ١٩٤٨ ، أي بعد أن وضعت حرب فلسطين أوزارها، والتي كان يزهار سميلنسكي أحد الذين اشتركوا فيها اشتراكاً فعليّاً؛ لذلك تركت أثرها الكبير عليه ، وعلى غيره من الإسرائيليّين، ولا سيّما أولئك الذين يؤمنون بمبدأ أُخوّة الشعوب . وسميلنسكي منهم. (ونظنّ أنّ هذا الجندي ما هو إلاّ سميلنسكي نفسه).

على أنّ مبدأ أُخوّة الشعوب وكراهية الحرب لم يكونا شائعَين في كلّ قصص سميلنسكي ؛ ثمّ إنّه لم يبرز في أدبه هذه الأفكار والمبادئ بشكل يوصلها الى ضمائر الناس ، لتصبح قوّةً مؤثّرةً في السياسة الإسرائيليّة .. أي أنّه لم يؤدِّ الرسالة حتى نهايتها، ولعلّه في بعض الأحيان كان يتوقّف عن أدائها مفضِّلاً ـ لحين ـ العمل السياسيّ * .

وحول قصّة الأسير (هشبوي) يقول ابن عيزر[1] أنّها إحدى القصص المشهورة التي تصوّر الميول الأخلاقيّة عند الكاتب الذي صوّر فيها شعوره بالذنب . ولعلّها تظهر بشدّة تخبُّط الكاتب الذي تربّى على احترام حياة الإنسان وحرّيّة تفكيره واستقلاليّته؛ ذلك الكاتب الذي يقف فجأةً عاجزاً عندما يلعبون أمام عينيه للقضاء على أسير عربي . غير أنّ آلام الكاتب لا تصل به الى نتيجة ما؛ لأنّه لم يستطع أن يقنع نفسه بضرورة تجسيد أفكاره على أرض الواقع، أو أن يلتزم بها. انّه يتخبّط وهو يوازن بين أن يكون (مع) أو (ضِدّ)، ويتألّم عندما لا يستطيع أن يغلِّب الاعتبارات الإنسانيّة، التي هي ثمرة تربيته ووعيه على اعتبارات زمن الحرب . غير أنّ دائرة القاصّ لا تتقاطع أبداً مع مصير الأسير ؛ إذ ليس في وسعه أن يتّخذ موقفاً ضدّ القضاء (على الأسير).

---

* في سنة ١٩٤٩ كان عضواً في الكنيست (البرلمان الاسرائيلي) عن حزب مباي.

(١) ايهود بن عيزر : مجلّة كيشت ، السنة العاشرة، ص ١٤٢ ـ ١٤٣ .

ولكنّه بسكوته على قرار القضاء على الأسيـــــر أعطـــى موافقته عليه ... فالنهاية في القصّة بقيت مفتوحة، وموت الأسير لا يوصف بل يفهم من خلال الوقائع.

أمّا الكاتب الفلسطيني المرحوم غسّان كنفاني[1] ، فيقول عن القصّة انّها محاولة لتصوير ما تردّده وسائـــــل الإعلام من البطولات اليهوديّة الخارقة ، وإن كان تصويـر البطولة في هذه القصّة معتدلاً الى حدٍّ ما. ومرّةً أخـــرى نشهد هذا البَتر في الموضوع في محاولة لعدم الوصول بـــه الى المواجهة الحاسمة. انّ البطل العربي (في القصّـــــة العبريّة) ما زال يُختار بعناية ودقّة ليؤدّيَ دوره فــــــي السيراميك الصهيوني. انّه تقريباً بهلول بريء (والبراءة هنا عيب رهيب) ؛ فثمّةَ حرب ، وهو خارجها تمامـــاً، وبكلمة أُخرى انّه ليس العربي المواجه لخصمه، ومَيـــدان الموضوع هو ميدان مصغّر وجانبي؛ ميدان جزئي يمكـــن التحرُّك فيه بقليل من الحرّيّة تحت عنوان (الحـــــرب المقبولة والمُبرّرَة) .

أمّا الدكتورة حياة جاسم فتقول[2]: (يظهر يزهـــار سميلنسكي في قصّته هذه تجاربه مع العرب مصحوبـــــةً بنقد للجانب الصهيوني؛ فهو يرسم صورة حيّة لِلأرض النقيّة الوادعة التي كان الرعاة العرب يقودون فيها قطعانهم مع الفجر الهادئ الى الحقول والجبال بنوع من اللامبـــــالاة، لا مبالاة الأيّام الطيّبة ، حين لم يكن هناك شَرّ في العالم يحذّر من شرور أُخرى آتية).

انّ سميلنسكي يشكّك في عدالة الادّعـــــــاءات الصهيونيّة ومشروعيّتها . وهو يوجّه النقد لأصحاب هـــذه الادّعاءات . ولكنّ هذا التجاوب مع العقلانيّة لا يغيّـــر أبعاد صورة العربي؛ فهو عنده لا يزال جَباناً أَحمَـــق

---

(١) غسّان كنفاني: في الأدب الصهيوني ، ص ٢٠٤ .
(٢) الآداب ؛ صورة العربي في الأدب الصهيوني، العـــدد ١-٢ (يناير - شباط ١٩٨١) ، ص ٢٤-٢٣ .

أمامَ شجاعة الصهيوني. وبوسع جندي صهيوني واحد أن يعبث بمجموعة من الجنود العرب ويسخر منهم، والأسير العربي يستدرّ عطف يزهار سميلنسكي لسذاجته لا لعدالة قضيّته فقط . وانَّ تجاوبه مع الشخصيّة العربيّة تجاوب ظاهري وسلبي ، ولا يخرجه من دائرة الولاء للصهيونيّة . انَّ سميلنسكي يعاني صراعاً مريراً لإطلاق سراح الأسير العربي . ولكنَّ وَلاءَه للصهيونيّة يتغلّب على نداء العدالة في نفسه، فيرسل الأسير البريء الى حتفه.

أمّا في قصّة (خربة خزعة) فيعبّر يزهار سميلنسكي عن موقفه من الحرب والاحتلال ومشكلة اللاجئين بجلاء ووضوح. وموقفه هذا استمرار لِما ورد في قصّة(الأسير)مع ظهور قدر أكبر من الصراحة والشجاعة.

تدور قصّة(خربة خزعة) حول قرية احتلّتها فرقة من الجنود الإسرائيليّين في سنة ١٩٤٨ . وقرية(خربة خزعة) تقع في جنوب البلاد قرب المجدل. وهناك مَن يقول انّها قرية (نعليّة).

في هذه القصّة يدور جدال بين الكاتب ومجموعة من الأفراد الذين يؤمنون بآرائه من جهة، وجماعة أُخرى من الجنود مِمَّن يؤيّدون الحرب والاحتلال والطرد والقتل من جهة أُخرى. وفي ثنايا هذه القصّة يصوّر الكاتب مختلف الآراء تجاه العرب لدى فئات متعدّدة من الإسرائيليّين. وسأقتطف بعض الفقرات من هذه القصّة حتّى يتّضح الأمر للقارئ:

يقول سميلنسكي: (... وشاهدنا امرأةً عربيّة مع بعض رفيقاتها، وكانت تمسك بإحدى يديها ولداً في السابعة من عمره، وبدا لنا أنَّ لديها أشياء تميّزها عن غيرها؛ فقد لاحظنا أنّها ذات شخصيّة قويّة حاسمة صَبور، وقد تساقطت الدموع على خدّيها، وكأنّها تصلّبته. وعلى الرغم من أنَّ الولد لم يتفوّه بكلمة واحدة، إلاّ أنَّ تقاطيع

وجهه كانت تنمّ عن سؤال حائر: ما الذي ارتكبوه في حقّنا ؟ ماذا جنينا ؟

((... ولقد شعرتُ بالخجل أمامها ، وأشحتُ بنظري عنها... لقد رأينا فيها امرأة لبْوة عبّرت تقاطيع وجهها عن صبر واحتمال. انّها مستعدّة لتحمُّل المشاق، وتأبى أن تنهار أمامنا على الرغم مِمّا حلّ بها. ولقد لَمسنا ما يعتمِل في نفس طفلها. انّ تقاطيع وجهه تدلّ على ما سيكون في المستقبل. هذا الطفل الضعيف الذي لا يستطيع غير البكاء ، سيكون أفعى سامّة.

(... لقد اتّضح لي شيء مهمّ : الغربة، المهجر. هذه هي الغربة . حقّاً هي الغربة. هكذا تكون الغربة وتكون الهجرة.

(... لم يكن القلق النفسي يطاردني وأنا في المهجَر . ولم أعرفْ أبداً كيف كان. لكنّهم حدّثوني عن المهجر والغربة، علّموني أنّ حياة المهجر لا تطاق ، وكرّروا هذه النغمة على مسامعي في كلّ زاوية؛ في الكتّاب وفي الجريدة وفي كلّ مكان . ولقد عزفوا هذه العبارة على كلّ وتَر. لقد رضعت ذلك مع حليب أُمّي. ولكنّ السؤال : ماذا فعلنا هنا؟

(... لن يتخيَّل مَن سيأتي الى هذا المكان في المستقبل ، أنّ قرية عربيّة باسم (خربة خزعة) كانت في هذا المكان. قرية طرَدنا سكّانَها وورثناهم . مَن ذا الذي يمكنه أن يتخيَّل أنّنا أطلَقنا النار على السكّان الآمنين. أحرَقنا، وفجّرنا وطرَدنا؟؟؟

(... سمعت صرخة من أعماقي تردّد: هذا هو الاستعمار. خربة خزعة ليسَت لنا. كذّاب مَن يقول انّها لَنا. ما الذي لم يقولوه عن اللاجئين؟ كلّ شيء من أجل اللاجئين، وسلامتهم وإنقاذهم. هذا طبعاً لِلاجئين (اللاجئين اليهود). أمّا أولئك الذين نطردهم فهم شيء

آخر. نحن الآن السادة...

(... ستصرخ جدران البيوت عالياً في آذان المستوطنين الذين سيسكنون هنا. هل تهمس تلك المناظر والصرخات التي دوّت في الجوّ والتي بقيت مكتومة ... هنا في جوّ هذه المنطقة في أذن كلّ واحد بكلّ ما حدث ... أردت أن أعمل شيئاً. عرفت أنّني لن أصرخ. ويجب الاّ أكون الوحيد الذي يحزن هنا. من أيّة مادّة جُبلت؟ انّني هذه المرّة في ورطة؛ كأنّ في داخلي شيئاً يتمرّد، يفجّر كلّ شيء، يكفر بكلّ شيء، يشتم الذّل. الى مَن أتكلّم ليسمعني؟ سوف يهزأون. لقد اعتراني انهيار مخيف؛ كأنّ في داخلي إدراكاً مهمّاً مغروزاً كالمسمار. انّي لا أستطيع أن أتّفق مع الأغلبيّة. كنت دائماً أرى فيه(الطفل العربي المهاجر مع أمّه) دمعة طفل تتلألأ وهو يسير مع أمّه الوقور، وهي تذرف دموعها بدون نحيب، وهو في طريقه الى المهجر ومعه صرخة الظلم. عند ذلك قلت لموشيه(من شخوص القصّة): ليس لنا أيُّ حقّ في إخراجهم من قريتهم. شعرت بشيء يخنقني .. فقدت صوابي.. ولم أعُد الى رشدي، حتّى تحرّكت السيّارة الأولى التي حملت النازحين العرب الذين نزحوا عن القرية. تحرّكت تشقّ الطريق الترابيّة. وكنت أوَدُّ لو أذهب الى كلّ مهاجر ومهاجرة، لأهمس في آذانهم: عودوا هذه الليلة، سنغادر المكان في هذه الليلة، وستبقى القرية خالية. ارجعوا. لا تتركوا القرية خالية، وحالاً تحرّكت السيّارة الثانية ـ سيّارة النساء.)

عندما يصل هؤلاء المهجّرون الى أماكن سكناهم الجديدة سيكون الليل قد خيّم. وستكون ثيابهم دِثارهم.

وبعد قليل تحرّكت السيّارة الثالثة.

أيُّ جمود يسيطر علينا. وأيّة لا مبالاة. كأنّنا لم نكن

لاجئين أبداً. وكأنّنا مهجّرون فقط! ولكن ما هو المخرج؟)[1].

وسميلنسكي في قصّته هذه واضح وصريح يبدي اعتراضه على طرد العرب وتهجيرهم. انّه يكره التهجير. وأحشاؤه تتمزّق وهو يرى موكب المهجّرين. ولكنّه يتخاذل كما تخاذل في قصّة (الأسير)؛ فلا يقدم على عمل يمنع ذلك. وما دام الأمر كذلك، فما الفائدة من سرد هذه الأفكار؟ وما فائدة وقوفه مكتوف اليدين متحسّراً لا يلوي على شيء؟ انّه في هذا الموقف لا يختلف عن معارضيه. ولعلّه ـ شاءَ أم أبَى ـ شريكهم في عمليّة التهجير.

هذا وسميلنسكي عندما يصف الطفل العربي النازح مع أهله بالأفعى السامّة في المستقبل، يعود الى الفكرة الكامنة في رأسه وفي رأس الكثيرين من الإسرائيليّين عن أنّ العربي هو مصدر خطر عليهم ولو أبعدوه. ولو أراد أن يكون منصفاً وصادقاً لوصف ذلك الطفل العربي البريء النازح عن قريته وهو غضّ الإهاب، بإنسان ستنمو تلك الحادثة (حادثة التهجير المرير) لتجعل منه مناضلاً لاستعادة حقّه على أرض آبائه وأجداده؛ لا أفعى ستنفث سُمّها وتؤذي. غير أنّ سميلنسكي في هذا الوصف، على الرغم من سلبيّته، ينبّه القارئ العبري الى أنّ ما اقترفت أيدي الصهيونيّة، وما أنزلته من مآسٍ بالعرب سيكون مصدر الخطر في مستقبل الأيّام. وهو في ذلك كمَن يتنبّأ بحقيقة قبل وقوعها.

يعترف سميلنسكي بأنّه مقصّر، ولكنّه يعترف بأنّه لا يستطيع عمل أيّ شيء، وأنّ كلّ ما يقدر عليه هو أن يذهب الى اللاجئين ويهمس في آذانهم: عودوا. عودوا الى بيوتكم هذه الليلة. ولكنّه لم يفعل حتى هذا.

---

(1) يزهار سميلنسكي: أربع قصص، ص ١٠٦ ـ ١١١.

ومن مميّزات هذه القصّة أنّ مؤلّفها يتجرّأ ويناقش الجنود الذين يؤيّدون الحرب، وطرد العرب، ويحاول إقناعهم بأنّه على صواب، متّخذاً مِمّا جرى لليهود في المهجر مثالاً يذكّرهم به. وكأنّه يؤكّد لهم شعارات الصهيونيّة القائمة على الحقّ اليهودي في هذه البلاد. ولكنّه يريد تحقيق هذه الشعارات بروح إنسانيّة.

وهو في قصّته هذه يكرّر الإشارة الى ما حلّ باليهود في مختلف الأنحاء، ولا سيّما في العهد النازي. ويصرّح بأنّه لا يقبل فكرة سيادة الشعب اليهودي وتميّزه عن سائر الشعوب. وهو في الوقت نفسه يحسّ بأنّ كلّ دمعة في عيون النساء والأطفال العرب جمَرات تكوي جسده. ونعود لنقول: هذا شيء جميل؛ ولكنّه لا يفيد في كثير أو قليل. ويبقى مجرّد عواطف لم تدفع صاحبها الى اتّخاذ موقف عملي لحلّ مشكلة الفلسطينيين الذين سُلِبوا حقّهم في العيش على أرضهم وفي قراهم.

انّ صورة التطابق التي أوردها سميلنسكي بين اللاجئ الفلسطيني واللاجئ اليهودي(في الماضي) لا تكفّر عن الإجحاف والأخطاء التي حلّت بالفلسطينيين، والتي سردها سميلنسكي.

سميلنسكي يريد أن يقول انّ اللاجئ العربي الفلسطيني، ما هو إلاّ صورة طِبق الأصل للاجئ اليهودي (في الماضي). وبما أنّنا، نحن اليهود، أبناء لاجئين، وأبناء مطارَدين، يجب علينا ألاّ نسلك مثل هذا السلوك. يجب أن تكون عندنا حساسيّة خاصّة لمثل هذه الأعمال. ويجب أن نقف بالمرصاد، ونتصدّى لمنعها؛ لأنّنا نحن أولَى من غيرنا بردعها. وسميلنسكي في قصّته هذه يطلق صرخة رفض تيّار التجرّد عن القِيَم الإنسانيّة عاليةً في الفضاء لتدوّي في كلّ مكان لتمنع في المستقبل وقوع أعمال كهذه التي وقعت في حرب عام ١٩٤٨ .

ويتساءل سميلنسكي في مقابلة معه في صحيفة معريف[1] : لماذا لم أمنع هذا العمل؟ ولماذا لم أخبر عنه؟ إنّ هذه الأسئلة التي تراودني اليوم لغريبة. ولا أعرف ماذا أجيب عنها. انّني كنت ضابط الاستخبارات وليس قائد العمليّة. لقد كنت في ذلك المكان لدقائق معدودة؛ لكي أفحص شيئاً ما.

وفي قصّة (على حدّ رصاصة) [2] (عل حودو شِل كادور) بقلم يتسحاق أورباز ، نجد فكرة مشابهة للفكرة التي أوردها يزهار سميلنسكي في قصّة (الأسير). غير أنّ أحداث قصّة أورباز كُتبت بعد حرب سيناء في عام ١٩٥٦ ؛ وهي كذلك تدور حول جندي اسرائيلي عمل في قطاع غزّة في منطقة (خربة جامون). وفي سياق هذه القصّة يأتي الجندي الإسرائيلي الى إحدى المغاور في تلك المنطقة، ويجد عربيّاً مسلّحاً ، ولكنّ هذا العربي سرعان ما يلقي ببندقيّته، ويبدأ بالتوسّل الى الجندي الإسرائيلي .. ويصل به الأمر الى تقبيل قدميه كي لا يقتله. وأخذ يزعم في توسّله أنّه يحبّ اليهود. وفي القصّة نجد الاثنين يسيران الى مركز القيادة ، ويدور بينهما في الطريق حديث يفهم منه أنّ العربي يُدعى ابراهيم عبد الحسن الجاموني ، وأنّه من خربة جامون التي لم يبقَ منها أيّ أثر ، سوى بضع أشجار. ولم يبقَ له أقارب بعدما قُتل أخوه في حرب ١٩٤٨ ؛ ولذلك كان يتّجه نحو الأردن، حيث يقيم بعض الأقرباء. وفي سياق القصّة يحدّث الجندي نفسه بأنّه في الواقع لن يتأثر كثيراً لو هرب أسيره. (... فلقد كنّا سائرين في اتّجاه الشمال.

---

(١) صحيفة معريف : ١٩٧٨/٢/١٧ (مقابلة مع سميلنسكي)
- في هذه المقابلة أيضاً يعترف سميلنسكي أنّه كان ضابط الاستخبارات للمنطقة الوسطى في حرب عام ١٩٤٨ .

(٢) قصص عبريّة من حياة العرب ، ص ٢٣٦ - ٢٤١ .

وكنت أُشيح بنظري الى جهة الغرب متغاضياً عنه ومحاولاً الابتعاد عنه ؛ لكنّه ظلّ يسير ملاصقاً لي... لذلك فقد قرّرت في النهاية أن أجيءَ به الى القيادة... ونجدهما في هذه القصّة يجلسان في ظلّ شجرة وارقة ليستريحا وهناك يأخذان بالتفكير؛ (... ويسأل الجنديّ نفسه أين حرّيّة ابراهيم؟ وما هو مستقبله؟ لقد اقتُلِعَ من مكان آبائه . أين مكانه تحت الشمس اليوم؟ ... هكذا كنت أُفكّر مشفقاً على الأسير . ولَعلّي قرّرت أن أُطلقَ سراحه ليذهب في طريقه وأذهب في طريقي ...

(... وعندما كنّا جالسين نهض ابراهيم فَجأَةً وأخذ يركض ، ولكنّه اصطدم بالشجرة وسقط ، وأمسكتُ (بالعوزي) لأفعل شيئاً ما بهذا العربي ، وفجأَةً رأيت أفعى سامّة...)[1].

كانت الأفعى تسعى لِلَدغ الجندي ، ولكنّ ابراهيم نهض بسرعة لينقذه منها. وفي القصّة نجد أنّ الجنديّ – فيما بعد – يطلب الى القائد إطلاق سراح ابراهيم. وفي أثناء ذلك يباغَت الجنود المجتمعون بمقتل ابراهيم على يد أحد رفاقهم. ثمّ تسير السيّارة جنوباً والجنود يغنّون فيها فَرِحين . أمّا الجندي الذي رافقَ ابراهيم ، فكان ينظر الى قبر ابراهيم صديقه.

وفي هذه القصّة نجد أنّ الكاتب أورباز أراد منذ بداية القصّة وحتّى نهايتها إثارة الشفقة على ابراهيم، فوصفه بأنّه مرّ في مِحَنٍ كثيرة ... تهدّمت قريته ... وتشرّد أقاربه خارج الوطن ... وفَقد أخاه في الحرب الإسرائيليّة العربيّة عام ١٩٤٨ ؛ وهذه الأمور مجتمعةً تجعل الأسير يستحقّ العطف. فالكاتب يحزن لأحزان الأسير الذي تهدّمَ عالَمه عليه؛ الأمر الذي نجده في قول

---

(١) قصص عبريّة من حياة العرب ، ص ٢٣٩ – ٢٤٠ .

الجنديّ . . . (أين حرّيّة ابراهيم؟ وما هو مستقبله؟ لَقَد اقتُلِعَ من مكان آبائه . أين مكانه تحت الشمس؟)[1] .

ونلاحظ أَيضاً أَنَّ الجندي الإسرائيلي كان يحاول إقناع نفسه بضرورة إطلاق سراح ابراهيم. بل وحاول أن يُشعِر ابراهيم بذلك . لكنَّه ـ أي الأسير ـ لم يفهم ذلك . والأَصَحّ لم يثِق بقصد الجندي . ويحاول الأسير في أثناء ذلك أن ينقذ آسِرَهُ ؛ وذلك عندما قضى على الأفعى التي كانت تحاول لدغ الجندي، الأمر الذي أرادَ به أورباز أن يُظهِر طِيب طَويَّة العربي . وفي هذا يريد أن يؤكّد على الصفات الحميدة عند العربي، وما تنطوي عليه نفس أسيره من شهامة ومروءَة. لذلك يبدو الجندي الإسرائيلي وكأنَّه قد ازداد تمسُّكاً بضرورة إطلاق سراح الأسير ، ويطلب ذلك من القائد نفسه. ولكنَّ الأَمر لا ينتهي كما يريد؛ فيُباغَت بأَنَّ أَحد الجنود قد قتل ابراهيم.

ويصف لنا الكاتب حزن الجندي الإسرائيلي على ما آلَ اليه مصير أسيره . ونراه يودّع قبره مطيلاً النظر اليه وكأَنَّه يحاول أن يعتذر اليه من تقصيره تجاهه، ويطلب اليه أن يسامحه.

ويعلّق الكاتب العبري ايهود بن عيزر على هذه القصّة فيقول[2] : (. . . من جهة واحدة يصعب على الكاتب أن يعامل الأسير معاملة إنسان ويبدو له هذا الأسير كأنَّه بدون صفات إنسانيّة، وأَنَّه مجرّد حيوان . ومن جهة أُخرى يكتشف في هذا الأسير بريق الإنسان والمقدرة على أن يكون مثلنا(مثل اليهود) حرّاً. وعندها يعطف عليه ويشاء أن ينقذه).

---

(١) قصص عبريّة من حياة العرب ، ص ٢٤٠ .

(٢) ايهود بن عيزر: مجلّة كيشت، السنة العاشرة ، ص ١٤٣ .

اننّا من خلال القصّتين المتشابهتين : (الأسير)و(على حدّ رصاصة) نستطيع أن نتصوّر نفسيّة الشبيبة اليهوديّة التي أشبِعَت بمفاهيم مشوّهة عن العرب ونَعتهم بأنّهم وحوش متخلّفون وهمجيّون. هذه المفاهيم التي يحاول الكاتبان سميلنسكي وأورباز أن يدحضاها لِيَرسُما العربيّ في صورة إنسانيّة. وبكلمات أخرى نجد أنّ الواقع الذي يجابهه الجنود الإسرائيليّون في حروبهم وصِلاتهم بالعرب ، يُظهر لهم صورة نظيفة عن العرب. ولكنّ الكاتبَين مع ذلك لم يتحرّرا من نظرة سلبيّة نحو العرب كأنّ يهوي الأسير على قدمَي الجندي يقبّلهما متوسّلاً كي يُبقيَ على حياته.

انّ أمراً كهذا من الصعب تصوّره من مقاتل عربي يعرف جَيّداً لماذا حمل بندقيّته التركيّة العتيقة. وممّا يجعل حدوث مثل هذا الأمر أكثر صعوبةً ، أنّه لا يوجد أيّ أمل لهذا الإنسان يدفعه الى تقبيل قدمَي جندي، خصوصاً بعد أن دُمّرَت قريته وقُتِل أخوه وضاع عنه جميع أقاربه. وهل يمكن لهذا الأسير بعد كلّ ذلك أن يطمحَ في الحياة ، وأن يقبّل قدمَي آسِرِهِ؟

ولكنّ وقوع الكاتب تحت تأثير الدعاية المضادّة للعرب ، بطريقة لا إراديّة، هو الذي دفعه الى ذلك . لقد تغلّبَت الدعاية الصهيونيّة في نفسه على الروح الإنسانيّة.

ويتحدّث أهارون ميجد في قصّة الكنز(همطمون)[1] عن سليمان الذي هجر بيته وقريته* وأرضه في أعقاب حرب ١٩٤٨ ؛ وفي إحدى الليالي يعود هذا اللاجئ متستّراً متسلّلاً الى قريته ليبحث عن كنز دفنه في ناحية فيها . ويصف الكاتب الحقول الجميلة التي كانت تحيط بالقرية ، والتي

---

(١) قصص عبريّة من حياة العرب ، ص ٣٠٢ — ٣١١ .

* القرية المقصودة هنا هي قرية (صفّورية) والتي غيّر الإسرائيليّون اسمها الى قرية(تسيبوري)؛ هذا ما قاله كاتب القصّة في أحد اللقاءات معه.

زرعها العرب بأنواع مختلفة من أشجار الرمّان والخوخ والصبر. ويحدّث عن الجداول التي كانت تشق الحقول. وفي هذا الوصف يؤكّد ميجد مدى إخلاص هذا اللاجئ في حبّه لقريته وارتباطه الوثيق بها. وكأنّه يريد أن يقول للقارئ العبري: يجب أن تصدّق هذا اللاجئ العربي في حبّه لقريته وارتباطه بها. وعليك أن تشاطره مُصابه الأليم، وأن تتضامن معه؛ فهو الذي أحبّ بحقّ أرضه وبيته ووطنه الذي نشأ فيه وترعرع.

هذا؛ ويُظهر الكاتب في قصّته التغيير المفاجئ الذي اعترى حياة اللاجئ، الذي أُجبر بعد أن كان هادئاً مطمئنّاً على ترك قريته دون أن يأخذ معه شيئاً، فأصبح بين عشيّة وضحاها فقيراً مُعدِماً. لذا حاول الكاتب أن يثير الشعور الإنساني في نفس القارئ. وفي سياق القصّة يصف الكاتب اللاجئ عندما يعود الى قريته متقطّع الأنفاس، محملق العينين في كلّ جزء من أجزاء القرية وأشجارها وحقولها وحجارتها... هذه القطعة من الأرض لأبي يوسف، وتلك أرضي... وهناك بيت المختار... وذاك بيت كامل الدجاني... ويصاب هذا اللاجئ بدهشة كبرى عندما يجد عائلة يهوديّة تقطن داره؛ غير أنّه يختبئ بين الأشجار يتحيّن الفُرَص لكي يذهب الى مكان الكنز، وتدور في رأسه ـ في هذه الأثناء ـ أفكار شتّى. كيف سيعود هو وزوجته وأولاده الى قريته؟ وكيف يمكن أن يتنازل عن جزء من أراضيه وممتلكاته لليهود الجدد؟ كلّ ذلك لِقاء أن يُسمَح له بالعودة الى بيته وقريته التي يحنّ اليها كثيراً. ويمتدّ به التفكير حتّى يصل الى فكرة، وهي أن يذهب لمقابلة رئيس الحكومة الإسرائيليّة لِيتنازل عن واحد وعشرين دونماً من اثنين وأربعين دونماً يمتلكها نظير عودته الى قريته... ولكنّ رئيس الحكومة يرفض هذا العرض، فيتنازل سليمان عن ثلاثين دونماً، فيوافق رئيس الحكومة ويقول له: اذهب

وعُد بأولادك وزوجتك . ويبدأ اللاجئ بالسير ،وفجـأةً يسمع صوتاً يناديه. ولشدَّ ما استغرب أن يكون المنادي هو رئيس الحكومة يقول له: اسمع. لقد ألقيتَ الحجارةَ على اليهود قبل ثلاث ـ أربع سنوات ، وهم ذاهبون الى مستوطنتهم. فيجيب اللاجئ: حدَثَ ذلك قبل وقت بعيد، فلماذا تذكّرني به الآنَ؟

ويقترب اللاجئ من بيته، ويرى امرأةً يهوديّةً تسكن فيه، فتدور الأفكار الشرّيرة في رأسه.

يقول ايهود بن عيزر[1]: ... القصّة كلّها مكتوبة بوجهة نظر اللاجئ. وتتّفِق معه. وهذا التطابق يجرّ الكاتب مؤلّف القصّة الى أفكار كتلك ؛ ولا سيّما عندما ينظر العربي من مخبَئِهِ ويراقب المرأة اليهوديّة التي تسكن في بيته: (... يا زانية... أيّتها الزانية اليهوديّة، أمّك الزانية. وأمّ أمّك التي باعت جسدها على كلّ رصيف من أرصفة الشوارع. أنتِ تدخلين الى بيتي الذي وُلِدتُ فيه ، وَوُلِدَ فيه أبي وجدّي منذ القِدَم؟ أكلنا ونمنا هنا أنا وزوجتي أمّ أولادي التي كانت تستيقظ كلّ يوم تطحن الحَبّ . وهنا لعب الأطفال وصرخوا. وهنا نِمتُ ... أنتِ تركّبين باباً جديداً في ملكي ، لبيتي...

ويستمرّ ايهود بن عيزر في تعليقه فيقول: انَّ القصّة كلّها تدخل في ظِلّ تشوّق العربي الى بيته وحقله وقريته، مع كراهيّته لليهود وأفكار الغدر والمكائد واغتصاب اليهوديّة التي تقيم في بيته. وبالفعل فإنّ في هذا توافقاً بين ميجد وبطله ؛ فهو يدفع ضريبة عذابه نتيجة تخبّطاته الأيديولوجيّة ، أو ضريبة أيديولوجيّة على تخبّطاته الخلقيّة ـ الذي لا يقبل العرب بجدّيّة، ولا كياننا مقابلهم ، لأنّه يجب أن لا تصرخ صرخة ظلم

---

(1) ايهود بن عيزر: كيشت، السنة العاشرة ، ص ١٤٣ .

أعدائك وسلبهم. وكمناورة جماليّة دون أن تقدّر ما الذي يجري أمامك وضِدَّك ، وأين مكانك في الصورة، وحتّى متى تقف خلقيّاً وقوميّاً وراءَ نُبلك الذي تُظهره في الكتابة. ويقول بن عيزر : لعلّ في وسع قصّة كهذه أن ترضيَ بعض اليهود ، ولكنَّ فيها من الواقع ما يُغضِب أضعافاً بما فيها من زيت زيتون أخلاقي دسم. والبساطة التي كانت في نظرة ميجد الى الخلقيّات والصراعات تمنع عنه حتى صدع الأزمة الأيديولوجيّة التي وجدناها عند يزهار سميلنسكي.

في وسع أدب شبع جِدّاً أَن يتماثل هكذا مع أعدائه بالتربيت على الكَتِف بأَنّنا طيّبون جدّاً ، وفي وسعنا أن نفهم الجانب الآخر، وذلك دون أن نحسّ بعد الوَهم في الموضوع.

ويتّضح من خلال تلك القصّة ، ومِمّا ورد في كلام ايهود بن عيزر أنّ ميجد يقف مع اللاجئ العربي في وجه المرأة اليهوديّة التي تشكّل في القصّة رمز الاغتصاب والقهر وكأنّ ميجد يريد أن يقول انّه يؤيّد هذا اللاجئ بكلّ عمل يُقدم عليه ليسترجع بيته بالقوّة أو أيّة وسيلة.

وللكاتب بنيامين تمّوز قصّة (مباراة سباحة)(1) يتحدّث فيها عن صداقة بين عائلة يهوديّة وأُخرى عربيّة ، كانتا تقيمان في مدينة يافا. وكانت العائلة العربيّة تملك بيتاً آخر في إحدى البيّارات في الشرق من يافا في منطقة تدعى (تلّ الريش) . ويصف علاقة العائلتين بأنّها حسنة . وكانت الزيارات المتبادَلة مظهراً لهذه العلاقة. كان في كلّ عائلة شابّ . ويختار تمّوز للشابّ العربي اسم عبد الكريم. وحدَثَ أن جَرَت مباراة في السباحة بين الشابّين ، وأسفرت المباراة عن فوز عبد الكريم على جاره.

---

(1) قصص عبريّة من حياة العرب ، ص ٢٧٧ ـ ٢٨٦ .

وتمرّ الأيّام وتنشب حرب ١٩٤٨ ، ويكون الشابّ اليهودي في إحدى الفِرَق العسكريّة التي كان عليها أن تهاجم منطقة (تلّ الريش) حيث تقيم العائلة العربيّة الصديقة ، وتدور معركة حامية الوطيس ، وتنتهي باحتلال الفرقة اليهوديّة للمنطقة المذكورة والبيّارة وبيت العائلة العربيّة وبركة السباحة. وفي أثناء ذلك يرى الشابّ اليهودي صديقه القديم عبد الكريم، ويدور بينهما حديث يقول في أثنائه عبد الكريم: أنتم المنتصرون ، وسأفعل ما تأمرون. ويؤخذ عبد الكريم الى معسكر الأسرى، ويذهب جاره اليهودي الى بركة السباحة ليسبح... وفي أثناء سباحته يسمع صوت عيار ناريّ يجعله يخرج من البركة ويهرع مسرعاً ، فإذا صديقه عبد الكريم ملقّى على الأرض. ويقترب من جثّة عبد الكريم ويقبّلها، ويقول: (انّ وجهه لم يكن وجه إنسان خَسِرَ في هذه الساحة ، كنتُ أنا الخاسر. بل كُلّنا مغلوبون...)[1].

ويُظهر لنا بنيامين تموز في قصّته العائلة العربيّة على مستوًى عالٍ من الثقافة، ويصفها بالمدنيَّة بكلّ ما تحمله هذه الكلمة من معانٍ، ويؤكّد أنّها عائلة إيجابيّة؛ إذ كلّ ما يذكره عنها إيجابيّ ؛ لأنّ معظم أفراد العائلة حصلوا على قِسط وافر من التعليم؛ فالأمُّ تجيد أكثر من لغة أجنبيّة ، وهذا دليل على ثقافة العائلة. كما أنّ العائلة تُحسِن وفادة الضيوف وتحترم علاقاتها مع الآخرين.

وفي هذا يشذّ بنيامين تموز عن زملائه القاصّين اليهود باختيار شخصيّات قصّته؛ فبينما هم يختارون شخصيّات قرويّة أو بدويّة على مستوى فقير أو متخلّف ، يختار هو وجوهاً متمدينة مثقّفة. ومديحه لهذه العائلة قلّما نجد مثله في القصص العبريّة الأخرى. ويختم قصّته بروح إنسانيّة على لسان الشابّ اليهودي الذي يقول: (هنا في

---

(١) قصص عبريّة من حياة العرب ، ص ٢٨٦ .

الساحة كلّنا مغلوبون). على الرغم من أنّ الإسرائيليّين كانوا هم المنتصرين ؛ إلاّ أنّه لم يذُق طعماً لهذا النصر ؛ لأنّه خسر صديقاً عزيزاً؛ وبهذا يعبّر عن نقمتـه علـى الحروب ونتائجها، صادقاً في صداقته مع عبد الكريـم، ولا سيّما عندما يجثو على قدمَيه ويقبّل عبد الكريـم المقتول.

ومن خلال هذا الجزء من القصّة نفهم نفسيّة هـذا الكاتب وأفكاره المناهضة للحرب ، وإيمانه بأنّ المشكلات لا تُحَلّ عن طريق الحروب ؛ فهي غير إنسانيّة ، ولا يوجد فيها منتصر؛ بل انّ المنتصِر خاسر.

هذا هو الوجه الايجابي للقصّة. ولكن يجب أن نشير الى موافقة الكاتب الضِمنيّة على الحرب باشتراكه فيها من ناحية، ومن ناحية أُخرى فإنّ علينا أن نتذكّر أنّ صديق عبد الكريم اليهودي الذي كان يسبح معه تخلّى عنه ، بل واستغلّ أسرَهُ حتّى يسبح في البركة نفسها التي كانا يتسابقان فيها ؛ وهذا يعني أنّه مسـرور ، لأنّ اليهود جرّدوا عبد الكريم من أملاكه وأخذوه أسيراً دون أن يتفوّه بكلمة تعزية تخفّف من آلام صديقه.

أمّا في قصّة(أُحدوثة شجرة الزيتون) (1) (معسيه بعيتس هزايت) فيتحدّث عن رجل عربي يدعى علـي الطويل ، تجاوز الستّين من عمره ، ويقيم في أحدى قرى الجليل المباركة بشجر الزيتون. وفي هذه القرية يملك علي الطويل شجرة فريدة من نوعها معمّرة ، كبيرة الحجم، وافرة الثمر، تعطي ثمانية أضعاف ما تعطيه أيّة شجرة أُخرى ، وقد استغلّ علي الطويل زيت هذه الشجرة في مأكله وتطبيبه ، فلقد كان يدهن أجساد الأطفال بزيتها ، غير أنّ بنيامين تموز يغالي في قصّته فيقول:

(1) بنيامين تمّوز: انجيوكسل، دواء نادر، ص ١٨٤ – ١٨٨ .

انّ عليّاً هذا كان يربط ابنته التي رفضت الزواج من رجل غنيّ يكبرها الى جذع الشجرة حتى تقبل الزواج منه رغم أنفها. وفي هذا يُظهر لنا تمّوز عليّاً هذا فظّ القلب، يرضى لنفسه أن يبيع ابنته بالمال دون موافقتها لرجل يبلغ من العمر ثلاثة أضعاف عمرها.

وعندما تنشب الحرب تهاجر العائلة العربيّة مع سكّان القرية الى لبنان تاركةً كروم الزيتون... وفي هذه الحرب يقتل زوج ابنة علي الطويل في الحرب وهي حامل.

وفي السنة الثالثة بعد الحرب يسكن القرية يهود قدموا الى البلاد. ويفكّر المستوطِن الذي أقام في أرض عليّ بقطع شجرة الزيتون تلك، ولكنّ المرشد الزراعي ينصحه بتقليم أغصانها، ولكنّ خبراء الزراعة فيما بعد يأتون ويقتلعون الشجرة.

لعلّ بنيامين تمّوز في قصّته هذه يريد أن يبيّن محبّة الفلاّح العربي وقوّة ارتباطه بالأرض والأشجار، ولا سيّما تلك الشجرة المعمّرة القديمة، التي ترمز الى عراقة الفلاّح العربي في أرضه. ونلمس من سطور القصّة وأحداثها أنّ بنيامين تمّوز يؤكّد حقيقةً ملخّصها أنّ العربي جزء من مناخ البلاد ومناظرها... فمنظر الحقل يظهر غريباً مشطوراً بدون الفلاّح العربي.

الفلاّح العربي في الحقل يزيد الجوّ جمالاً على جمال. ولكنّ بنيامين تمّوز في تطرّقه لتصرّف علي الطويل مع ابنته وإرغامها على الزواج يبدو غريباً. وقد يثير الاستهجان والسخرية. ولعلّي لا أكون مخطئاً إذا قلت: انّ بنيامين تمّوز في هذه القصّة يتكلّم بروح عربيّة بلغة عبريّة... كأنّه كاتب عربي يعبّر عن نقمته على تقاليد مجتمعه، لأنّه في سياق القصّة يسخر من المستوطن الذي تسلّمَ حقل علي الطويل، ولا سيّما عندما يقول:

(... سأقتلع هذه الشجرة النتِنة (يعني شجرة الزيتـون العتيقة ، الغريبة في نوعها) غداً صباحاً ، كي لا تؤثّـر على باقي الأشجار... ويردّ عليه المرشد الزراعي قائلاً: هذه الشجرة تُدِرُّ عليك محصولاً يفوق محصول عشر شجرات .. وزيتها أطيَب من العسَل والحليب. فإذا قـرَّرتَ اقتلاعها فلتُقلَع أسنانك[1].

والزيتونة العتيقة ما زالت تتذكَّر مالكَها السابـق وأولادَه الذين تربَّوا حولَها وتشتاق اليهم، ولا تعبـأ بالساكن الجديد، كما يظهر في سِياق أحدوثة شجـرة الزيتون...). ولكنَّ شجرة الزيتون المعمَّرة كانت تطلق أغصاناً وأوراقاً جديدةً ، حتى عَلَت هـذه الأغصـان واستطاعَت بذلك أن ترى ماذا يدور وراء الحـدود اللبنانيّة ، وتعبِّر عن اشتياقها لعليّ الطويل)[2]. ويعلّـق غسّان كنفاني[3] في كتابه(في الأدب الصهيوني) علـى قصّتي (شجرة الزيتون) و(مباراة سباحة): انَّ المؤلّف في قصّة (شجرة الزيتون) يلجأ الى الأُسلوب التقليدي فـي الأدب الصهيوني ، عندما يصف تقاليد القرية ، بصـورة مغرِضة واستعلائيّة ، وغير حقيقيّة، ولكنَّ ذلك لا يبـدو مهمّاً هُنا كما كان يبدو في الروايات التي حدَّثنا عنها. فالشيء الأساسيّ في هذه القصّة هو حكاية عليّ الطويـل والعلاقة بينه وبين الزيتون. والعلاقة المستجدّة بيـن المهاجرين وذلك التاريخ. ثمّ تتويج هذه العلاقـات المتقاطعة بقطع الشجرة؛ هذا القطع الذي جاءَ ، علـى صعيد الرمز، وذلك لأنّها تذكار غير مرغوب فيه.

---

(١) بنيامين تموز: انجيوكسيل ـ دواء نادر، ص ١٨٦ .
(٢) المصدر نفسه، ص ١٨٨ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٠٢ .

ويستمرّ غسان كنفاني[1]: انّ قصّتَي بنيامين تمّوز تعكسان إحساساً بذلك (الشيء) الذي تحرص الرواية الصهيونيّة قدر الإمكان على تجنُّبه ، وهو أنّ عام ١٩٤٨ لا يمكن أن يكون بالنسبة لكتّاب يهود قريبين من الأحداث مجرّد جدار. انّه حلقة في قصّة لها سابق ولها لاحِق. واذا كان بنيامين تمّوز قادراً لأسباب عديدة على مواجهة هذه الحقيقة فإنّه لا يستطيع أن يمضي بها الى أبعَد من نصف الطريق ويوفّر على نفسه تلك الخطوات الصعبة ... انّه يقطع شجرة الزيتون ، ويقتل العربي خطأً قبل أن يتمّ السباق ، ومع ذلك فإنّ قصصه تبدو ـ بصورة ما ـ مبتورة ولكنّها على الأقلّ لا توحي بالادّعاء

بأنّ اسرائيل هي الجسر الذي يمتدّ بين الظلمة والنور. فذلك ادّعاء لا يستطيعه إلاّ مَن يضع عمله الفنّيّ في (بِزّة) الدعاية الرسميّة. ولكنّ ظاهرة تمّوز على كلّ التحفظات والمواربات التي تحفل بها ، يندر إيجاد ما يماثلها في الأدب الإسرائيلي المعاصر...).

أمّا ايهود بن عيزر[2] فيعلّق على قصص بنيامين تمّوز بقوله : (... انّه يُظهِر فيها الشعور بالغربة. انّ الإسرائيليين عنصر أوروبي غريب أمام العرب أبناء البلاد الذين سُلِبوا. فهو من جهة يعبّر عن الشعور بالذنب نحو العرب ، ومن جهة أُخرى يحسدهم على أَصالتهم. وهو يكره فرض القتال عليهم ومعاملتهم بعنف).

ولَعَلّي لا أُغالي اذا قلت انّ الوَقع النفسي الذي تركته عمليّة اقتلاع المستوطِن الجديد شجرة الزيتون لا يقلّ عن الأثر الذي تركته عمليّة القرية على نفس الكاتب ،

---

(١) غسان كنفاني: في الأدب الصهيوني ، ص ٢٠٢ .

(٢) ايهود بن عيزر: كيشت ، السنة العاشرة، ص ١٤٥ .

فشجرة الزيتون رمز الأصالة العربيّة والانتماء الى الأرض . ويوحي منظر شجرة الزيتون التي تتّسم بذكريات الماضي الجميل، عن الفلاّح الجادّ في أرضه ، الفلاّح الفنّان ، الذي أعطى الأرض عهداً على نفسه أن يبقى فيها ويخدمها . ويعزّي تمّوز نفسه لأنّ الحرب لم توقف نموّ شجرة الزيتون التي استمرّت تطلق أوراقاً خضراء ، وتمدّ أغصانها عاليةً في الفضاء لِتَتَتَبَّعَ أخبار أهلها الذين نزحوا عن ديارهم. وتصل المأساة بتمّوز الى القِمّة عندما تأتي الشركة الإسرائيليّة المسؤولة عن الأراضي المتروكة فتقتلع تلك الشجرة. فهو يرى في اجتثاثها من جذورها محاولةً لاجتثاث الماضي وذكرياته التي من المحتَمَل أن تثور في كلّ لحظة؛ لأنّ الزائر اذا ما أتى وشاهد الشجرة (اختار تمّوز عن قصد شجرة معمّرة) سيسأل ولا رَيبَ المستوطِنين الجدد: مَن الذي زرع الشجرة؟ وسيرد ذكر الفلاّح العربي أو علاقة الشجرة بالفلاّح العربي.

أمّا استعمال زيت الزيتون لأغراض شتّى فهذا أمر طبيعيّ في نظر تمّوز؛ ولكنّه شيء يثير الاستهزاء والسخرية لدى القادمين الجدد. ولكنّ تمّوز أراد بذلك أن يشير الى مدى قرابة العربي الى الطبيعة، وأنّ قرابة العربي للطبيعة أقوى من قرابة المستوطِنين الجدد وأشدّ . فالعربي جزء من الطبيعة منسجم معها. ولأنّ المستوطِنين رفضوا أكلّ زيت الزيتون ، فهُم ولا رَيبَ غرباء عن الطبيعة. بل هم جسم غريب لا يتأقلَم والطبيعة.

وللكاتب أ. ب. يهوشوع قصّة (امام الغابات) (مول هيعروت) يصف فيها حياة شابّ يهودي في الثلاثين من العمر ، يُعِدّ للدكتوراه في الجامعة عن موضوع الحمّلات الصليبيّة، ويقرّر زملاؤه إرساله الى الغاب ليعمل حارساً، فيتّصل بالإطفائيّة والشرطة ، في حالة شُبوب حرائق في الغابة . ولم يكلّفه أصدقاؤه بهذه المهمّة إلاّ لأنّهم كانوا

يخشَونَ عليه من خطر الجنون اذا بقي في الجامعة خصوصاً وأَنَّ تصرُّفاته كانت تدلّ على شيء من ذلك.

ويلتقي هذا الشابّ في أثناء عمله في الغابة برجل عربيّ يعيش مع ابنته في الغابة في بيت من طابقَين، ويسكن الشابّ اليهودي الطابق الثاني منه. ويندهش الشابّ اليهودي عندما يعرف أَنَّ جاره العربي مقطوع اللسان، ومع ذلك أَمكن التفاهُم بينهما بالإشارات. وكان الشعور بالخوف والحذر مصدر إزعاج له؛ فهو يخشى أَن تشبّ النار في الغابة في أَيّة لحظة. وكثيراً ما كان يتخيّل أَنّ الغابة تحترق، وأَنّ عليه أَن يبادر الى الاتّصال بالجهة المسؤولة.

ويصل هذا الشابّ وسط تخوُّفه وانزعاجه ووَحدته الى أَفكار مفادها أَنَّ هذه الغابات وأشجارها الكثيفة لم تقُم إلاّ على خرائب وأنقاض قرية عربيّة، وهي قرية الحارس مقطوع اللسان. وكانت هذه الهواجس تسيطر بشكل خاصّ عندما كان يسأل زائر الغابة: (... أَين القرية المشار اليها في الخريطة؟ يجب أَن تكون في هذه المنطقة قرية مهجورة)[1]. (... ويأخذ هذا الشابّ في التفكير ليلاً، ويتردَّد اسم القرية العربيّة في هواجسه مِراراً... ويقترب من فراش العربي ويهمِس في أُذُنه اسم القرية)[2].

وفي يوم من الأيّام يشتدّ خوف الشابّ اليهودي فيُكثر من التفكير والاهتمام بالمراقبة في الغابة خوفاً من نشوب حريق. وذات يومٍ بينما كان عائداً ومعه الرجل العربيّ يحدُث شيء غريب. (... يبدأ الرجل العربي بوساطة حركات من يديه بتفسير شيء ما. وكانت حركات يديه سريعةً ومرتبكةً، ويحاول بلسانه المقطوع أَن ينطق كلمةً فيتلعثم ويحرّك رأسه كأَنّه يريد أن

---

(١) أ. ب. شهوشوع: أَمامَ الغابات، ص ٣٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٣.

يقول شيئاً . يريد أن يقول انّ بيته هنا. وهنا أيضاً قريته. وهنا خبّأوا كلّ شيء. لقد دفنوا كلّ شيء في الغابة الكبيرة[1].

ومن خلال هذا الموضع يشعر القارئ باستمرار تغيُّر موقف الشابّ اليهودي من العربي أكثر فأكثر. وكثيراً ما كان الشابّ اليهودي يرى عيدان الكبريت وأعقابَ السجائر دون أن يُطفئها ؛ إذ لم يعد يهمُّه احترقت الغابة أم لم تحترق. أي أنَّ تغييراً جذريّاً اعترى الشابّ اليهوديّ، فلم يعد يهتمّ ـ على الرغم من أنّه حارس الغابة ـ بأمرها على الرغم من أنّه عرف أنَّ جاره العربيّ خبّأ في مكان ما شيئاً من الكاز ، ولكنّه لم يستعمله أبداً.

(... وفي أحد الأيّام يقوم العربي بإشعال النار في الغابة من جهاتها الأربع . ويأخذ شعلةً بيديه ويتنقّل بها من مكان الى آخر بجدّ ونشاط يثيران إعجاب الحارس ...)[2].

وتأتي النار على الغابات الكبيرة وتأكل الأشجار وكُلَّ شيء حيّ . وفجأةً يظهر للحارس شيء مهمّ،(... من خلال ضباب الدُّخان تظهر فجأةً أطلال لقرية صغيرة آثارها لا تزال باديةً)[3].

طبعاً في مثل هذه الحالات تتدخَّل الشرطة وتلقي القبض على مَن تشتبه بهم. وفي هذه الحالة تعتقل الاثنَين؛ اليهودي والعربي.

غير أنّنا نرى في نهاية القصّة توافُقاً وتماثُلاً بين الحارس اليهودي والعربي . مهمّة الحارس حراسة الغابة والحفاظ عليها من كلّ سوء . لكنّه يتخلّى فيما

---

(١) أ . ب . يهوشوع: أمامَ الغابات، ص ٤٦ .

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٨ .

(٣) المصدر نفسه، ص ٥١ .

بعد عن ذلك ، ويسمح للعربي بحرق الغابة. وكأنّه يوافق على عمله في نهاية الأمر. ولَعلّ أ. ب. يهوشوع يقصد بالعربي المقطوع اللسان أنّه هو العربي الذي دُمِّرَت قريته وانتُزِعَت منه أرضه، ومع ذلك لا يزال يسكن فيها دون أن يكون مالكاً . لقد انعقد لسان ذلك العربي بسبب دمار قريته وسلب أرضه وتشريد أهلها. ولعلّ أ. ب. يهوشوع أراد أن يقول لنا انّ هذا العربي وغيره من العرب فقدوا حرّيّة التعبير . وربّما قصد أ. ب. يهوشوع أمراً آخر ترك للقرّاء مهمّة الاهتداء اليه.

لعل أ. ب. يهوشوع اراد ان يقدم لوحة في قالب قصصي ولا نحكم هنا على مدى نجاحه أو فشله في تقديم هذه اللوحة . لعلّه أراد أن يقول انّ الحركة الصهيونيّة بشكل عامّ تتّهم اليهود المتعاطفين مع الحقّ العربي بالجنون كما وُصِفَ ويُوصف عدد قليل من المثقّفين اليهود الذين يرفعون أصواتهم يستنكرون ويشجبون ما يلحق بالعرب من غُبن وظلم. كما أنّه يريد أن يقول لنا بطريقة غير مباشرة انّ النقمة التي ملأت صدور الفلسطينيين الذين شُرّدوا عن ديارهم وسُلبوا أراضيَهم لن تنطفئ. وانّ الغابات وكُلّ المساعي لإخفاء معالم القرى العربيّة لن تُفلح في خَدع الناس كُلّ الوقت.

أمّا البروفيسور جرشون شيكد[1] فيقول انّ العربي في القصّة مظلوم والحارس اليهودي في الغابة مظلوم أيضاً يتعذّبهم في مخاوفه وأوهامه عذاباً مثل العربي المعذّب جسديّاً . وفي النهاية يتغلّب العربي على ظالمه بالحَرق المتعمّد . ويضيف شيكد قائلاً انّ أ. ب. يهوشوع يريد أن يقول ليس هناك مُطارَد ومُطارِد ... كُلّ واحد مطارَد على نسقه. والتوافُق بين الحارس اليهودي والحارس العربي هو توافُق بين ضحيّتَين.

(١) جرشون شيكد: (لا يوجد مكان آخر) ، ص ٧٦ .

أمّا عاموس كينان فيتحدّث في قصّته (الطريق الى عين حَرود)[1] عن انقلاب في اسرائيل ؛ ولعلّه انقلاب عسكري أو ثورة . في بحثنا هذا لن نتطرّق الى الانقلاب أو الثورة ؛ بل سنتطرّق الى موضوع العربي سواء أكان جماعةً أو فرداً في هذه القصّة ، حتّى نتبيّن مواقف الكاتب وآراءَه من العرب والإنسان العربي الذي يدور حوله موضوع القصّة .

يحدّث عاموس كينان ، وهو صحافيّ ، يعمل في صحيفة (يديعوت أحرونوت) عن ثورة داخليّة تنشب في إسرائيل ، وهي ليست ثورة بيضاء ؛ بل قاسية يذهب ضحيّتها كثيرون من الناس ، وتقوم الفرقة(ولعلّها فرقة عسكريّة) بالانقلاب وتقتل مَن يقاومونها ولا يحملون أفكارها ومبادئها . ولأنّ عاموس كينان يساري يداهم بيته رجلان مسلّحان يريدان قتله ، ولكنّه يرميهم بمادّة غازيّة.كان يحتفظ بها في بيته تحسُّباً من اعتداء اليمين المتطرّف عليه بسبب آرائه ، فيُغمَى على المسلّحَين، ويبدأ عاموس بالهَرَب لتأكّده من أنّ بقاءَه في تل - أبيب سيعرّضه للقتل. ومن سوء حظّه أنّ زوجته وأولاده كانوا خارج المنزل، ومع ذلك يهرب وحدَه قاصداً عين حرود (عين جالوت) الواقعة قرب طبريّا ، لأنّها مكان أمين، لا تصل اليه أيدي الطُّغمة التي قامت بالانقلاب . ويسمّي عاموس القرية باسم عين حرود المحرَّرة. ويلتقي في أثناء هَرَبه بعربي يقال له (محمود) من قرية الطيرة(في المثلّث). وكان هارباً من وجه الانقلاب ، ولم يسبق لعاموس كينان أن تعرّف على محمود ، غير أنّ هدفهما المشترَك - ألا وهو النجاة من الموت المحقّق - جمعهما . ويسيران معاً ، وتعترضهما المصاعب والمشقّات ؛ فالطريق الى عين حرود بعيدة وصَعبة ووعرة ، وتوجد في بعض الأماكن القريبة منها فِرَق مُوالية لطُغمة الانقلاب . وفي أثناء الطريق يُلقَى

(١) هي عين جالوت عندنا.

القبض على محمود وكينان . ويستطيع كينان الفرار، أمّا محمود فيكون مصيره القتل على أيدي الجنود.

هذا ملخّص القصّة باختصار. ويمكننا القول انّ عاموس كينان في قصّته هذه كان كمَن يحذّر من سيطرة اليمين المتطرّف على اسرائيل ، ويصوّر النتيجة التي ستؤول اليها فيما إذا نجح هذا اليمين الذي سيبيد إبادةً جسديّةً كلّ مَن يخالفه ويحمل آراء ليبراليّة أو ديمقراطيّة مناوئةً له. فقصّته كانت بمثابة نبوءَة وتحذير من ترك الحَبل على الغارِب لجيل اليمين؛ لأنّ الخطر كامن في استمرار اليمين في مسيرته. وهي بحقّ صيحة مدوّية في وجه كُلّ اسرائيلي كي يهبّ ويعمل لكبح جماح اليمين، فالفِرار والتشرُّد سيكونان مصير اليهود ، وطبعاً مصير العرب . وبكلمة أُخرى : الانقلاب اليميني المتطرّف ليس خطراً على العرب وحدهم فقط ، بل على اليهود أيضاً. لذا يتحتّم على كلّ اليهود العقلاء أن يعملوا كلّ ما في استطاعتهم كي يكبحوا اليمين الجامح.

يقول كينان في قصّته : (... طردناهم واحتَلَلنا قرية وهب ...)[1] ؛ ففي هذه الجملة يعترف بطرد العرب من بيوتهم ، ويعترف كذلك بقتلهم. وبما أنّه اسرائيلي فهو يعترف بأنّه مُحتلّ . كذلك يسخر من الفنّانين والأُدباء اليهود لأنّهم يسكنون بيوتاً في مدينة يافا أصحابها عرب (أصبحَت بعد تشريدهم أملاك غائبين) لأنّ الفنّان والأديب يجب ألاّ يرضى بالسكن في بيوت طُرِدَ أهلُها ؛ لأنّ على الفنّان أن يقاوم الاحتلال ويبادر الى نصرة الشعب المظلوم . فعاموس يرى في قبول الكاتب أو الفنّان السكنى في دار عربيّة كمَن يكرّس الاحتلال ويدعمه ، بينما واجبه كإنسان موهوب أن يقاوم الاحتلال والتشريد والظلم. فهو في مكان آخر يقول في هذا :

---

(١) عاموس كينان : الطريق الى عين حَرود ، ص ١٧ .

(... أمّا بخصوص يافا القديمة ومَن يقيمون فيها، فَمِن المعروف أنّه يسكن هناك فنّانون وكُتّاب... ولكنّ هؤلاء الفنّانين والكُتّاب من النوع الذي لا يتورّع عن السكنى في بيوت غادرها سكّانها الأصليّون في سنة ١٩٤٨...)[1].

وعندما يصادف عاموس كينان في طريقه (محموداً)، يطرح عليه السلام، ولكنّ محموداً لا يجيبه. ولكنّه يكرّر السلام عليه وهو شاهر مسدّسه، فيجيبه محمود: (... لا يطرحون السلام والمسدّس مشهور. انّني في سبيل السلام المقرون بالأمن - يجيبه عاموس. ويسأله عن اسمه فيجيبه محمود: اسمي محمود، اذا كان هذا الاسم لا يزعجك، ولن يكون لك السلام...)[2].

ولعلّ عاموس كينان في هذه الفقرة يريد أن يصوّر لنا كذلك اليهودي العادي في اسرائيل الذي يريد السلام تحت تهديد السلاح ولا يريده سلاماً حقيقيّاً قائما على الاعتراف بحقوق الآخرين. وفي الوقت نفسه يصوّر لنا العربي الذي لم يُرِد السلام بالرغم من المسدّس المشهور في وجهه.

وفي القصّة سخرية لاذعة مِمّن يؤمنون بمبدأ فَرض السلام بالقوّة والسلاح؛ ذلك المبدأ الذي يقتنع به كثيرون من الاسرائيليين. وفي الوقت نفسه يعترف الكاتب بأنّ تصرُّفات اسرائيل مع العرب كانت قاسية ظالمة حتّى في حياتهم اليوميّة؛ لذلك لا يستغرب أن تنتزع من قلوب العرب الشفقة والرحمة. وفي هذا الصدد يقول: (... سافرت ذات مرّة مع راشد، وكان سفرنا بالضبط في هذا المكان في الطريق الى وادي

---

(١) عاموس كينان: الطريق الى عين حَرود، ص ٩.
(٢) المصدر نفسه، ص ٢٧.

عارة وقد سألته لماذا لا يذرف الدموع أيضاً على ابني الذي مات ، بينما هو يبكي على ابنه؟ ولكنّه لم يُجبني . غير أنّي توصّلت الى الجواب بنفسي بعد مرور سنوات . انّ العِقاب الشديد الذي نُنزله بأولئك الذين نظلمهم هو الذي جعلهم لا يفكّرون بالمصائب التي تحدث مع الآخرين. والعِقاب الذي نُنزله بهؤلاء الذين نظلمهم هو الدافع لأن يقوم هؤلاء بإنزال مظالم على الآخرين، ودون أن يشعروا . . .)[1].

في هذه الفقرة يعترف كينان صراحةً بأنّ الإسرائيليين ـ وهو منهم ـ قاموا بأعمال مجحفة بحق العرب ؛ الأمر الذي جعل العرب لا يشفقون على الإسرائيليين ، حتّى انّ راشداً[2] صديقه لم يبكِ ابنَ كينان على الرغم من أنّ الموت الذي أودى بابن راشد كان الموت الذي أودى بابن كينان ؛ والموت عدوّ العرب وعدوّ اليهود على حدّ سواء . ولكنّ الظلم الإسرائيلي هو الذي جعل راشداً يفرّق بين موت طفل عربي وموت طفل يهودي. كما أنّه يخلص الى الرأي بأنّه يجب ألاّ نعاتب العرب على أيّ عمل عدائيّ يقومون به لأنّنا نستحقّ ذلك بسبب ما اقترفناه بحقّهم. نحن لا نستحقّ الشفقة مطلقاً.

ويدور جدال بين محمود وعاموس من جهة، وبين جنرال إسرائيلي من جنرالات الانقلاب من جهة أخرى، أسَرَه كينان ومحمود وهما في طريقهما الى عين حرود. ويسأل الجنرال محموداً عن طفولته فيجيبه: (لم تكن لي طفولة. ..)[3]. وبهذه العبارة يختصر كينان وضع العرب والآباء الفلسطينيّين وأطفالهم منذ قيام دولة

(١) عاموس كينان: الطريق الى عين حَرود ، ص ٤٣ .

(٢) المقصود براشد هنا هو الشاعر الفلسطيني الراحل راشد حسين.

(٣) عاموس كينان: الطريق الى عين حَرود، ص ٤٤ .

إسرائيل وما عانوه فيها من شقاء، سُلِبَ الأطفال حتى طفولتهم ومرحها. وكأنَّه بذلك يكرّر إشارته الى أنَّ الشعب الإسرائيلي هو السبب في سلبهم مرحلة الطفولة وبهجتها.

غير أنَّ الجنرال يقول لمحمود: (... أنتَ وأَمثالك كان يجب أن يُقضَى عليهم وهم في عهد الطفولة...)[1].

وهذه صورة عن نفسيّة اليمين الشرّيرة التي لا تتورّع عن الإبادة الجسديّة.

---

(١) عاموس كينان : الطريق الى عين حَرود ، ص ٤٤ .

العرب هم العدوانيون دائماً

يبدو أنّ الخلافات التي وقعت بين العرب واليهود وعلى امتداد عقود عديدة ، ما زالت المعين الذي يغترف منه الأدباء العبريّون كثيراً من موضوعاتهم الأدبيّة. وربّما كانت هذه الخلافات محور كثير من القصص التي تصوّر اليهودي مظلوماً ، والعربي هو المعتدي. وتصوّر اليهودي دائماً مادّاً كلتا يديه الى العربي عارضاً السلام وإصلاح ذات البَين ، والعربي يرفض هاتين اليدين . نجد اليهودي في هذا الأدب يحاول المرّة تِلوَ المرّة العمل من أَجل السلام ، محاولاً أن يفسّر للعربي أنّ على الطرفين أن يتعاونا من أَجل حياة أفضل ، ويظهر العربي في هذا الأدب غير مقتنع بكلام اليهودي ، لا يرى أيّ مجال لتعايُشه السلمي مع اليهود؛ فيعتدي على اليهودي دائماً فيسلب أملاكه وينهبها. وإذا ما نشب خلاف بين عربي ويهودي فإنّ العربي لا يلجأ الى الحلّ السلمي ، ولا يحكّم العقل ولا المنطق؛ بل يلجأ دائماً الى السلاح؛ فهو عديم الشفقة، عديم الضمير ... انّه مخرّب ، قاتل ، مجرم. لا يراعي حُرمة النساء والمُسنّين والأطفال. يستخفّ بالأرواح ، وينتهك حُرمة الأماكن المقدّسة ، ويستغلّ ضعف الإنسان ، ويحترم القوّة. وإذا احترم العربي إنساناً ما ، فإنّه لا يحترمه إلاّ عن خوف. وبكلمة أُخرى، فالعربي يفهم لغة القوّة فقط.

ولا ريبَ في أنّ اليهود قد استعملوا هذه النغمة في كلّ مراحل صراعهم السياسي لغرض الدعاية في مختلف أنحاء العالَم ؛ ولا سيّما في العالم الغربي. فهم يُجيدون إجادةً تامّةً إظهارَ أنفسهم مظلومين مغلوبين على أمرهم أمامَ العرب . وبفضل هذه الدعاية استطاعوا أن يكيبوا عطف الغرب عليهم . وبالتالي أقنعوه بضرورة مساعدتهم

ودعمهم؛ وقد تمثّل ذلك في مجال الدعاية والإعلام الغربيّين.

ومَن يراجع تاريخ القضيّة الفلسطينيّة مراجعة متأنّية ، أو يتصفّح هذا التاريخ بسرعة ، يقع على نماذج من هذه الدعاية التي وجدت لها سوقاً رائجةً وآذاناً صاغيةً وأصداء واسعةً في الغرب ، على عكس الدعاية العربيّة التي لم تجد مَن يصغي اليها في العالم الغربيّ ؛ ولعلّ العرب لم يحسنوا استغلال هذه الناحية في مجال دفاعهم عن قضيّتهم.

ويصوّر اليهودي نفسه مِسكيناً ، والعربي معتدياً يغتصب حقوقه.العرب ـ كما يصوّر الإعلام الإسرائيلي دائماً ـ لا يفسحون المجال أمام اليهود ليتدبّروا شؤونهم بهدوء وطمأنينة ؛ فهم يخترقون الحدود في الليل، ويزرعون الألغام ، ويقتلون النفوس البريئة، ويُتلِفون الممتلكات .

وسأحاول في الصفحات التالية أن أعرض لبعض القصص التي تصوّر ما أشرت اليه آنفاً ؛ بسرد أمثلة لِكتّاب اسرائيليين مختلفين يصوّر بعضها أحداثاً وقعت قبل عام ١٩٤٨ ، ويصوّر بعضها الآخر أحداثاً وقعت بعد هذا التاريخ.

يتحدّث عوديد بيتسر في قصّته (قصّاصو الأثر من الحدود الشماليّة) عن مستوطَنة وادعة في شمال البلاد لم تسلم من عدوان العرب ؛ فهم دائماً يعكّرون صفوها بهجماتهم المتكرّرة بإطلاقهم النار وزرعهم الألغام؛ حتّى تحوّلت حياة اليهود فيها الى جحيم لا يطاق... فكثيراً ما قضَوا أوقاتهم في الملاجئ.

(فالعرب يطلقون النار من موقع يدعَى قبر الشيخ ... وفَجأةً يُسمَع دويّ انفجار قويّ . ويعود أحد رجالنا من الحقل ليقول انّ (أفرايم) قد أُصيب بجراح؛ مرّت

سيّارته على لغم زرَعَه العرب في الطريق الترابيّة المؤدّية الى الحقل)[1]. ويقول أحد الجنود الإسرائيليين : (فليقاتلونا نحن الجنود. لماذا يعتدون على المواطنين العزل؟ انّ باستطاعتهم أن يقتلوا أيضاً أطفالاً ونساءً وشيوخاً . أيّ نوع من الرجال هُم؟)[2].

ويصف يهوآش بيبر في قصّته (القائد الأوّل ليهودا) اعتداء العرب على مسيرة يهوديّة[3] بمناسبة الأوّل من أيّار كانت تخترق شوارع يافا عندما قامت فئة من الشبّان والزعران العرب باقتحام المسيرة؛ فدبّ الذعر والفوضى في نفوس المشتركين فيها . ويستطرد بيبر فيذكر عملاً إجراميّاً قام به جمهور كبير من العرب بقتل ثلاثة من الكُتّاب اليهود العُزل ؛ وهم: حاييم برينر، والشاعر تسفي شاحر، والأديب الشابّ يوسف لوتيدور، وكانوا يسكنون في إحدى ضواحي يافا. كما قُتل في تلك الأثناء بعض المهاجرين وأُصيب عدد من الأطفال والنساء[4]. ويصف هذا القاصّ أنّ عمليّة الاعتداء صاحَبَتها أصوات الفرح والأهازيج المنبعثة من بين عرب يافا .

ليست هذه الحادثة وليدة خيال كاتب ؛ إذ إنّ الكاتب جعل من حادثة مسيرة أوّل أيّار عام ١٩٢٠ مادّةً لقصّته؛ فقد فطن شيئاً وغابت عنه أشياء؛ فلقد بدأ الاصطدام يومَذاك بين جماعة موبس(نواة الحزب الشيوعي الفلسطيني الأولى) وحزب أحدوت هعفوداه في أثناء سَير الجماعتَين وهما متّجهتان نحو أحياء يافا العربيّة؛

---

(١) عوديد بيتسر: قصّاصو الأثر من الحدود الشماليّة ، ص ٩ – ١٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٨ .

(٣) يهوآش بيبر : القائد الأوّل ليهودا، ص ١٢٨ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٣٠. وانظر أيضاً: موشيه شمير : حياة شعب إسماعيل ، ص ١٧ حيث يسرد الحادثة نفسها، ولا يدّخِر جهداً في الطعن بالعرب كما فعل يهوآش بيبر.

الأمر الذي جعل أهالي يافا العرب يتصوّرون أنّ اليهود ينوون الاعتداء على يافا. ولا بُدّ من صدّ الاعتداء. هذا لم يورِده بيبر في قصّته مكتفياً بتصوير العرب بالوحوش المعتدية. هذا الى أنّه لم يوضح السبب الذي حدا باليهود الى أن ينطلقوا في مسيرتهم هذه نحو الأحياء العربيّة ، وألاّ يكتفوا بالسير داخل المناطق التي يقيمون فيها.

أمّا قصّة (افرات) للكاتب والناقد ايهود بن عيزر ، وفيها يسرد حوادث وقعت في منطقة صفد سنة ١٩٢١ بين العرب واليهود ، فيقول فيها[1]: انّ العرب قاموا بأعمال وحشيّة ، جعلته يتصوّر العربي كائناً حيّاً لا يعرف الرحمة ولا الشفقة؛ فالقتل والإجرام غريزة من غرائزه ، وهواية من هواياته. وأشهَر ما لديه لون الدم الأحمر القاني. يقول في قصّته: انّ العرب باغتوا اليهود واعتدوا عليهم كالحيوانات المفترسة، وأخذوا يسرقون ممتلكاتهم ويقتلونهم.

واشترك في هذه الحوادث أهالي القرى والمدن العرب المدجّجون بالأسلحة، وهاجموا اليهود ، وسلبوا ملابس الرجال والنساء ، وطردوهم من صفد وهُم عُراة، ومزّقوا الوسائد ، ونثروا الريش الذي حُشِيَت به. واستمرّ العرب بعد ذلك يعذّبون مَن تبقّى من اليهود؛ فاضطُرّوا الى اللجوء الى الكُنُس والمدارس الدينيّة.

ومع ذلك لم يَسلَموا ؛ فقد طاردهم العرب حتّى في المعابد والمدارس ؛ الأمر الذي اضطرّهم الى الهرب الى الجبال والقرى المجاورة لصفد ؛ مثل: عين الزيتون ، بيرية، وميرون حيث كان لليهود معارف من العرب الذين وعدوهم بالدفاع عنهم لقاء تسلُّمهم مبالغ كبيرة من الأموال. ويهاجم العربُ اليهودَ وهُم في طريقهم عُراة حُفاة.

---

(١) ايهود بن عيزر: افرات ، ص ١٩ .

لقد توجّهت بعض النساء اليهوديّات الى بيت القاضي المُسلم . وعندما وَصَلنَ اليه وَجَدنَ البوّابة مغلقة تحرسها امرأة منعتهنّ من الدخول . وعندما رأت هذه الحارسة في عُنُق (تسيبورة) عِقداً انتزعَته من عنقها بالقوّة مسبّبةً لها جرحاً فيها . ويتماكى بن عيزر في وصفه النساء والبنات اليهوديّات وهنّ عاريات ، يتراكضن يبحثن عن ملجأ يختفين فيه من وجه المعتدين، وقد تكشّفَت أجسادهنّ وصِرنَ فريسةً لنزوات اللصوص .

وقام العرب بقتل الكثير من السكان اليهود الذين لم يستطيعوا الهرب كما يقول ايهود بن عيزر ، حتّى الحاخام شبتاي ليفي الذي فرّ الى المقبرة مع بعض أقربائه ليختبئ فيها ، طالته أيدي اللصوص وطعنوه، وفقأوا عينَيه على مرأى من أقربائه.

ولم تسلَم الكُنُس من الاعتداءات ؛ فقد قام المتوحّشون (كما يقول صاحب القصّة) بتعذيب النساء والرجال ، وانتهكوا أعراض النساء على مرأى من أزواجهنّ وأولادهنّ ، ومَن حاولَ من الرجال الدفاع عن عِرضه كان يُقتَل فوراً . . .

هذا ملخّص لقصّة (افرات) التي وصف فيها كاتبها العرب بأنّهم متوحّشون مجرّدون عن كلّ القِيَم الإنسانيّة، ولا يراعون مشاعر الآخرين الدينيّة والاجتماعيّة. ولم يذكر لنا صاحب قصّة (افرات) الدوافع التي دفعَت العرب ليقترفوا مثل هذه الجرائم.

على أنّ صاحب قصّة(افرات) وصف المذابح التي حلّت بيهود صفد وما تعرّضوا له من اعتداءات ، اعترفَ في القصّة نفسها أنّ يهود صفد هربوا من المدينة الى بعض معارفهم من العرب في القرى المجاورة؛ أي أنّ معارفهم من العرب حمَوهم ؛ ومع ذلك لم يتورّع عن وصف جميع العرب بأنّهم قَتَلَة !! وهذا تناقُض لم يفطن له.

لكنَّ أكرم زعيتر يتطرّق بدوره الى هذه الحادثة، ويذكر الأسباب التي دفعت العرب الى الوقوف ضدّ اليهود ، والتي لم يُشِر اليها الكتّاب اليهود. يقول[1] أكرم زعيتر شارحاً أسباب حوادث سنة ١٩٢١ ، انَّ السبب في هذه الحوادث يكمن في أنّ الحكومة البريطانيّة منحت يهوديّاً امتيازاً لتوليد الكهرباء مدّته سبعون سنة ؛ وذلك بالاستفادة من مياه نهر الأردن وحوضه وروافده ، ونهر اليرموك وجميع منابعه ، ورخّصت له أن يستعمل بحيرة طبريّا خزّاناً للمياه، وأن يبني ما يشاء من المحطّات والمعامل . كما مُنِحَ حقّ استثمار نهر العوجا. ويقضي الامتياز بألاّ يُسمَح لأحد غيره بإنارة أيّة بلد من فلسطين . كما سنّت أيضاً قوانين لحماية الصناعات اليهوديّة مِمّا أدّى الى اندلاع حوادث مماثلة في يافا في ١ مايو سنة ١٩٢١ واستمرّت ١٥ يوماً ، انقضّ فيها العرب على مركز المهاجرة الصهيوني حيث قُتِلَ بعض اليهود . ثمّ هجم الثوّار على بعض المستعمرات اليهوديّة بين يافا وطولكرم.

ولا يختلف يهودا بورلا في روايته (زوج في شعبه) عن ايهود بن عيزر في وصفه العرب بالوحشيّة في أثناء احتجاجات آب ١٩٢٩ ؛ فيبالغ في وصف المجازر التي اقترِفَت في القدس والخليل وصفد وحيفا وغيرها؛ مِمّا أدّى الى مقتل (١٢٠) يهوديّاً من الرجال والنساء والأطفال.

ويسهب في الحديث عن حوادث الخليل ، التي أسفرت عن مقتل (٦٤) شخصاً مِمّا اضطرّ اليهود الى النزوح عنها والسكن في أنحاء مختلفة من البلاد.

وفي مكان آخر من نفس القصّة يؤكّد الكاتب أنّ العرب قاموا باقتلاع ألف شجرة من أراضي كيبوتس

---

(١) أكرم زعيتر : القضيّة الفلسطينيّة ، ص ٦٥ .

مجاور للقدس .

وبورلا مثل ابن عيزر ، لا يشير في كثير أو قليل الى الدوافع التي أدّت الى هيجان العرب على اليهود، بينما ـ وفي الوقت نفسه ـ يشيران الى الحماية التي لقيها اليهود من العرب . وتفيد أحداث تلك الأيام أنّ العرب في الخليل وصفد وغيرهما من المدن حموا اليهود وصانوهم ودرأوا عنهم العدوان[1]. وهذا يعني أنّ الكاتبَين لم يحاولا أن يكونا موضوعيّين ؛ لأنّ الموضوعيّة تفرض عليهما أن يذكرا المواقف الإيجابيّة العربيّة الى جانب ما يريانه سلبيّاً .

والقارئ للأدب العبري يلاحظ أنّ كتّابه يتكرّمون على العربي (بصفات) و(نعوت) لا تليق بحقّ أيّ إنسان ساقط من السوقة ؛ فهو سرّاق ، كذّاب ، منافق، ذو وجهين ، يغتصب النساء والبنات ، معتدٍ ، بلا مبادئ، وغريزته الجنسيّة هي التي توجّهه. هذا الى جانب أنّه يحبّ القتل(قتل اليهود) ، ويحنث بوعده، ويحبّ المال ، ويمكن شراؤه برشوة بسيطة أو بأيّ مبلغ .

وفي ما يلي بعض النماذج عن ذلك :

---

(١) لقد حَمَت عائلات عربيّة كثيرة وأخصّ بالذكر منها عائلة الحمودي وعائلة(أبو زينة) اليهود مرّات عديدة، وقد ورد ذلك في البرنامج التلفزيوني (عمود النار) المذاع من التلفزيون الإسرائيلي باللغة العبريّة بتاريخ ١٩٨٤/١/٣٠ الساعة الثامنة. كذلك اعترفت بهذا الأمر الصحف الإسرائيليّة باللغة العبريّة.

الاغتصاب والقتل

في قصّة (افرات)[1] لإيهود بن عيزر التي ورد ذكرها وهي عن الأحداث التي وقعت في صفد، والتي وصف فيها هجوم العرب على اليهود وتنكيلهم بهم(حسب قول المؤلّف)، يلتقي حسَن الشابّ العربي الصفدي بشابّة يهوديّة تدعى إفرات ويطلب منها الزواج، ويُبدي استعداده لخطبتها من أبيها. ولكنّ افرات تقترح عليه شيئاً آخر وهو أن تعطيه مبلغاً من المال كي يحميها. ويَعِد حسَن افرات بالحماية، وبأنّه لن يصيبها أيّ أذى. ولكنّه نكث بوعده وحاول اغتصابها فيما بعد.

والغريب في أمر ايهود بن عيزر أن يتّخذ من فعل حسَن هذا مسوّغاً له كي يسيئ الى العرب كلّهم ويتّهمهم باغتصاب النساء وما الى ذلك. انّ حسناً فعل ما يفعله كلّ شابّ يريد الزواج من شابّة؛ لقد طلب من افرات الزواج، وعرّض مَهراً ولم يعرض ثمناً؛ فأمر المهور متّبَع عند المسلمين وعند الطوائف غير الإسلاميّة ومنها اليهوديّة. وطلبه الزواج يدلّنا على تمتّعه بحسن الأخلاق؛ لأنّه رغب في أن يكون الزواج وَفق الديانة التي يؤمن بها، والتي توجب إعطاء المَهر. ولا شكّ في أنّ إقدامه على طلب يدها في وقت نشبت فيه الاضطرابات والاعتداءات بين الفريقين، دليل على أنّه يرى أنّ الحُبّ الإنساني فوق الخلافات الطائفيّة والدينيّة. ولو كان فَظّاً غليظ القلب (كما يحاول الكاتب وصفه) لاغتصبها في أوّل مرّة. ويزيدنا ثقةً في ما نقول أنّ افرات نفسها أَنِسَت الى حَسَن وأرادَت منه أن يحميها وصديقتها. وهي لو توجّسَت منه خيفةً لَما طلبَت اليه ذلك. أمّا القسم الأخير من الكلام وهو قوله(حنث بوعده وحاول اغتصابها) فليس في القصّة ما يبرهن على حدوثه. أمّا الاغتصاب فان لدينا الحديث الشريف حيث ينطبق على

---

(١) ايهود بن عيزر: افرات، ص ٢٧ ـ ٣٠.

العرب وغيرهم . وهو: (ما اجتمعَ رجل وامرأة إلاّ وكان الشيطان ثالثهما). فلقد كثر اجتماع حسن وافـــرات بسبب (الوعد) ، وكثر كذلك اختلاؤهما ببعض . فليس من المستبعَد أن تثور الرغبة الجنسيّة لدى شابّ مكبوت ، لا سيّما وهو مع فتاة غير محافظة مثل بنات العـــرب ، ونعتقد أنّ العرب لا يملكون هذه الغريزة وحدهـــم ؛ ويكفينا دليلاً ما نقرأه في الصحف عن حوادث الاغتصاب اليوميّة التي يقوم بها الشباب اليهود.

وفي مكان آخر من نفس القصّة[1] يتطرّق الى الحديث عن فتاة يهوديّة في قرية (حاصبيّا) أقدَمَت على قتـــل شابّ عربي حاول انتهاك عِرضها ، وهي ترعى قطيعهـــا في المرعَى عندما شدّها الشابّ من شعرها ولم يكن هنـاك مَن ينقذها ، فأشهرت السكّين التي كانت تحملها فـــي وجهه وحذّرته قائلةً: (لا تلمسني لأنّني سأقتلك حتّـــى الموت). فطعنته بسكّينها وقضَت على حياته.

ولعلّ بن عيزر أراد بذلك أن يُظهِر بسالـــــــة اليهوديّات وتفاهة العرب. ولكنّنا حتّى هذا اليوم نعـــرف أنّ علاقات طيّبة ربطَت بين شباب عرب وشابّـــــات يهوديّات . وعن تزاوج بين الشعبين منذ أقدَم الأزمان.

ونحن لا نبرّئ العرب ، أو غير العرب، من وجـــود أُناس قلائل قد يفكّرون بالاغتصاب ، ولكنّ هذه القلّـــة بين العرب تعتبَر ضئيلة إذا ما قيست بما هو شائـــع عند اليهود في اسرائيل ، وعند مختلف شعوب العالَـــم . والمراجع للصحُف اليوميّة والأسبوعيّة في اسرائيل ، يجد عشرات الحوادث الجنسيّة : الاغتصاب، الخيانـــــة الزوجيّة ، الدعارة بشكل محســوس ... بينما لا نجـــد ذلك في المحيط العربي بشكل محسوس .

---

(١) ايهود بن عيزر : افرات ، ص ٦١ .

وفي قصّة افرات [1] أيضاً يسرد لنا الكاتب حادثة على لسان راعٍ عربي اسمه أحمد بن عبيد أبو حديب من عرب المالحة: "كنت مع صديقي مصطفى بن الشيخ ربيع في الحقل متوجّهين الى خيمتنا ، ولدى مرورنا بمحاذاة الشاطئ شاهدنا ثلاثة شبّان من البدو من قبيلة الفوران ، وهم: رشيد موسى أبو سليمان، وسعيد بن شتيوي ، وهنو ابن سالم . كانوا في شجار مع شابّ وشابّة يهوديّين ، وعندما اقتربنا منهم وجدنا الشابّ اليهودي يلفظ أنفاسه الأخيرة . وعند ذلك اقترب منه رشيد وطعنه بسكّين في عنقه مِمّا أدّى الى موته . ثمّ جرّه الشبّان الثلاثة الى حفرة قريبة ووضعوه فيها وغطّوه بالرمل، ثمّ قام ثلاثتهم باغتصاب الفتاة اليهوديّة على التوالي. ومن ثَمّ ـ كما يقول أحمد ـ أُجبِر رشيد على اغتصاب الفتاة أيضاً (لكي يكون شريكاً في الجريمة) وحتّى لا يُفضي لأحد بما جرى . وعندما جاء دوري كانت الفتاة في الرمق الأخير ولم تشعر بشيء . وبعد ذلك طعنها رشيد بسكّين ودفنها في الرمل.

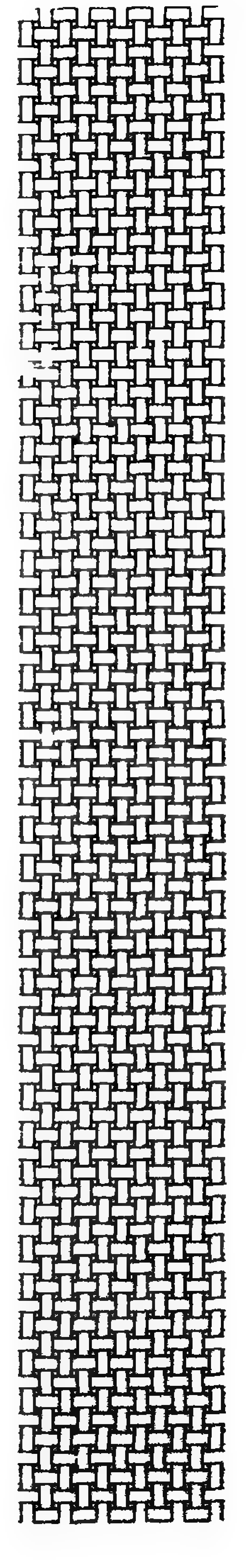
هذه، ولا رَيبَ ، صورة مفجعة، ولا يُقدِم عليها إلاّ مَن تحجّرَت أحاسيسه وعواطفه ، وكان أقرب الى الوحش منه الى الإنسان . ولكن لماذا يعمد الكاتب الى إلصاق مثل هذه الجرائم بالعرب دون ذِكر الخلفيّات والدوافع ودون الإشارة الى أنّها أحداث فرديّة؟

يريد هذا الكاتب وأمثاله الإساءة الى العرب . ولسنا هنا في صدد علم النفس أو علم الإجرام لنقول انّ المقدم على جريمة قتل كتلك التي اقترفها الشبّان الثلاثة يفقد رغبته الجنسيّة بسبب الاضطراب الذي يُمنَى به في تلك الأثناء . وأقلّ ما يمكن قوله انّ هذا الكلام مختلق، لا يمكن تصديقه. ولعلّه تحريض من الكاتب نفسه. والغريب

---

(1) ايهود بن عيزر: افرات ، ص ١١٤ .

أن تتّخذ الحركة الصهيونيّة من هذا الكتاب وأمثالـــه مادّةً لنشرها بين الشبيبة الناشئة في اسرائيل والخارج.
والمغزى من هذا واضح : التشهير بالعرب والإساءة الى سمعتهم والطعن بما عُرِفَ عنهم من نبل وكرم أخلاق.



العرب لا يفهمون غير لغة القوة

والى جانب تلك (الصفات) التي أشرنا اليها آنفاً، يحفل الأدب العبري بوصف العربي بصفات لا تقلّ عن الصفات السابقة ؛ وهي أنّ العربي لا يفهم سوى لغة القوّة ؛ فهو يحترمك أكثر ويقدّرك أكثر كلّما عاملته بقوّة وقسوة وفظاظة . القوّة هي اللغة التي يجب أن يعامَل بها العربي . واذا ما ارتفعت عنه القوّة وعومل بِلُيونة فإنّه يظنّ أنّك تخشاه ؛ فيتمرّد . فالعربي في نظر الكاتب العبري يرفض معاملته عن طريق الندّ للندّ . وكثيراً ما نجد هذه العبارة تتردّد في قصصهم ، وهي: (انّ العرب لا يحترمون جاراً ضعيفاً)(١) .

يصف يهوآش بيبر في قصّته (القائد الأوّل ليهودا)(٢) ، اعتداءات العرب المتكرّرة صباحاً ومساءً على اليهود الذين يسكنون على الحدود بين تل أبيب ويافا. فتلك الاعتداءات كانت بمثابة تسلية يتسلّى بها العرب ؛لأنّ المهاجمين من اليهود . وفي سِياق القصة يقول المؤلّف ،انّ جماعة من الشبّان اليهود اتّفقت بعد أحد الاعتداءات العربيّة على التصدّي للاعتداء بالمِثل وردّه مهما تكن قدرة العرب ، ومهما يبلغ الثمن. وبالفعل يطلق اليهود النار على العرب الذين كانوا يتقدّمون نحو أحياء تل أبيب الجنوبيّة. وعندما يسمع المهاجِمون العرب العيارات الناريّة تمرّ من فوق رؤوسهم، يتوقّفون عن التقدُّم. وعندما يحسّون أنّ مقاومة اليهود مستمرّة يبدأون بالهرب مذعورين لِلاختفاء في أحياء يافا. وفي اليوم

---

(١) يهوآش بيبر : القائد الأوّل ليهودا، ص ٢٠ .

(٢) نفس المصدر ، ص ١٣١ .

التالي يهرب العرب مذعورين عند قيام اليهود بإطلاق النار عليهم وإنزال الخسائر بهم . وعندها يعرفون جَيّداً أَنَّهم لا يستطيعون ايقاع الأذى باليهود. ويورد المؤلّف في قصته أَنَّ زعماء يافا ووُجهاءَها توجَّهوا الى الحاكم البريطاني يشكون اعتداءات اليهود على الأَحياء العربيّة.

من المعروف أَنَّ الحركة الصهيونيّة منذ نشوئها وبدء استيطانها في فلسطين كانت تسعى الى تحقيق أهدافها التي كانت ولا تزال على حساب العرب . والحقائق التاريخيّة تدلّ على أَنَّ الحركة الصهيونيّة استولت على الأراضي العربيّة وشرَّدَت أَهاليها بشتّى الوسائل.

فتل أبيب أُقيمت على أراضٍ عربيّة . ولا تزال تعود ملكيّة بعض أَحيائها لأصحابها العرب . وهي تقع الآن ضِمنَ صلاحيّات القَيِّم على أَملاك الغائبين. ومنذ أَن وطئت الصهيونيّة أرض هذه البلاد وهي تحاول الاستيلاء على مَرافق البلاد الهامَّة . والمراجع لتاريخ البلاد يجد مبدأ (العمل العبري) في برنامج الحركة الصهيونيّة . وكذلك يجد أَنَّ الحركة الصهيونيّة حصلت على امتيازات هامَّة ، بينما عاش العرب على اختلاف فئاتهم أوضاعاً اقتصاديّةً سيّئة. ولسنا هنا بصدد تفصيل الامتيازات التي منحها الانتداب البريطاني للحركة الصهيونيّة على حساب العرب . واذا سبق أَن حدث بين يُافا العربيّة وتل أبيب اليهوديّة مناوشات واقتتال، فإنَّنا نجد أَنَّ هذه المناوشات بدأَت باعتداء من الشبّان اليهود. . . كالاعتداءات على العمّال العرب في المصانع اليهوديّة لقطع أَرزاقهم(وقطع الأرزاق أشدُّ من قطع الأعناق) . ولعلّي لا أُبالغ اذا قلت انَّ العرب كانوا دائماً يَشكون من تهريب الأسلحة الى اليهود. وكانوا يطالبون دائماً بتأمين الحراسة على الأحياء

العربيّة المجاورة لتل أبيب.

ويسرد الكاتب في مكان آخر عن قيام عدد من الشبّان من قرية (زرنوقة) بسرقة العنب من كروم تابعة لشخص من أهالي (رحوبوت) يدعى (ايزنبرغ). وفي أثناء قيامهم بالسرقة يهاجمهم الحارس بإطلاق النار، ويصاب أحدهم بجراح خطرة. وفي صباح أحد الأيام التالية يقوم أهالي قرية زرنوقة بأعداد كبيرة بالهجوم على رحوبوت ومعهم أنواع متعدّدة من الأسلحة ترافقهم النساء وهنّ يزغردن وينشدن الأغاني الحماسيّة في حثّ الرجال على التنكيل باليهود. ويتصدّى السكّان اليهود للعرب المهاجمين ويمنعونهم من دخول رحوبوت، فتأخذ النسوة بالهرب ووراءهنّ الرجال، وقد تركوا أسلحتهم والأكياس الفارغة التي جلبوها ليجمعوا فيها الغنائم. ويواصل مؤلّف القصّة حديثه فيصف صراخ العرب وتضرّعهم الى الله كي ينقذهم. ويذكر أنّ بعض مشايخ قرية زرنوقة جاءوا الى بيت رئيس لجنة رحوبوت للتفاوض حول الصلحة بين البلدين. ويعلّل ذلك بأنّ العرب بعد أن رأوا قوّة المستوطنة رجعوا على أعقابهم بعد أن مُنوا بخسائر كبيرة.

وهذا الرأي شائع بين اليهود في اسرائيل. فلقد أجرى يوحنان بيرس [1] وهو أستاذ في جامعة تل أبيب، استطلاعاً للرأي دلّ على شيوع هذه الفكرة بين أبناء الطوائف الشرقيّة بشكل خاصّ؛ إذ أجاب ٨٩٪ منهم بوجود مثل هذه الفكرة عن العرب.

وتجدر الإشارة الى أنّ كاتب القصّة لم يذكر الأسباب الحقيقيّة التي حفزت العرب للقيام بهذا الهجوم المنظّم سوى أنّه كان انتقاماً للاعتداء على لصّ آثم. لم يذكر لنا لمن كانت كروم رحوبوت، بل رحوبوت

(١) يوحنان بيرس: علاقات الطوائف في اسرائيل، ص ٩٥.

نفسها ، وكيف انتُزِعَت من أيدي أصحابها ، وكيف حُرِموا منها. ولعلّ ذلك الجريح لم يكن إلاّ واحداً مِمّن خسروا أرضهم ، فحنّ اليها وجاءَها في الليل.

ويَتَّبِع ش.ي. عجنون في قصّة (من عدوّ الى محبّ) أسلوباً رمزيّاً ؛ فهو يحدّث عن صراع مع الرياح؛ ذلك الصراع الذي بدأ عندما نزل الكاتب في منطقة تلبيوت وهي ضاحية من ضواحي مدينة القدس تقع في الجنوب الشرقي منها على الطريق المؤدّية الى بيت لحم؛ حيث بنَى خيمةً ليقيم فيها(... قبل أن تبنَى تلبيوت كان يحكم كلّ البلاد ملك الرياح ووزراؤه وعمّاله. رياح قويّة تسكن في الجبل وفي السهل وفي التلّ وفي الوادي؛ تعمل ما تشاء وكأنّ البلاد أُعطِيَت لها وحدَها فقط...)[1].

وتعترض الرياح سبيله وتسأله ماذا يعمل هناك ؛ فيجيب بأنّه يتجوّل. وتهزأ منه الرياح فتهبّ وتوقع الأذى به وتهدم خيمته التي نصبها. ويقفل عجنون راجعاً الى بيته في المدينة . ولا يدع عجنون اليأس يتسرّب الى نفسه... ويعود ليبني بعزيمة ونشاط بيتاً قويّاً ذا أساسات عميقة ومتينة في المكان نفسه في تلبيوت . وتأتي الرياح مرّةً أُخرى لتجد بيتاً قويّاً لا تستطيع هدمه . ولكنّها تهدم ما حول البيت وتخرّبه . ويقوم عجنون بزراعة الأرض التي حول بيته بالأشجار. وبعد فترة انقطاع تعود الرياح فتضرب الأشجار، ولكنّ الأشجار رسخَت جذورها وصمدت أمام الرياح. ومنذ ذلك الحين صارت الرياح تزور الدار بصورة مهذّبة؛ وكذلك (تعرّفتُ أنا عليها...)؛ ومنذ ذلك اليوم أصبحنا أصدقاء ، وصارت الرياح تأتيني من الجبال والأغوار عَطِرَةً . وأصبَحتُ أُحِبُّ الرياح، وأصبَحَت الرياح تحبّني . والرياح طبعاً في هذه القصّة هي العرب ،

---

(١) شموئيل يوسف عجنون: مجموعة قصص . ص ١١٨ .

هذه الرياح التي دمّرت خيمة عجنون عندما كانت واهيةً ضعيفةً . ولكنّها لم تَقوَ على هدم بيته عندما صار متينَ الأساسِ قويّاً ، محوطاً بالأشجار عميقة الجذور. وانّ هذه القوّة علّمت العرب وفرضت عليهم أن يحبّوا صاحب البيت ... وعجنون هنا لا يختلف عن سابقيه من الكُتّاب اليهود في نظرته الى العرب من أنّهم لا يعرفون غير لغة القوّة.

ويدور الحديث في قصة أُخرى بين صاحب القصّة عجنون وعجوز يهوديّة حول طفولتها في مدينة القدس وهما يتجوّلان في أحياء المدينة وشوارعها. وفي تلك المحادثة تقول العجوز :(... كان يسكن في هذه الساحة التي تراها أمامَ عينيك أربعون عائلة يهوديّة . وكان فيها كنيسان. وكان المصلّون والمتعلّمون يتوافدون اليهما ليلاً ونهاراً . وجاء العرب واحتلّوها . ويَصِلان وهما في طريقهما الى مقهى . فتقول العجوز: انّ ذلك البيت (المقهى) كان مدرسة لتعليم الدين ، فجاء العرب وتملّكوه. ولمّا وصلا الى حظيرة حمير قالت : انّ هذا المكان كان بيتاً تُعَدّ فيه الأطعِمَة للفقراء الذين كانوا يدخلونه جياعاً ويخرجون منه شَبِعين؛ فجاء العرب وسيطروا عليه. هذه البيوت التي لم ينقطع تعليم التوراة والصلاة والصدَقة فيها ، أصبحَت مسرحاً للعرب وللحمير ...)(١).

ولا رَيبَ في أنّ عجنون أراد من سرده الحديث الذي دار بينه وبين العجوز أن يقول انّ على اليهود أن يكونوا أقوِياء كي يتمكّنوا من دفع الاعتداءات العربيّة عليهم . ولا يخفَى أنّ عجنون ـ وهو الكاتب المتديّن ـ عمد الى قضيّة حسّاسة عند كلّ شعب ، ألا وهي الأماكن المقدّسة ؛ فقد أراد أن يقول لليهود: اذا أردتم ألاّ تدنّس معابدكم ولا تُنتَهك حُرمة كُنُسكم بأيدي العرب،

---

(١) شموئيل يوسف عجنون : تهيلاه ، ص ١٤ .

فلا تحوّل الى إسطبلات وحظائر ، فما عليكم إلاّ أن تكونوا أقوياء لتجابهوا التحدّيات والعدوان.

ولا ندري اذا كان عجنون هذا يجهل أنّ العرب لا يغلّون في غيرتهم على الأماكن المقدّسة عن اليهود وعن الشعوب الأخرى في هذا العالم. ولسنا نبالغ اذا قلنا انّ العرب والشرقيّين عموماً يغارون على مقدّساتهم ومقدّسات غيرهم أكثر من غيرة الغربيّين عموماً. ولا داعيَ لاستعراض الأمثلة التي تدلّ على حماية المسلمين في شتّى مراحل مجدهم للأماكن المقدّسة التي تخصّ الطوائف الأخرى وكهنتها.

واننا نجد في مختلف أنحاء العالم العربي والإسلامي معابد ومقدّسات لم تنتهك حرماتها ولم تستبح. هذا اذا استثنينا المعابد التي استولى عليها المسلمون بعد أن اعتُديَ عليهم في الحروب الصليبيّة مثلاً. ولعلّه لو عرف أنّ دولة اسرائيل ستقوم بما يشمئزّ منه عجنون من تدنيس لمقدّسات المسلمين ومعابدهم لما اعتمد على هذه الناحية في قصته . إذ المعروف أنّ المعابد الإسلاميّة في اسرائيل بعضها مصادَر وبعضها يستعمَل لغير ما أقيم له. وعلى سبيل المثال نذكر مسجد سيّدنا علي، ومسجد عين حوض على مقربة من حيفا ، الذي أصبح مقهى ومَرقصاً . والقائمة طويلة لو أردنا أن نتحدّث عن مقابر المسلمين والمسيحيّين التي بعثرتها السلطات لتقيم عليها مساكن وأحياء وشوارع. ولا تزال ماثلة للعيان مشكلة مسجد حسن بك في مدينة يافا الذي أرادت السلطات تحويله الى متحف وسوق للأثريّات .

أمّا يوسف أريكة فيحدّثنا في قصة(منظر ليلة) (نوف ليل ليله) عن يهودي يدعى أهرون جلعادي(وهو بطل القصّة) وهو عائد ليلاً من حيفا الى بلدته تل - تسوك في لواء حيفا، ولسوء حظّه يتخلّف عن موعد

خروج السيّارة الأخيرة الى مستوطنته، ولكنّ ذلك لم يثنِهِ عن الرجوع الى بيته ، حتّى لو اضطرّ الى السير على قدميه ، ولدى وصوله الى مفترَق الطرق الذي يؤدّي الى قريته يتوقّف وينتظر سيّارة عابرة، ولمّا طال انتظاره قرّرَ مواصَلة السير في الظلام الدامس . وفي أثناء سيره :(... وَثَبَت فجأَة أمامه عصابة خرجت من كرم زيتون ، وكانوا كالأشباح المظلمة التي تنذر بِشَرّ؛ فقد سدّوا الطريق في وجهه[١] ...)؛ فتأكّد أنّه وقع في أيدي عصابة عربيّة للنهب والسلب . ويقوده رجال العصابة معهم عبرَ السهول والجبال. ويعرف من خلال حديث رجال العصابة بعضهم مع بعض أنّ أَبا يوسف هو زعيم العصابة الذي ذاع صيته في المنطقة ، والذي سبق أن اختطف كثيراً من الشبّانِ اليهود، ولم يعودوا حتّى ذلك اليوم الى بيوتهم. ويصف أبا يوسف بأنّه رجل أصيل وشجاع وقاسٍ في الوقت نفسه . وقد لفت نظر الأسير جلعادي شابٌ من بينِ أفراد العصابة كان يحدّق مليّاً في جلعادي وكأنَّ لسان حاله يقول:(... لو تركوا أمره لي لأثبت لهم كيف يقضي على كافر يهودي ، ففرض علينا أن نبيدهم...)[٢].

ويقوم أبو يوسف رئيس العصابة باستجواب جلعادي ويوجّه اليه أسئلة كثيرة ، فيها ما هو عن مكان وجوده في أثناء الهجوم على قرية تل - تسوك (قرية جلعادي) قبل أيّام . ولم ينكر جلعادي أنّه كان أحد أولئك الرجال الذين ردّوا على النار بالمثل ...[٣] . كما قام رجال العصابة بتفتيش ملابس جلعادي ، ووجدوا في أحد

---

(١) قصص عبريّة من حياة العرب ، ص ٢١٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٢٢ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٢٢ .

جيوبه صورة ابنته الصغيرة . فأخذ أبو يوسف الصورة، ونظر فيها مَلِيّاً (... فعَلَت وجهه ابتسامة ، وحدّق ثانيةً في الصورة ، مبدياً تعجّبه من شدّة الشبَه بين هذه البنت وابنته الصغيرة لطيفة ؛ انّها صورة طبق الأصل عن ابنته . انّ أعمال الخالق لَعجيبة. وضع أبو يوسف الصورة في جيبه ونظر الى جلعادي قائلاً :(... اذهب رافقتك السلامة ، الله معك ...)[1].

ويمضي جلعادي في طريقه الى بيته فرحاً مسروراً لِنَجاته من موت محقّق . ولكنّه لم يخطر بباله أن يتبعه رجل العصابة الذي بدت على وجهه علائم الحقد والغضب والتعصُّب ؛ حيث انسلّ من بين رفاقه عندما سمع أبا يوسف يخلي سبيله ، فتبعه وقد لحق به هذا العربي الحاقد بعد حِقبة قصيرة من الزمن . (... ويلتفت جلعادي الى الخلف ويحسّ بالموت يطارده ، ولكنّه يقرّر الصمود أمام السكّين المُشهَرة عليه في يد العربي...)[2]؛ وهنا تكون نهاية جلعادي بطعنة من أحد أفراد العصابة العربيّة .

ويعلق البروفيسور جرشون شيكد[3] على هذه القصة فيقول: (... انّ بطلِ قصة يوسف أريكة المدعو جلعادي كان من المتوقّع بعد أن تأسره العصابات العربيّة أن يسلك معه أبو يوسف رئيس العصابة نفس السلوك الذي سلكه القوزاق* مع اليهود . ولكن كما يتّضح من القصة انّ أبا يوسف لم يفعل ما كان متوقّعاً منه بسبب التشابه العجيب بين ابنته وابنة اليهودي.

---

(١) قصص عبريّة من حياة العرب ، ص ٢٢٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٢٤ .

(٣) جرشون شيكد : لا مكان آخر ، ص ٦٩ .

* القوزاق قبائل تسكن المناطق الجنوبيّة من روسيا ؛ وكانت تعيش على النهب والسلب . وقد ذاع صيتها في الشجاعة والوحشيّة وسوء التصرّف . وقد سلكت هذه القبائل بفظاظة وقسوة مع اليهود؛ ويضرب بها المثل لِمَن يتصرّف ببشاعة وقسوة.

فالسلوك المتوقّع هو الستيريوتيب . ويثبت بأنّه كاذب أفاق على الرغم من أنّ ما كان متوقّعاً يحققه شابّ من العِصابة يخالف أمر القائد . وهذه لعبة شفّافة في التوقّعات الستيريوتيبيّة من وجهة نظر أدبيّة ؛ أي النفي أوّلاً ثمّ إثبات المتوقّع...).

وأريكه في قصته هذه كما في غيرها من قصصه وقصص الكتّاب اليهود الآخرين ، يُظهر لنا اليهودي مطارداً مظلوماً ، وما الظالم والمطارِد إلاّ العربي. غير أنّ سِياق القصة في أوّلها يعطينا صورة إيجابيّة عن العربي . وهي لو انتهت عند إخلاء أبي يوسف سبيل جلعادي لأعطانا صورة طيّبة جدّاً عن عربي طالَما وصفوه بالشرّ والسلبيّة. ويرقّ قلب رجل العصابة هذا عندما يرى صورة ابنة جلعادي وملامحها التي تشبه ملامح ابنته. أمّا الشابّ فلم يعجبه أن يخلي سبيل جلعادي. ولقد تعمّد الكاتب في قصته أن يكون مصرع جلعادي بطعنة خنجر ذلك الشابّ الحاقد المتعصّب ليشوّه لنا الصورة التي رسمها عن أبي يوسف ، لأنّه استكثر مثل هذا الأمر على عربي.

وكأنّه يريد أن يُقنِع قارئيه بأنّ الشرّ من شِيَم العرب ، على الرغم من وجود أمثال أبي يوسف بينهم، وأنّ الإفراج عنه كان لمجرّد صدفة فقط. لمجرّد ذلك الشبه بين ابنة جلعادي وابنة أبي يوسف ، وانّ أقلّ ما توصّف به هذه القضيّة أنّها تضليل للقارئ اليهودي بشكل خاصّ ، لأنّها تلقي في روعه أن لا يثق بالعربي ؛ فالظلم من شِيَم العربي ، وإن وُجِدَ مَن كان ذا عِفّةٍ فَلِعِلّةٍ لا يظلم... والعِلّة هنا طبعاً تشابُه الطفلتَين.

ولا ندري الزمن الذي وقعت فيه هذه القصة. ولا ندري ماهيّة هذه العصابة التي يذكرها الكاتب ؛ أهي عصابة سلب ونهب أم مجموعة مسلّحة تابعة للثورة الفلسطينيّة . ومهما يكن فالأمر عند أريكه سِيّان.

ويجب الإشارة هنا الى أنّ أريكه في قصّته هذه

أراد أن ينبّه الجنود الإسرائيليّين لِئَلاّ يقعوا في أســر العرب ؛ بل عليهم أن يقاتلوا حتّى المــوت ؛ وأن يستبسلوا في القتال . وإذا لم يفعلوا ذلك فسيكــون مصيرهم كمصير جلعادي ؛ ألا وهو الموت المحقّق.

ويقدّم (ناتان شاحم) مجموعته القصصيّة (خريــف أخضر) ـ قصّة مشابهة لقصّة بورلا آنفة الذكر. وفيهــا يتحدّث ناتان شاحم عن أسير عربي وقع في أيدي الجنود اليهود ، وكان الأسير مُسنّاً ثرثاراً ولكنّه كان هادئــاً جدّاً ، وقد(تحدّث بإسهاب عن أمور مهمّة جدّاً تتعلّــق بقوّات العَدُوّ)[1]. ويقول شاحم على لسان الجندي اليهودي الذي أسر ذلك العربي انّه لم يضرب الأسير العربي ولم يأمره بالركض في تلك المنطقة حتى يتمكّن من اكتشاف الألغام المدفونة فيها. كما قام الجندي بفَكّ قيود الأسير ؛ وفي هذا يقول: (... بصعوبة بالغة منعت الأسير مــن تقبيل يدي. ولقد نَفّذَ كُلّ ما أمرتُه به؛ أحضرَ المــاء ، كما قام بمهمّات مختلفة كنت أُكلّفه بها . وكان يعــود إليّ في كلّ مرّة كالكلب العائد الى كوخه)[2].

وشاحم في قصته هذه يكيل الإهانات للأسير العربــي ويقدّمه في قصته نموذجاً عن العربي؛ فينعته بالجُبــن والخِيانة ، وبانعِدام القِيَم ، وافتقاده التحدّيــات ، واستعداده للتعاوُن مع العدوّ ؛ فهو يُفشي طَواعيةً بأسرار عن قُوّات للعدوّ دون أن يطلب اليه أحد ذلك ، ودون أن يلوّح له آسِروه بالتهديد والوعيد والضرب . وهو يقــوم بذلك حسب رأي شاحم لاعتقاده بأنّه بهذه الطريقــة ينقذ نفسه ، أو ينال إعجاب آسِره. والسؤال الذي نــودّ أن نسأله ؛ هل كان كلّ الأسرى العرب على شاكلة هــذا الأسير ، هذا إذا وُجِدَ بالفعل واحد مثله بينهم؟

---

(١) ناتان شاحم: خريف أخضر ، ص ٤١ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤١ .

قد يكون هنالك أشخاص يرخصون أنفسهم ويتذلّلون ويخضعون ، ولكنّ وجود هؤلاء لا يعني على الإطلاق أنّها صفة تشمل قوماً بأكمَلِهم ؛ سِيَّما وأَنّ الكثيرين يعرفون أَنّ الأعراف الدوليّة تعطي الأسير الحقّ المطلق بعدَم الإدلاء بأيّة إفادات أو معلومات الى آسِريه . وأَنكى من ذلك أَنّ شاحم من حيث لا يدري صَوّرَ لقارئه العبري قسوة الجنود اليهود وسوء معاملتهم لِلأسرَى ، وكأنّه أرادَ أَن يقول لنا من قصته هذه على لسان العربي بطريقة غير مباشرة (بوس الكلب من تمّه حتى تنال حاجتك منه). يتحدَّث لنا عن عربي مُسِنّ أعزل . ولا رَيبَ فهو والحالة هذه لا يستطيع فراراً من آسره. فإن نجا من رصاص الجندي اليهودي فقد لا ينجو من حقل الألغام الذي يحدّثنا عنه شاحم . وقد يكون هذا المسنّ من سَقط المَتاع تجرَّدَ عن كلّ القِيَم وفقد كرامته ولم يشترك في القتال عن مبدأ أو عقيدة أو دفاعاً عن حقّ ... وأَمثال هذا يتخلّقون بالأخلاق الذليلة الحقيرة . وهم ليسوا أكثريّة في المجتمعات العربيّة . ولا يخلو أيّ مجتمَع من المجتمعات من أَمثالهم. ولعلّ تاريخ العرب منذ قيام اسرائيل مليء بمواقف تشرّف العرب في مدنهم وقراهم في الدفاع عن حقوقهم والإصرار على عدَم التفريط بها . على أنّه يبدو للقارئ العادي ومن أَوّل وهلة أَنّ الكاتب قصد الى تشويه صورة العربي، ولكنّه في الوقت ذاته أعطى للقارئ وبطريق غير مباشرة انطباعاً سَيّئاً عن الجندي اليهودي الذي دفع العربي الى حقول الألغام دون أَن ينبّهه الى أَماكن وجودها ، على الرغم من معرفته ذلك، وعلى الرغم من تأكّده من حُسن سلوكه.

(... وعندما كان الأسير يسير في طريقه في السلسلة الجبليّة يعلو فجأةً على لغم . ولقد أَحسَنّا معه عملاً عندما رميناه برصاصة وأَحرَقنا جُثّته بعد ذلك)(١).

(١) ناتان شاحم: خريف أَخضَر ، ص ٤١ .

وهذا الكلام الذي نورده ليس من (عندياتنا)؛ لأنّه وَرَدَ في مجموعة قصص (خريف أخضر) التي كتبها ناتان شاحم . انّها تصوّر بجلاء قسوة الجندي اليهودي ، أو قِسم من الجنود اليهود ؛ لأنّنا لن نكون كشاحم فنعمّم العمل السيّئ الذي يقوم به أفراد على مجتمَع . ولو وردت هذه العبارة في قصة عربيّة ، أو قام بها جنود عرب لقامت قيامة اليهود منددين ومستنكرين وشاجبين . طبعاً لم يخطر ببال شاحم أن يستنكر العمل الذي قام به ذلك الجندي؛ بل قصد من طَرفٍ خفيّ أن يشجّع الجندي اليهودي على الاستمرار على نهجه. والكاتب في هذه القصة يصوّر لنا تعطّش الجنود الإسرائيليين الى سفك الدماء العربيّة وهدرها؛ الأمر الذي يتعارض وأبسط القيم الإنسانيّة ، ويتنافى والأعراف الدوليّة التي تنص على احترام الأسرى ومعاملتهم معاملة حسنة والمحافظة على حالتهم الصحّيّة ؛ لا على إلقائهم الى التهلكة كما فعل جنديّ شاحم. طبعاً لم يشأ شاحم أن يصوّر الجندي الإسرائيلي عربيّاً أكثر من العرب ليحكم بالإعدام على مَن يخون شعبه ويُفشي بأسرار قومه الى عدوّه؛ بل أراد تصويره بأنّه يهودي صهيوني متنوّر ومتحضّر. لذلك ففعلته بقتل أسيره العربي وإحراقه جُثّتَهُ تُعَدّ عملاً أفظع وأكثر إجراماً من أيّ عمل يقوم به ذلك العربي المسنّ المتخلّف.

ولا يقف وصف ناتان شاحم لبطولات الجنود عند هذا الحدّ ؛ فهو لا يتورّع عن القول على لسان أحد الجنود في مكان آخر من الكتاب[1] بأنّهم قاموا بإلقاء جثث قتلى العدوّ في حُفَر كانت تستعمَل لجمع النفايات ... وهذا أمر مستهجَن حقّاً من جنود يدّعون أنّهم متطوّرون متقدّمون أكثر من العرب . وهذا تصرّف شائن يندى له جبين الإنسانيّة المتحضّرة لأنّ للميّت كرامته . وكرامة الميّت دفنه. هذا مع العلم بأنّ

---

(1) ناتان شاحم: خريف أخضر ، ص ٣٨ .

التقاليد العسكريّة تقتضي بأن يقوم الجنود المقاتلـــون بعد الانتهاء من مهمّاتهم بدفن جثث العسكريّين مـــن أعدائهم بمراسيم عسكريّة !!

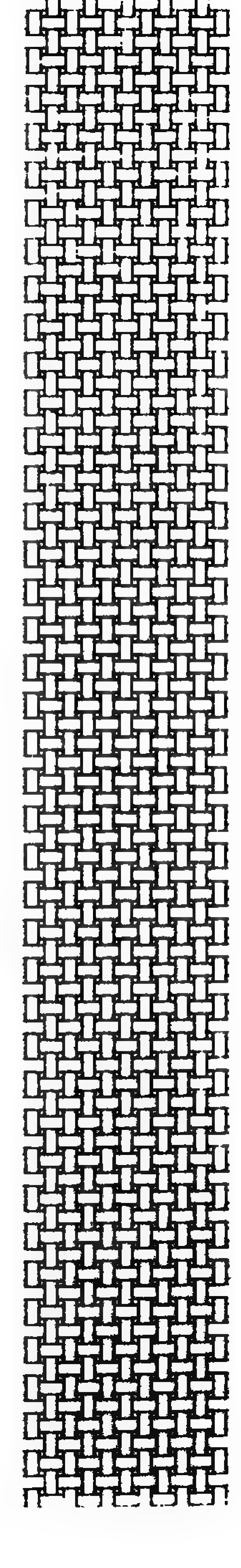
ويستمرّ شاحم ، وعلى لسان جندي آخر، بوصـــف مشاعر الجنود اليهود إزاءَ أسراهم من العرب. ويصـــل الاستخفاف بالإنسان عند شاحم في القصّة نفسها الـى أن يروي على لسان جندي يهودي آخر كيف جعل من أسيره العربي وسيلةً للكشف عن الألغام؛ فجعله يسير أمامَـــه ، وكُلّما وطئت قدماه بقعةً ولم ينفجر فيها لغم سار اليهـــا ذلك اليهودي. وهكذا الى نهاية المطاف. فإذا مـــا انفجر لغم فسينفجر تحت العربي ويودي بحياته فينجـــو الجندي اليهودي . في هذه القصة يصف أحد الجنود هـــذا الأسير بقوله: (... كان هذا الأسير يقارب الثلاثيـــن من العمر ، وتدلّ ملامح وجهه على التمرُّد؛ الأمر الـــذي أثار غضب الجميع. أمرناه أن يركض مرّتَين ففعـــل؛ أمّا في المرّة الثالثة فقد رفض وأصرّ على الرفض ، على الرغم من أنّ الجنود انهالوا عليه بالضرب المبرّح. كانت ملامح وجهه تحمل إشارات التعجُّب والاستهزاء بنـــا. وسرعان ما هرب راكضاً دون أن نستطيع اللحاق بـــه. وأطلقنا عليه صلية رشّاش أردَته قتيلاً . انّ الطريقـــة التي مات بها لم تعجبني ؛ لأنّني كنت أُحِبّ أن يمـــوت بانفجار لغم تحته...)[1].

ولا ندري اذا كان ناتان شاحم في عرضه هـــذا يمتدح بطولة أبناء جِلدته أم يحمل عليهم ؛ لأنّ هـــذه التصرُّفات ، كما أسلَفنا، خارجة عن كلّ ما هو مألـــوف في الحروب. وفي قصة هذا الشابّ العربي العنيد صـــورة تنقض من الأساس ما ذكره شاحم عن الأسير المسنّ؛ فهو يصوّر لنا شاباً عنيداً لا يركع ولا يقبّل الأيادي ؛ بـــل

---

(١) ناتان شاحم: خريف أخضر ، ص ٤٠ .

يمتاز بالاحترام الذاتي فلا ينهار بسرعة ولا يعمل إلاّ ما هو منطقيّ ، ويرفض ما هو غير معقول وفيه إهانـــــة، ولا يتردَّد حتى عن الهرَب اذا ما واتَته فرصة ؛ غير مكترث بالعواقب مهما تكن. فهو يفضّل الهرَب على الخضـــوع والرضوخ والمذلّة... هذه هي صورة المقاتل العربي . وقد صوّره شاحم دون أن يقصد ، بل انّ هذه الصورة أفلتَــت من بين يديه. ولو عرف أنّ قارئه اليهودي يمكـــن أن يفهمها كما فهمناها لَما كتبها بَتاتاً. فقد كان كلّ همّــه منصبّاً على تصوير بطولات أبناء جِلدته. لكنّه نســي أنّ ما أورده من حكايات عن هذه البطولات المزعومـــة لا تشرّف أيّ جندي؛ إلاّ اذا كان قد فَقَدَ إنسانيّتـه، وانّ رسالته أصبحت محصورة في الانتقام من العربي ، ودونما هدَف محدَّد .



معاملة العرب الوحشية للأسرى

أمّا دان مرغليت في كتابه (مظلّيّون في السجن السوري) فيحكي عن خمسة جنود اسرائيليّين وقعوا في الأسر السوري سنة ١٩٥٤ . ويسهب مرغليت ويبالغ في وصف قسوة السوريين في معاملة أسراهم اليهود ، وبما ألحقوه بهم من إهانات وإساءات ؛ وهو لذلك ينقم أشدّ النقمة على السوريين ومعاملتهم . ويورد مرغليت على لسان أحد الجنود السوريين قوله: (... دعنا نذبح أبناء الكلبة)[١]. وفي مكان آخر يقول: (... دعنا نقتل اليهود)[٢]. وفي مكان ثالث :(... دعنا نقتله، ونقول انّه حاول الهرب)[٣]. كما أنّه في سياق قصته يُظهر لنا السوريين متعطّشين للدماء ، ينهالون بالضرب على الأسرى في أثناء التحقيق لدرجه أنّ أحد الأسرى يفضّل الانتحار على البقاء في ظلّ هذا التعذيب الوحشي. وفي هذا يقول الكاتب :(... لقد ذهل السوريون ذهول احترام بسبب إخلاص ذلك الأسير اليهودي...)[٤]. ولا سيّما عندما وجدوا أنّه كتَبَ على ورقة وضعها بين أصابع قدمه العبارة التالية:(لم أخُن...)[٥].

لا نعرف كثيراً عن معاملات العرب لِمَن وقع في أيديهم من الأسرى. لكنّ الأسير مهما يَكُن جنسه ، وفي أيّ أسر وقع يجب احترامه، ويأبى كلّ أصحاب الضمائر الحيّة في هذا العالَم أن يتعرّض الأسير الى معاملة

---

(١) دان مرغليت : مظلّيّون في السجن السوري، ص ٢٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٧ .

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٧ .

(٤) المصدر نفسه، ص ١١٤ .

(٥) المصدر نفسه، ص ١١٥ .

مهينة كتلك التي يصفها عن معاملة السوريين لأسراهم. وفي هذا الصدد نذكر قولاً للسيّد المسيح ، هو: (قبل أن تنظر الى القذى الذي في عين أخيك انظر الى الخشبة التي في عينك). لا يطلب الى الآسِر أن يُنزل أسراه في فندق ذي خمسة كواكب ؛ ولكن كلّ ما يُطلب اليه هو أن يعامل أسراه معاملة حسنة تتّفق وشرعيّة حقوق الإنسان والمعاهَدات الدوليّة المتعارَف عليها في أنحاء العالَم. ومثلما قدّمت للقارئ العربي نُبَذاً من قصة (شاحم) وغيرها من انتاج قاصّين يهود ، أرجو من مرجاليت أن يُكِبَّ على قصص زملائه اليهود ، على الأقلّ تلك التي أورَدناها في هذا الكتاب ليقول لنفسه بعد ذلك ما يقوله المثَل الإنجليزي الذي معناه: (مثلما تعامِل تعامَل)[1]. ونُضيف ؛ والبادئ أظلَم.

أمّا الكاتب يتسحاق شليف فيتحدّث في قصّته (حادثة جبريئيل تيروش) عن معلّم شابّ من مواليد ألمانيا ، عمل معلّماً ومربّياً لصفّ في المدرسة الثانويّة (جمناسية) في القدس في الثلاثينات. كان هذا المعلّم يعمل في النهار في المدرسة. وفي الليل كان يقود مجموعة من الشبّان اليهود ، كانت مهمّتها الانتقام من العرب بشتّى الوسائل. ويصف شليف جبريئيل (بطل قصّته) بأنّه (سوبرمان) يتفوّق على غيره ـ وطبعاً على العرب أيضاً.

في إحدى حصص التاريخ وكانت عن الصليبيين وحملاتهم يبادره أحد الطلبة في أثناء النقاش بالسؤال: (هل من المستحَبّ أن نقارن بين علاقة العرب والصليبيين وعلاقة العرب والاستيطان العبري؟)[1]. ويجيب المعلّم عن ذلك بقوله: (... نحن مجبَرون على هذه المقارنة؛ إذ علينا أن نستخلص العِبَر ، إذا أردنا ألاّ تتكرّر

---

(١) يتسحاق شليف : حادثة جبريئيل تيروس ، ص ٢٦

الأشياء بتلك الطريقة نفسها. علينا أن نعرف كيف نندمج في المنطقة ونجتلب كلّ ذرّة من القوّة التي بإمكانها أن تعمل لصالحنا، وأن نستغل كُلّ خلاف ينشب في صفوف أعدائنا بشكل أفضَل مِمّا استغلّه الصليبيون)[٢].

وفي مكان آخر يقول: (... كانت المشكلة أمامَ الصليبيين هي كيف يصمدون وهم قِلّة ذوو تفوُّق نوعي في محيط ذي تفوّق عددي... ألا يذكّركم هذا بشيء؟)[٣].

ويبتسم الطلبة لأنّهم عرفوا الجواب. ولكنّ جبريئيل يضيف: (... واضح أنّه من الممكن أن يكون سبب فشلهم هو سبب فشلنا أيضاً...)[٤].

ويواصل المعلّم حديثه مع تلاميذه ليزرع في نفوسهم نظريّاته، وليحثّهم على الاستفادة من عِبَر التاريخ الماضي من جهة، والصمود في مواجهة العربي وتحدّياته من جهة أخرى: (... من المحتمل أن يترك الإنجليزي هذا المكان بشكل أسرع من اليهودي أو الفلاّح العربي. الإنجليزي سيعود الى وطنه. أمّا أنتم والفلاّح العربي فبيتكم هنا. ولن يترك الفلاّح العربي المكان إلاّ باجتثاثه. والسؤال هنا: مَن ذا الذي سيجتثّ الآخر؟ علينا أن نتذكّر أنّ في وسع الفلاّح الشرقي أن يصبح صلاح الدين...)[٥]. ويتدخّل في النقاش تلميذ من القادمين الجدد الذين يقيمون في المعابر (الأماكن التي كانت تخصّص للقادمين الجدد) وهو يهتدي بِهَدي الاشتراكيّة والتفاهم بين عمّال الشعبين العربي واليهودي، ويسأل: (أيَجِبُ أن يقتلع أحدنا الآخر؟ ألا نستطيع أن

---

(١) يتسحاق شليف: حادثة جبريئيل تيروش، ص ٢٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٦.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٧.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٧.

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٨ – ٢٩.

نعيش جنباً الى جنب؟)[1]. ويردّ المدرّس على هذا السؤال بقوله: (... لا مفرّ من الصدام كي تثور الرغبات الحقيقيّة في السلام. السلام الحقيقي ثمين وقيّم فقط عند مَن ييأس من الوصول الى هدفه عن طريق أخرى. ونحن والعرب لم نيأس بعد)[2]. ويقاطعه أحد الطلَبة بقوله: (... انّ في البلاد مُتّسعاً للشعبَين)[3]. ولكنّ هذه المقاطعة لم تعجب جبريئيل ؛ فهو لا يحبّ أن يسمع عبارات مثلها ؛ لأنّها تختلف وأيديولوجيّته. فيجيب بلهجة تنِمّ عن غضبه الخفيّ: (... ليس السؤال كَم هي قدرة البلاد على الاستيعاب ، إنّما السؤال الذي يطرح نفسه هو: هل توافق على أن يدير شؤونك برلمان أغلبيّته من العرب؟ الجواب عن ذلك طبعاً النفي القاطع. كذلك العرب لن يوافقوا على أن تدير شؤونهم أكثريّة يهوديّة. فالسؤال إذاً هو : مَن سيكون صاحب القوّة الكبرى والمقرِّرة هنا؟...)[4]. ولكنّ أحد الطلبة يعلّق على كلام المدرّس بقوله: (... انّكَ تصوّر الأمور وكأنّ الصدام أمر مفروغ منه...)[5]. ويكون ردّ جبريئيل، كعادته، محاولة لزرع بذور كراهية العرب في نفوس طلّابه بإجاباته ، ولا يتورّع من أجل ذلك عن استعمال ما يختلقه من أكاذيب بشعة: (... الحقيقة هي كذلك. ومَن يحاول أن يصوّر مستقبلاً يسوده حُسن الجِوار مع العرب ، وحياة السلام والطمأنينة والازدهار الاقتصادي، ما هو إلاّ مضلّل . والسؤال الذي سيشغل الناس في السنوات العشر... العشرين القادمة هو: مَن الذي

---

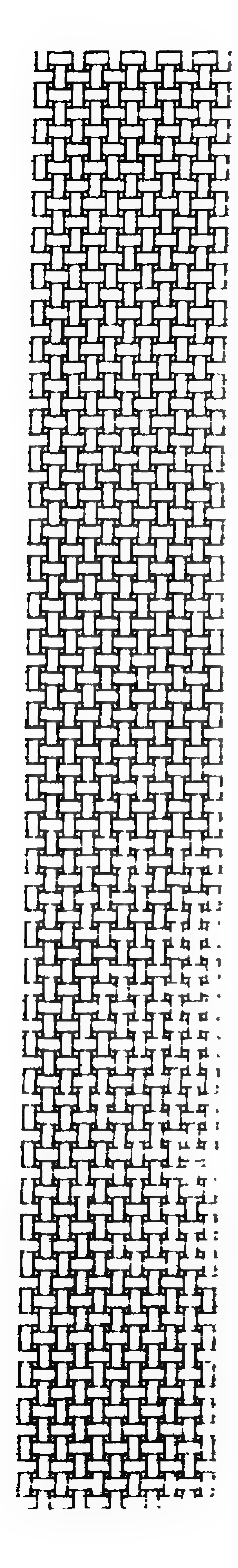
(١) يتسحاق شليف : حادثة جبريئيل تيروش، ص ٢٩ .

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٩ .

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٤ .

(٤) المصدر نفسه، ص ٣٤ .

(٥) المصدر نفسه، ص ٣٤ .



سيحكم البلاد؟ طبعاً لن يبحثوا هذا حول موائد مستديرة؛ إنّما في الساحة الواسعة المفتوحة، وبأظافرهم وبأنيابهم...)[1]. ويضيف: (... انَّ مَن يسمع أهازيج العرب وصرخاتهم في مواكب موسم النبي موسى وهم يردّدون (فلسطين بلادنا، واليهود كلابنا) أو(دين محمّد قام بالسيف) يعرف ما هي أهدافهم. وحذار أن يخطئ لأنَّ هذه هي سُنَّتهم ونظريّتهم...)[2]. غير أنَّ الطالب يسأل مدرّسه: (كيف سندافع عن أنفسنا في وجه سيف محمّد؟)[3]. ويكون جواب جبريئيل شرح نظريّته العسكريّة: (... علينا أن نبادِر الى الهجوم في كلّ لحظة تتاح لنا فيها الفرصة. مصير البلاد سيقرّره الهجوم وليس الدفاع)[4].

ومن السهل أن ينجح جبريئيل بحكم عمله مربّياً ومعلّماً في (جمناسية رحافية) وهي المدرسة الثانويّة في غسل أدمغة تلاميذه، والتأثير على عدد منهم ليجمعهم حوله، ويحبّب اليهم نظريّاته الداعية الى مقاتلة العرب والتغلّب عليهم وطردهم في نهاية المطاف. ويحدّثنا شليف كيف كان هذا المعلّم يعقد الاجتماعات في بيته مع طلاّبه حتى يتمكّن من بثّ نظريّاته بينهم، ويقوم في ما بعد بتدريبهم تدريبات عسكريّة بشنّ غارات في أثناء الليل علي البيوت العربيّة والقرى المجاورة للقدس. وفي أحد تلك اللقاءات يقول لِمَن انضمَّ اليه والى عِصابته: (... على فِرَق الهجوم والتخريب أن تتحرّك في الليالي الى مراكز العِصابات العربيّة في المدن والقرى، وتضربها ضرباً قويّاً ومخيفاً. يجب أن

---

(١) يتسحاق شليف: حادثة جبريئيل تيروش، ص ٣٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٥.

(٤) المصدر نفسه، ص ٣٥.

نترك في المكان آثار الدمار والخراب لتكون عبـــرة أمامَ كلّ أُمّ عربيّة فتحذّر أبناءَها بقولها:
(هذا ما جناه علينا اليهود). كما يجب أن نعلّمهـــا صيغة جديدة لدُعاء تستهلّ به صلاتها ، وهي:(حماكِ اللـه يا بُنَيّ من اليهود)(١).

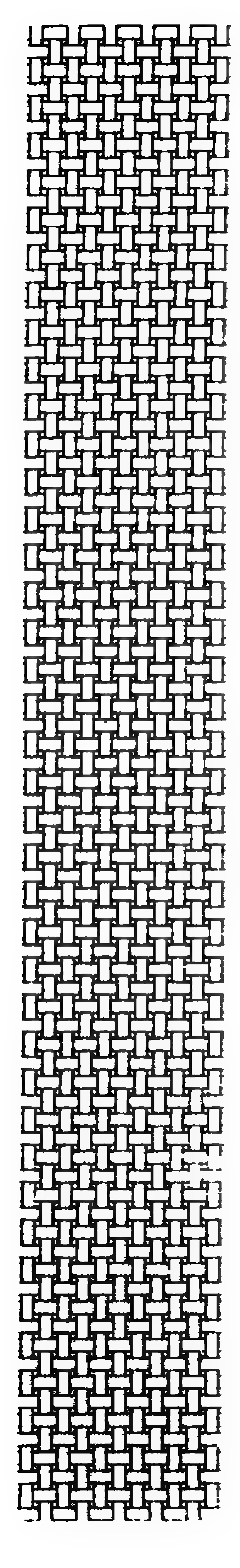
ويتكلّم المدرّس عن العصابات العربيّة مظهراً العرب كابوساً مزعجاً مخيفاً، هدفهم مضايقة اليهود ومطاردتهـــم وقتلهم وجعل حياتهم سجناً مظلماً . وهو بذلك يسعى الى شحن تلاميذه والشبّان المثقّفين حوله بكراهية العــــرب؛ فنجده يقول:(... هذه العصابات تريد إبادتكـــم أو وضعكم وراءَ الأقفال والقضبان. ومن ثَمّ سيتّسع المجـــال أمامَها لتسرح وتمرح فيه كيف تشاء؛ في هذا الفضـــاء الرحب...)(٢).

ويسرد الكاتب يتسحاق شليف في قصّته التي نحـــن بصددها حوادث سنة ١٩٣٦ من وجهة نظره طبعاً ، فيقـــول انّ العصابات كانت منتشرة في كلّ مكان. والقتـــــل والدمار الذي تحدثه تلك العصابات يتزايد يوماً بعـــد يوم. وأزيز الرصاص يعكّر صَفو الليل في أحياء القدس. ويتطرّق الى ما كانت تنشره الصحف العبريّة من حَصـــاد العصابات العربيّة وأسماء ضحاياها من اليهود . هــــذا بالإضافة الى عمليّات إحراق الحقول والغابات وقطـــع الأشجار. كما أنّه يصف فرحة العرب وشماتتهم عنـــد مرور جنازة يهودي بهم. فالجنازة في طريقها الى جبـــل الزيتون لا بُدّ وأن تجتاز أحياء عربيّة:(وهناك كنـــتَ ترى عدداً من الشبّان العرب مصطفّين على جانبَي الطريق بالقرب من الحوانيت وعلى وجوههم علامات الفرح والسرور ... وفي تلك الآونة كثر أمام الشبّان العرب عـــدد

---

(١) يتسحاق شليف : حادثة جبريئيل تيروش ، ص ١٠٠.
(٢) المصدر نفسه، ص ١٠٩ .

الجنازات فأدخل الفرح الى نفوسهم)[1].



ويقول كاتب القصّة على لسان أحد المشيّعين انّـــه سمع عربيّاً يقول: (كمان واحد)[2].

وفي القصة التي نحن بصددها حديث بين جبريئيل تيروش وقائد في الهجاناه(أكبر المنظّمات العسكريّة اليهوديّة قبل قيام دولة اسرائيل والتي أصبحت فيما بعد جيشها) يبدي تيروش في ذلك الحديث رأيه حـــول اقتراح لاختِطاف المفتي(الحاجّ أمين الحسيني): (انّـــه أفعى سامّة ينفث سمومه في كلّ البلاد. لماذا لا نحطّـــم جمجمته أو نختطفه ونحتفظ به كَرَهينة؟ ما رأيكَ بتفجير مبنى اللجنة التنفيذيّة العربيّة على كلّ مَن فيه مـــن السادة المجتمعين؟ ما رأيكَ بطرد كلّ الزعماء المتطرّفين من العرب الواحد بعد الآخر وحسبَ قائمة؟...)[3].

ويخرج جبريئيل مع بعض رفاقه لينصبوا كَميناً بالقرب من حيّ رحافية لمداهَمة المهاجِمين العرب. ويقول جبريئيل في تلك الأثناء: (... يجب قتل الأفاعي وهي بالقرب من أوكارها ... والمرحلة الثانية هي التسلّل الى القرية العربيّة التي تشكّل وكراً للقَتَلة وتدميرها عن بكرة أبيها على القَتَلة الذين في داخلها...)[4].

ويذكر جبريئيل حوادث سنة ١٩٢٩ في الخليل وهو يتحدّث الى رفاقه، ويورد أُموراً خياليّة لا يمكـــن تصديقها، ويقول: (... تذكّروا دائماً بريموس الخليل. لقد قتل في سنة ١٩٢٩ معظم سكّان الخليل من اليهـــود.

---

(١) يتسحاق شليف: حادثة جبريئيل تيروش، ص ١١٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ١١٤ .

(٣) المصدر نفسه، ص ١٤١ .

(٤) المصدر نفسه، ص ١٥١ .

وقبل عمليّة القتل ذاق اليهود هناك الأمَرّين من العذاب. فاليهود كانوا يعلّقون من أرجلهم؛ ورؤوسهم مدلاّة الى أسفل، ويشعّل البريموس تحت رؤوس اليهود...)[1].

ويضيف: (... يجب أن تنزعوا من نفوسكم كل تفكير بأنّه قد يأتي عربي طيّب وأصيل يمكن أن ينقذكم من العرب الآخرين... تذكّروا كيف أنّ بني قريظة من اليهود قد أبادهم أعوان النبيّ محمّد في الجزيرة العربيّة... تذكّروا أولئك المحمّديين القُدامَى، وتذكّروا هؤلاء المحمديين الجدد، الذين يدعون من على منابر المساجد في القدس ويافا وصفد الى قتل اليهود...)[2].

هذا ملخّص قصّة يتسحاق شليف التي اختار لها بطلاً أسماه جبريئيل تيروش. وهذه القصة تعطينا صورة واضحة عن دَور المدارس العبريّة في البلاد. فالمعروف أنّ الوكالة اليهوديّة كانت تشكّل حكومة قائمة بذاتها في ظلّ الانتداب البريطاني، وتُشرف بنفسها على الحياة التربويّة في المدارس اليهوديّة، على عكس ما كانت عليه الحال في المجتمع الفلسطيني العربي الذي كان التدريس فيه تحت الإشراف المباشر لسلطات الانتداب البريطاني؛ التي كانت تخطّط له البرامج والأساليب وكلّ ما يتعلّق بالعمليّة التربويّة. لذلك كان المربّون اليهود أحراراً في تربية أجيالهم، في الوقت الذي كان فيه المربّون العرب يعملون تحت طائلة القوانين العسكريّة الصارمة. وفي رأيي أنّ جبريئيل هذا نموذج يمثّل قطاعاً واسعاً من جمهرة المعلّمين اليهود في تلك الفترة، الذين أخذوا على عاتقهم تربية الأجيال اليهوديّة تربية تسهّل صَهر

(١) يتسحاق شليف: حادثة جبريئيل تيروش، ص ١٦٤.
(٢) المصدر نفسه، ص ١٦٤ – ١٦٥.

الأجيال الشابّة القادمة من مختلف أنحاء المعمورة في بوتقة واحدة من أجل خلق الأمّة اليهوديّة. أضِف الى ذلك إشاعة الروح العسكريّة بين الشبيبة الناشئة ليكونوا جنوداً يسعَون الى إقامة الوطن القومي.

ولعلّي لا أبالغ اذا قلت انّ جبريئيل هذا هو انعكاس لنفسيّة شليف الكاتب ذاته ؛ فنظرته الى بطل قصته كانت ايجابيّة وتدلّ على إعجاب شديد. ولم يحاول ، ولو بإشارة خفيّة هنا وهناك ، انتقاد هذا التصرُّف أو ذاك . فالروح الأساسيّة التي تدور حولها القصة هي روح الكراهية الشوفينيّة المجرّدة عن القيم الإنسانيّة والتطلّع الى السلام.

ونجد شليف يضخّم الأحداث في سنة ١٩٢٩ وكلّ ذلك ليؤجّج نار الكراهية والبغضاء في نفوس قرّائه. وأجمل شيء في القصة هو مقارنة الكاتب بين الصليبيين واليهود، حاثّاً على التعلّم من عِبَر الماضي كي لا يقعوا في الأخطاء التي وقع فيها الصليبيون . ولا ندري ما هو قصد كاتب القصة من هذه المقارنة؛ أتراه يريد أن يقول انّ الصليبيين اضطرّوا الى مغادرة الديار على الرغم من الحقبة الطويلة التي قضَوها في البلاد. ويريد من اليهود أن يعمدوا الى الهجوم دون الحاجة الى الدفاع ؛ فمصير البلاد سيقرّره الهجوم وليس الدفاع على حدّ قوله.

هذا ويحاول الكاتب في القصّة كلّها أن يدحض كلّ ادّعاء للتعايُش اليهودي العربي وكلّ قول عن وجود متّسع للشعبين كي يعيشا في وطن واحد . كما أنه ينكر أيّ وجود لعربي طيّب وأصيل ينقذ اليهود.

لقد أدخل شليف بني قريظة في قصته. وكلّ ما نعرفه أنّ النبيّ (ص) بدأ دعوته بالاتّصال بأحبار اليهود؛ حيث كان يطارحهم الآراء في دعوته وفي الديانة اليهوديّة. ولم نعرف أنّه باشرهم القتال؛ بل تؤكّد المصادر التاريخيّة أنّ بني قريظة هم الذين اعتدَوا عليه وناصبوه

العِداء . لكنّه لم يذكر شيئاً عن يهود اليمن الذين أنزلوا العذاب الفظيع بنصارى نجرانٍ في عهد الملك اليهودي اليمني ذي نُواس. والغريب أنّ إقبال اليهود على قراءة هذه القصة كان كبيراً ؛ فقد أُعيدت طباعتها مرّاتٍ عديدةً ؛ وفي هذا ما يدلّ على أنّ هذا النوع من القصص يستهويهم.

وفي قصة (غبار الطرق) للكاتب ناتان شاحم يسرد حديثاً يدور بين يهوديين عن العرب . ومن جملة ما يَرِدُ في الحديث بينهما عن تعريف العربي يقول أحدهما : (... العرب مثل الكلاب ؛ فإذا رأوا أنّك مرتبك ولا تقوم بِرَدّ فعل على تحرُّشاتهم يهجمون عليك ، أمّا إذا قمتَ بضربهم فهم سيهربون كالكلاب ...)[1]. ويضيف أحدهما في مكان آخر من القصّة :(انّ أفضل عربي هو العربي بدون نقود)[2]. أمّا اليوم فتسمع الجمل التالية والتي تتردّد على ألسنة الكثيرين من الإسرائيليين وهي: (العربي الجيّد هو العربي الميّت).(وإذا أردت أن تعرف العربي على حقيقته فيجب أن تفتح رأسه).

---

(١) قصص عبريّة من حياة العرب ، ص ٢٤٥ .

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٤٤ .

حب المال والخيانة عند العرب

ويسرد بورلا[1] في إحدى قصصه حادثة بين عربي ويهودي مفادها أنّ الهيئة القوميّة اليهوديّة (هفاعد هليئومي) تكلّف يهوديّاً اسمه جدعون (نفس جدعون بطل قصة حمدة) بمهمّة شراء الأسلحة. ويبلغه بأنّ الاختيار وقع عليه لأنّه تاجر له علاقات مع العرب. ويرضى جدعون بتنفيذ المهمّة، ويُبلّغ أنّ في (القشلة) في القدس توجد كمّيّة كبيرة من البنادق، ويُبلّغ أيضاً أنّ مدير السجن بريطاني ونائبه عربي واسمه رشيد.

ويصل جدعون الى رشيد بطريقته الخاصّة. وتتطوّر العلاقة بينهما لتصل الى حدّ الاجتماع على فنجان قهوة عدّة مرّات. وفي إحدى المرّات يطرح جدعون موضوع الأسلحة والمتاجرة بها، وذلك بطريقته الخاصّة المحكمة. ويسأل رشيد: مَن المشتري؟ طبعاً يهود! انّ اليهود يكيدون مكائدهم لِلاستيلاء على البلاد والسيطرة عليها لِيُقيموا لهم فيها حُكماً يجعل العرب فقراء. أأبيع أنا لليهود سلاحاً؟

ويقوم جدعون بطريقته الخاصّة أيضاً بمحاولة إقناع رشيد حيناً، وإغرائه بمبالغ طائلة من المال حيناً آخر ليهرّب الأسلحة من داخل السجن. ويقول له: إذا لم تَبِع أنتَ السلاح فسيقوم بذلك عرب آخرون. انّ تجّار الأسلحة عرب مسلمون ومسيحيون. بما أنّني تاجر فلا أدَع السياسة تتحكّم في التجارة. كما أنّكَ ستربح مبلغاً محترماً من المال. انني مستعدّ الآن أن أشتري ٣٠-٤٠ بندقيّة، وستربح ٢٨٠ جنيهاً مصريّاً... ويتّفقان على اللقاء في اليوم التالي. وفي اليوم التالي يأتي جدعون

---

(١) يهودا بورلا: زوج في شعبه، ص ٣٠٣ - ٣٠٧ .

ويجد رشيداً سبقه الى المقهى . وفي النهاية يجد رشيد طريقة لتهريب السلاح.

ولا تخلو هذه القصة من غمز ولمز بالعرب . بل تقصد الى تضخيم إخلاص اليهودي وحماسه لشعبه وقومه؛ فهو يضحّي بوقته ، ويعطّل متجره ، وينفق ماله ليخدم شعبه. فقد قبل جدعون المهمّة دون نقاش أو تردُّد بمجرّد أن ألقت الهيئة القوميّة اليهوديّة المهمّة على عاتقه، وقام بتنفيذها على أحسن وجه وبذكاء وحكمة ، بينما يظهر لنا العربي(وهو هنا رشيد) غبيّاً يتراجع بسهولة أمامَ المغريات الماليّة ، مع أنّه يعرف ، كما ذكر بورلا، أنّ هذا السلاح سيصل الى(الهجاناه) . في البدء يُظهِر رشيد الرفض بشدّة وإصرار، ولكن سرعان ما يتلاشى هذا الإصرار عندما يشتَمُّ رائحة المال الذي سيجنيه . يريد بورلا في قصته هذه أن يقول انّ العربي بِلا مبدأ، وهمّه الوحيد هو الحصول على المال، وليس يهمّه كيف يأتيه. وتتكرّر هذه الفكرة(فكرة حبّ المال) كثيراً عند عددَ من الكتّاب الإسرائيليين ؛ فمثلاً يقول موشيه سميلنسكي في قصته(في ظِلّ البيّارات) على لسان إحدى العائلات اليهوديّة التي تعيش في بيروت :(انّك تستطيع شراء العربي بالمال ، لأنّ المال عندهم هو كلّ شيء)[1].

وفي قصة بورلا هذه يتّهم العربي بأنّه لا يأبه لمصلحة شعبه. وهمّه الوحيد هو مصلحته الذاتيّة. ومصلحة الفرد العربي فوق مصلحة الجمهور. أمّا عند اليهود فالعكس هو الصحيح ؛ المصلحة العامّة فوق المصلحة الذاتيّة. وهو يشير أيضاً الى ظاهرة الرشوة المتفشّية في المجتمَع العربي.

وملخّص القول انّ العربي في نظر بورلا ، ونظر غيره من الكتّاب اليهود مجرّد من الشعور القومي. فيه

---

(١) موشيه سميلنسكي، في ظِلّ البيّارات، ص ٦٨ .

جشَع للمال. يميل الى الخيانة كي يحصل عليه. بينما اليهودي مُضَحٍّ ، منكر للذات ، مخلص في أداء المهمّة التي توكَل اليه.

لا ريب في أنّ أمثال رشيد هذا موجودون في بلادنا. ولكنّهم ليسوا بالكثرة التي أراد بورلا أن يصوّرها من خلال رشيد باتّخاذه نموذَجاً في قصته. وكذلك فإنّ أمثال رشيد موجودون في المجتمَع اليهودي وكلّ مجتمع.

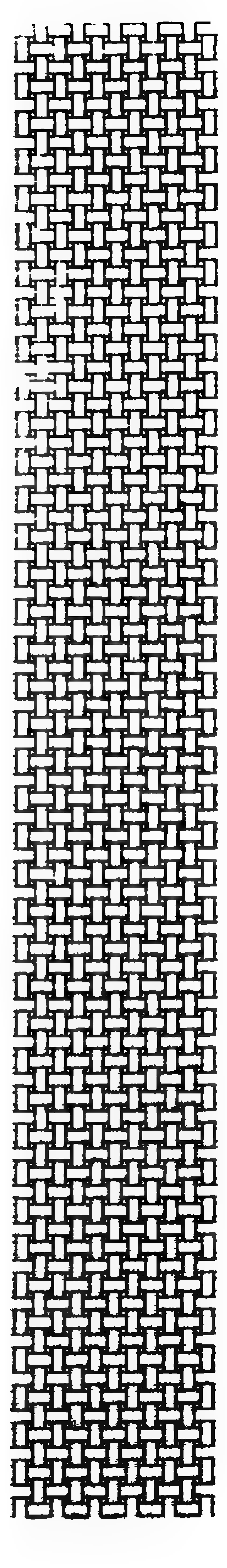
ولو رجعنا الى تاريخ الحركة الفلسطينيّة لوجدنا أنّ كمّيّات كبيرة من الأسلحة تسرّبَت الى الأيدي العربيّة الوطنيّة من المخازن البريطانيّة بالشراء أو التهريب ، عن طريق عرب مخلصين لقضيّتهم أمثال جدعون الذي أشرنا اليه سابقاً.

والغريب أنّ بورلا وغيره من الكتّاب اليهود ينسبون الجَشَع وحُبّ المال الى العرب ، بينما المشهور في الأدب العالَمي عن اليهود أنّهم كانوا جشعين محبّين للمال، وعَمِلَ أكثرهم بالرِّبا والسمسرة وما الى ذلك. ولو كان الكاتب يهدف الى البحث عن مآخذ حقيقيّة كي يلصقها بالعرب فإنّنا سندلّه على أهمّ المآخذ ؛ وهي أنّ المجتمع العربي الفلسطيني منذ القرن الماضي كان ينقصه التنظيم السليم والقيادة الحكيمة التي توجّه هذا الشعب في نضاله؛ الأمر الذي كان متوفّراً الى حدٍّ كبير بين اليهود القادمين من المجتمعات الأوروبيّة المتطوّرة.

وكان على بورلا وأمثاله ألاّ يتعامَوا عن التاريخ الذي سجّل قوائم بأسماء آلاف من الشهداء الذين مضَوا لأجل الحفاظ على الأرض مجرّدين عن كلّ ذاتيّة وأنانيّة. هذا الى أسماء كثيرين من الرجال والنساء الذين ضحّوا بالغالي والنفيس في سبيل قضيّة بلادهم.

لو راجع هذا الكاتب ضميره لوجَدَ أنّه قَلَبَ الحقيقة، ولَعَرَفَ أنّ التضحيات المادّيّة والمعنويّة التي قدّمها

العرب في سبيل وطنهم تفوق ما كان يقدّمه اليهود. ولكنّ الجواب عند سلطات الانتداب البريطاني والجاليـــات اليهوديّة.



العربي والحرب

لقد تبيَّن لنا مِمّا بين أيدينا من قصص أو موادّ أُخرى أنَّ لقاء العربي واليهودي لا يكاد يكون إلاّ في ساحة الحرب فقط . وهذا ليس أمراً غريباً؛ فقد شهدت هذه المنطقة منذ أواخر القرن التاسع عشر وحتى اليوم معاركَ وحروباً تلاقى فيها العرب واليهود في ساحات القتال : ١٩٢٩ ، ١٩٣٦ ، ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ، ١٩٧٣ ، ١٩٧٨ ، ١٩٨٢ ...... وليس لدينا ما يشير الى أنَّ حرب ١٩٨٢ هي آخر حرب أو آخر مواجَهة بين العرب واليهود.

ولكن كيف يصوّر الكتّاب اليهود ، ولا سيّما الإسرائيليين ، العربي في أثناء المعركة؟ القاسم المشترَك الأعظم للعربي مقاتلاً محارباً في الأدب العبري هو الجبن والهروب ؛ فما إن تبدأ المعركة حتى نرى العربي يلقي سلاحه ويهرب ، بل في كثير من الأحيان لا يستعمل سلاحه . ولعلّه لا يجيد استعماله. ولا يقاتل عن مبدأ. والمقاتِل اليهودي دائماً هو المنتصر، على الرغم من كثرة عدد العرب وقِلّة عدد اليهود المقاتِلين. ولا نريد هنا أن ندحض هذا القول ؛ فلقد علّمتنا الحروب التي مرّت على المنطقة تلك الحقيقة المؤلمة. ولذلك لا نطالب الكاتب اليهودي بأن يقدّم التحليل المنطقي لهذه الظاهرة ؛ ولكنّنا نأخذ عليه أن يجعلها وكأنّها ظاهرة عربيّة متأصّلة في نفس المقاتِل. واليهودي يظهر دائماً بطَلاً مستبسلاً يقاتل عن إيمان ومبدأ وعقيدة ، ويجيد استعمال الأسلحة المختلفة. بينما تسود القصة نغمة استخفاف وسخرية بالمقاتِل العربي الى جانب نعته بالمتخاذل الذي يفرّ لينقذ نفسه تاركاً زميله الجريح يلعق جِراحه، ويتخبّط بدمه، بينما نُـدّهُ

اليهودي يجازف ويغامر لينقذ رفيق سلاحه إذا ما سقط في أثناء المعركة ، ويأخذه الى المستشفى بعد إسعافه في ساحة القتال . وبكلمات أخَر ، فالعربي مجرّد من القيم الإنسانيّة ، بينما تجمّعت هذه القيم كلّها في المقاتل اليهودي.

وما يقال عن المقاتل العربي في القصة العبريّة يقال عن القيادة العربيّة؛ فهي تهرب قبل الجندي بعد أن تُلقيَ به في المعركة . أمّا القائد اليهودي فَيقدام يتصدّر الصفوف في المعركة وينادي جنوده كي يتبعوه.

عبارة(اتبعوني) على لسان القائد اليهودي تتردّد كثيراً في كتاب (عزيت الكلبة المظلّيّة) بقلم مردخاي غور رئيس الأركان الإسرائيلي الأسبَق . فهو يقول: (.. لقد تعلّمت وتعوّدت أن أقول لجنودي اتبعوني). وهذا الكتاب قصة كتبت بلغة عبريّة مبسّطة منقوطة(ذات حرَكات صرفيّة) ليتداوله القادمون الجدد من اليهود، واليهود في مختلف أنحاء العالَم. والكتاب حافل ببطولات فِرقة من الجيش الإسرائيلي تابعة لسلاح المظلّيّين، قامَت بعمليّات وراءَ الحدود داخل الأقطار العربيّة . وفي هذا الكتاب يصوّر المؤلّف بطولات تلك الكتيبة وشجاعة جنودها. وقد رافقَت المجموعة الكلبة (عزيت).

وفي أحد الفصول تجيء هذه الفقرة [1]: (... عندما التحقت بالجيش تطوّعت في فرقة المظلّيّين . وفي تلك الفترة كانت بعض فِرَق الفدائيّين* تهاجم بعض المستوطَنات الإسرائيليّة في أثناء الليل وتزرع الألغام في الطرُق. وفي أحد الأيّام كُلّفت مع سبعة مظلّيّين آخرين بمهمّة اجتياز الحدود ومهاجَمة المعسكر الذي يتسلّل منه الفدائيّون ، وكانت الطريق طويلة شاقّة،

---

(1) مردخاي غور: عزيت الكلبة المظلّيّة ، ص ٢٧ .

* يستعمل المؤلّف في كتابه كلمة(المخرّبين).

ولم نكن نعلم ما إذا كنّا سنستطيع الرجوع الى قواعدنا في الصباح أم لا. لذلك تزوّدنا بالماء والخرائط والحبال. اجتزنا الحدود، بينما بقي قسم منّا بمحاذاة الحدود ليساعدنا عند الحاجة. كانت الطريق شاقّة مضنية. ابتلّت قمصاننا بالعرق الكثير. وفجأةً أُطلقت علينا النار... وفي الحال هجمنا على المصريين وأخذنا نطلق النار من مختلف الأسلحة التي كانت لدينا(لقد أُصِبتُ بساقي) ... صاح جيلي. واستمررنا نطلق النار. وسرعان ما هبَّ المصريون. ويقترح جيلي على القائد وأصدقائه أن يتركوه وحده ويعودوا الى القاعدة كي يستمرّوا في مهمّتهم. فقال له القائد: أرجوك لا تتكلّم كلاماً سخيفاً. نحن لا نترك رفيقنا في السلاح في أرض العدوّ. وبعد مرور فترة وجيزة يرى القائد من الأفضل أن يعاد الجريح الى قاعدته. ويطلب الى الجنود أن يختاروا الجندي الذي سيرجع معه. وهنا يخيّم السكون على الجنود لأنّ كلّ واحد منهم أراد أن يشترك في الهجمة على العدوّ وراءَ الحدود.

وتنفّذ الفرقة العمليّة على أحسن وجه. ويعود الجنود الى قواعدهم. ويدخل جيلي الى المستشفى ليعالَج.

ويستمرّ غور في كتابه معدّداً العمليّات البطوليّة التي قام بها الجيش الإسرائيلي. وفي أحد الأماكن يصف عمليّة في الضفّة الشرقيّة لنهر الأردن على جبال موآب[1] ويقول الكاتب انّ الفدائيين كانوا يحاولون باستمرار اجتياز نهر الأردن الى الضفّة الغربيّة لمهاجمة الجيش الإسرائيلي والمستوطنات الجديدة في غور الأردن ... وفي أحد الأيام يكلّف القائد أحد الجنود، ويدعى موشيه بمهمّة اجتياز الحدود الأردنيّة وتدمير قاعدة للفدائيين في الضفّة الشرقيّة وفي عمق الأرض الأردنيّة على رأس مجموعة من الجنود. ويسير موشيه في

(1) مردخاي غور: عزيت الكلبة المظلّيّة، ص 1.

مقدّمة جنوده ترافقه الكلبة (عزيت) وهو يعلـــــم أنَّ العمليّة شاقّة وصعبة كما قال له القائد. وبعد مسيرة ثلاث ساعات داخل الأراضي الأردنيّة ، يصـــــل الجنـــود الإسرائيليون الي تلّ على سفحه معسكر للفدائييـــــن وقيادتهم. وقبل أن يباشروا الهجوم على المعسكر وعلـى غرفة القيادة يتحدّث موشيه الى جنوده عن الخُطّة التـــي يجب أن يطبّقوها : عليهم أن ينقسموا الـــى ثـــلاث مجموعات صغيرة، وتهاجم كلّ مجموعة مبنى معيّناً وتجمــع الوثائق الموجودة فيه ثمّ تفجّره. ويدخل الجنود من ثغـرة في السياج المحيط بالمعسكر . ويترك موشيه الكلبـــة (عزيت) في هذه الثغرة لتدلّ الجنود على المكان الـــذي سيخرجون منه. وفجأةً تدوّي عيارات ناريّة ؛ فلقـــد أحسَّ الحارس بأُناس يقتربون من المعسكر ، ثمّ أخـــذ الحرّاس الآخرون يطلقون النار.

(أمَرَ القائد الإسرائيلي جنوده بإطلاق النار. وهجم الجندي الأوّل على البيوت . وخلال ثلاث دقائق أصبـــح المعسكر في حوزة الجنود الإسرائيليين. وبسرعة خارقـة تمكّنوا من جمع الوثائق ثمّ فجّروا البيوت . دعا موشيـــه رفاقه ليذهبوا الى الثغرة قائلاً لهم: اركضوا أمامـــــي وسأكون آخر من يخرج. وبعد حوالّي ساعة يصطدم الجنود الإسرائيليون بِكَمين يطلق عليهم النار من جميع الجهات . ويصاب موشيه قائد المجموعة ببطنه ، فيختار ايتيـــك ليقوم بمهمّة القيادة ويقول له: عليكَ أن تغادر المكـــان مع الجنود حالاً ، وسأبقى أنا هنا كي أُطلق النار حتـــى ألقي في روع الفدائيين أنّنا لا نزال هنا. وعندمـــــا تصبحون بعيدين أتّصل بطائرة عموديّة لتخرجكم من هنا . ويحاول ايتسك مناقشة موشيه قائلاً : لن نتركك هنـــا وحيداً . ولكنه يقول له : هذا أمر عسكريّ فلا تجادلني . الوثائق مهمّة جداً . اترك لي رشّاشاً وقنابل . والـــى اللقاء في البيت . ويأخذ موشيه بإطلاق النار علـــى

الفدائيين الذين يقتربون منه ، ويستطيع أن يوقفهم ويمنعهم عن التقدُّم ، بينما كان ايتيك ورفاقه في طريقهم الى قاعدتهم.

أمّا الكلبة (عزيت) فبقيت وراءَ صخرة على مقربة منه تنظر اليه وهو مستمرّ يطلق النار من الرشّاش مرّةً ومن العوزي مرّةً أخرى، ويلقي بقنبلة الى هذا الاتّجاه أو ذاكَ بين الحين والآخر. وكان الفدائيون مقتنعين بأنَّ القوّة الإسرائيليّة لا تزال هناك بأكملها. لذلك خافوا ولم يجرؤوا على التقدُّم . وعلَت الابتسامة شفتيه لأنّه أصبح متأكّداً أنَّ رفاقه أصبحوا بعيدين عن متناوَل يد العدوّ . وستأتي الطائرة العموديّة لتحملهم الى اسرائيل. بوسعه الآن أن يستسلم، ويتوقّف عن إطلاق النار، وينادي باللغة العربيّة : قف . قف . انّي وحدي هنا. انّي جريح. ولم يكن يعلم أنّ (عزيت) ما زالت الى جانبه.

لم يصدّقه الفدائيون. فقال أحدهم: إن كنتَ وحدَكَ فاخرُج الينا ويداكَ الى أعلَى. فهمّ بالخروج اليهم. وقد صوّب الفدائيون بنادقهم اليه. ولكنّ قائدهم منعهم من ذلك، قائلاً: لا تطلقوا النار عليه؛ يجب أن نحقِّقَ معه أوّلاً. وهُنا يرفع أحد الفدائيين بندقيّته يريد أن يضرب بها رأس موشيه. وفجأةً تنقضّ (عزيت) عليه وتغرس أنيابها الحادّة بيديه فيعلو صراخه.

وفي التحقيق يمتنع موشيه عن الكلام . ثمّ ينقله الفدائيّون الى سيّارة عسكريّة لتأخذه الى قيادة الفدائيّين في مكان ما في الأردن. وفي هذه الأثناء كان يدور في رأس موشيه سؤال واحد هو : هل نجح رفاقه في الوصول الى معسكرهم بسلام؟ وحتى اللحظة التي وصلت فيها السيّارة الى القاعدة لم يعالِج الفدائيون جرح موشيه ولم يسعفوه على الرغم من أنّ الدم كان ينزف منه

طول الوقت، بل عرضوا عليه أن يشرب قليلاً من الماء. ولكنّه رفض لاعتقاده أنّ الماء قد يعرّضه للخطر؛ فهو مصاب في بطنه. وهكذا بقي في السيّارة دون إسعاف حتى كاد يغمى عليه.

وترك الفدائيون موشيه في السيّارة لاعتقادهم أنّه لن يستطيع الفرار. وبينما هو في السيّارة يرى موشيه (عزيت) بجانبه؛ فقد لحقت بالسيّارة وقطعت تلك المسافة البعيدة لتقترب بهدوء من السيّارة وتلعق وجهه.

ويفهم موشيه من الأصوات في الخارج أنّ الفدائيّين قرّروا نقله الى سجن في مدينة السلط. واستجمع موشيه كلّ ما تبقّى لديه من قوّة وأخرج ورقةً وقلماً وكتبَ بيد ترتجف: (سوف ينقلونني الى مدينة السلط). ثمّ وضع الورقة تحت الحِزام الذي يحيط بعنق (عزيت) وقال لها: (اذهبي يا عزيت الى البيت وأوصلي الورقة).

كان من الصعب على (عزيت) أن تتركه على الرغم من أنّها سمعت أوامره. فقفزت (عزيت) من السيّارة بسرعة، ووقفت بعيداً عنها. وعندما تحرّكت السيّارة تحرّكت (عزيت) في طريقها الى البيت. رأى الفدائيون (عزيت) وعرفوا أنّها الكلبة المشهورة، فأخبروا في الحال كلّ المواقع المتاخمة للحدود بمراقبة الكلبة وقتلها.

ويبزغ الصباح و(عزيت) لا تزال في طريقها الى الحدود الإسرائيليّة في وادٍ عميق يبعد قليلاً عن نهر الأردن. وفي هذه الأثناء تشاهد (عزيت) على تلّ قريب مجموعة من الجنود، فتقف وراء شجرة تنتظر حتّى يغادر الجنود المكان، ولكنّ الجنود بقوا، وتستمرّ (عزيت) في السير بين الأشجار والأشواك تتقدّم على مهل وهي تسترق النظر الى مجموعة الجنود. واستطاع أحد الجنود أن يراها، فيأخذ الجنود بإطلاق النار عليها من كلّ

اتّجاه ، أمّا هي فتجمع كلّ قواها وتركض بسرعة هائلة وتغيّر اتّجاه سيرها حتى تقترب من نهر الأردن، وهناك تسمع صوت طائرة... طائرة للعدوّ تبحث عن (عزيت)، وتختفي(عزيت) لفترة من الزمن ولم يستطع الطيّار أن يراها . وتركض (عزيت) في اتّجاه نهر الأردن في سهل مكشوف، وهناك أيضاً لا ينجح الجنود الأردنيون بإصابتها بنيرانهم، غير أنّ الجنود الإسرائيليين يرونها مقبلة عليهم ، فيأخذون بإلقاء القنابل باتّجاه الأراضي الأردنيّة حتى تصل (عزيت) الى الضفّة الغربيّة حيث الإسرائيليون. ويجد الجنود الورقة التي كتبها موشيه في حزام الكلبة، ويقول القائد الإسرائيلي بصوت ينمّ عن القوّة والبطولة: في هذه الليلة سنُعيد موشيه.

وفي أثناء الليل تخرج فرقة من المظلّيّين على متن طائرة عموديّة لتخلّص موشيه من الأسر. وبعد مرور ساعتين كان موشيه يتلقّى العلاج في مستشفى هداسا الى جانب (عزيت).

وفي الكتاب نفسه يصف غور إحدى العمليّات العسكريّة التي جرَت وراءَ الحدود السوريّة في منطقة جبل الشيخ[1] ، فلقد ألقيَ على عاتق إحدى فِرَق الجيش الإسرائيلي اجتياز الحدود السوريّة لِلاستطلاع والمراقبة، بعد أن علم الجيش الإسرائيلي أنّ السوريّين يبنون قاعدة صواريخ أرض أرض في السفوح الشماليّة من جبل الشيخ. وفي هذه المرّة تخرج الفرقة الإسرائيليّة في ساعات المساء بقيادة (اريك) في اتّجاه الحدود السوريّة ، وكان الجوّ بارداً جِدّاً ، وكانت قمّة جبل الشيخ مغطّاةً بالثلوج، وطبعاً كانت (عزيت) معهم. وتجتاز الفرقة الحدود السوريّة، وتتقدّم مسافة طويلة الى مكان يسهل على الجنود أن يراقبوا منه. وينصب الجنود خيامهم. وفي منتصف الليل يسقط الثلج بغزارة ؛ وهذا

(١) مردخاي غور: عزيت كلبة مظلّيّة، ص ٦١ .

ما كان يتمنّاه الجنود الإسرائيليّون كي يشكّل الثلج على الخيام غِطاءً فلا يستطيع السوريّون اكتشافهم. أمّا في صباح اليوم التالي فيرى الجنود الإسرائيليون على جبل الشيخ منظراً رهيباً؛ رأوا عدداً كبيراً من الجنود السوريين يعملون كالنمل ومعهم جرّارات ورافعات وسيّارات شاحنةتنزل معدّات وبضائع ، ويكتب اريك تقريراً عن ذلك، ويضع الرسالة في أُذُن (عزيت) التي تخرج في المساء الى مقرّ القيادة الإسرائيليّة . كان السوريون منهمكين ببناء المواقع المحصّنة. وفي هذه المرّة تعود (عزيت) وبصحبتها خبير بالصواريخ يعمل في الجيش الإسرائيلي ، ويتأكّد هذا من أنّ السوريين يقيمون بالفعل قاعدة صواريخ أرض أرض ، وأنّ بوسع هذه القاعدة أن تدمّر قرى الجليل وصفد وطبريّا.

ويتّصل (اريك) لاسلكيّاً بالقيادة ويخبرها بعمل السوريين ، ويأتيه الردّ بأن يبقى حيث هو الى أن تأتيه أوامر أخرى . غير أنّه في المساء يتلقّى إشعاراً من القيادة بأنّ سلاح الجوّ سيقصف المواقع السوريّة في الصباح وسيدمّر قاعدة الصواريخ. وعلى أفراد المجموعة أن يحملوا أجزاء الصواريخ التي ستبقى في القاعدة بعد قصفها.

وتقصف الطائرات قاعدة الصواريخ، وبعد انتهائها من غارتها يدخل الإسرائيليون الى القاعدة فيهرب عدد من الجنود السوريين بعد أن يدبّ الرعب في قلوبهم، ويستسلم الباقون. وبسرعة فائقة يجمعون حطام الصواريخ السوريّة والوثائق، وتأتي ثلاث طائرات عموديّة لتنقل المجموعة الى الأراضي الإسرائيليّة .

لعلّ (عزيت) المظلّيّة وما نُسج حولها من قصص ليست سوى قصص من نسج خيال خصب غير مستبعد من قائد أركانٍ سابق تغلب عليه الغطرسة والاعتزاز بالنفس،

فهو يصوّر شخوص قصصه ، حتى كلبتهم، أبطالاً ذوي قـوّة خارقة ، ويصوّر أعداءَه جبناء تكاد أرجلهم لا تحملهـم رعديدين يفرّون أو يستسلمون. ولعلّه نسي أو تناسـى معاركَ وأحداثاً كانت الصورة فيها على العكس من ذلك، (معركة الكرامة)، حروب الاستنزاف، والمعارك علـى الجبهة السوريّة. على أنَّ الغرض من كتابة هذه القصـص بلغة مبسّطة سلِسة هو ولا ريب لرفع معنويّات الإسرائيليين وهذا أمر مقبول. غير أنَّ الشكل الذي يقدّم فيه قصصـه يُلقي في روع قرّائه أنَّ مؤلّف القصص لا يمتلك قـدرة فنّيّة ، وبالتالي لا يلتفت في أثناء كتابته الى بعض الصور التي توحي بأنَّ خياله غير مرتّب. فالكلبة تذهب وتـروح خلال وقت قصير قاطعةً مسافات طويلة في الأراضـي المصريّة والأردنيّة والسوريّة دون أن يحسّ بها أحـد؛ مثلها في ذلك مثَل الجنود الإسرائيليين الذين يتوغّلـون في الأراضي العربيّة ويصلون الى مركز للفدائيّين ، وفـي خلال بِضع دقائق يحتلّون ويسلبون وينسفون. والخسائـر الإسرائيليّة في كلّ هذه المعارك تكاد تكون صفـراً. وبسهولة فائقة جدّاً يُخطف جريح من سجن في السلط ليُنقل الى مستشفى هداسا في القدس . والغريب أنَّ هـذا القائد موشيه يكاد يفقد وعيه لكثرة الدماء التي نزفت من جسمه ، ومع ذلك يصرّ على الاستمرار في القتال حتـى يأسره الفدائيون ، ويبقى بعد ذلك كلّه حيّاً يُرزَق. كما أنّنا نشكّ في أنَّ الفدائيين يُهملون أسيراً جريحاً يقـع في أيديهم ؛ الأمر الذي أثبتَت عدم صِحّته كلّ المعلومات عن الفدائيين.

فاتَ غور وغيره من الكتّاب العبريين أن يضعوا الأمور في مواضعها ، ويرسموا الصورة التي يريدونهـا في تمجيد الجندي الإسرائيلي وبطولاته مجرَّدين مـن النظرة السلبيّة للعدوّ. هذا الى أنَّ معظم الحروب التـي خاضتها إسرائيل كانت مباغِتة بالنسبة للعرب ، وبالتالـي

فإنّ نتائج هذه الهجمات معروفة. ومثل هذه الحـــروب قلّما تكون لصالح المهاجَم . كما أنّ المعروف عن معظــم الجيوش العربيّة ، إن لم تكن كلّها، لم تكن على مستـوى جيّد من التدريب والاطّلاع على كلّ جديد في عالـــم الحرب . ولم تكن ذات قيادة مؤهّلة تأهيلاً كافياً. ناهيكَ عن التمزّق الذي يسود العالَم العربي والخلافات العديـــدة بين دُوَله.

أذكر في هذه المناسبة قولاً للبروفيسور يشعياهـــو لايفوفيش أورده في إحدى محاضراته بعد حرب حزيران بشهور: قد تغلبون العرب في حرب ثانية وثالثــــة ورابعة ، ولكن هل تضمنون النصر في كلّ الحــــروب المقبلة؟ وقد وضّح وجهة نظره بأنّ العرب يتعلّمون مـــن خسارتهم في كلّ معركة يخوضونها.

ويجعل غور في قصصه هذه الفدائيين كدولة لهـــا أجهزتها العسكريّة المنظّمة . وهذا أمر لم نألفـــه مـــن الحكومة الإسرائيليّة. ونستطيع أن نخلص الى القـــول بأنّ هذه القصص هي مادّة غير تسجيليّة ؛ بل هي مجـرّد قصص طفوليّة غير موفّقة ، كما يدلّنا على ذلك بشكل من الأشكال ما جاء على غلاف القصّة من أنّها جســـر للشبيبة ـ سلسلة كتيّبات بالعبريّة السهلة وانّها مـــن إصدار دائرة التعليم والثقافة للمهجر التابعة للجمعيّـــة الصهيونيّة العالميّة.

الرجل العربي والمرأة

يتطرّق القاصّون العبريّون كذلك الى موضوع المرأة في قصصهم، والرأي السائد عندهم أنّ توجُّه الرجل العربي في هذا الموضوع توجُّه جنسي مجرّد. فالغرض من المرأة، في نظره، هو إشباع الغريزة الجنسيّة. فالعربي عندهم يحبّ الزواج من نساء كثيرات كما يبرز ذلك في قصّة (عائشة) للكاتب موشيه سميلنسكي وغيره من الكتّاب. ولكنّ العربي لا يفعل ذلك عملاً بما جاء في القرآن الكريم وتنفيذاً لتعاليمه ومراعاةً للشروط التي وضعها: (... فانكِحوا ما طاب لكم من النساء مثنَى وثُلاثَ ورُباعَ فإن خفتم ألاّ تعدلوا فواحدة)[1]، بل ليُشبِع رغبته الجنسيّة ويتمتّع في حياته. والعربي في نظرهم لا يأبه لفارق السنّ بينه وبين زوجته، حتى لو تجاوز الفرق عشرات السنوات، وقد يصل الى خمسين سنة، بينما تكون الزوجة طفلة صغيرة. والزواج عند العرب لا يتمّ عن تفاهُم واقتناع، بل لمجرّد أن تحظى الفتاة بإعجاب الرجل. وكلّما ازداد ما يدفعه من مال كانت موافقة الفتاة أو ذويها معقولة أكثر. وتعدُّد الزوجات ظاهرة أكثر ما تبرز في أوساط الزعامة والوجاهة. وكثيراً ما يُفرَض الزواج – في القصص العبري الذي يتحدّث عن العرب – على الفتاة الصغيرة بالإكراه والعنف. أمامَنا قصّة عائشة[2]، وهي تدور حول فتاة اسمها عائشة ابنة عائلة عربيّة فقيرة في إحدى القرى العربيّة، حيث يقيم الشيخ أحمد عبد صاحب الجاه والمال وله ابن اسمه عبد الله. وعبد الله هذا شِرّير يفعل ما يشاء دون أن يحسِب

---

(١) سورة النساء، آية ٤

(٢) قصص عبريّة من حياة العرب، ص ٤١.

لأحد حساباً لأنه ابن الشيخ . ويقع عبد الله في حـبّ عائشة ، في حبٍّ من طرَف واحد؛ فعائشة لم تكن تبادلـه الحُبّ . هذا في الوقت الذي كان كثيرون من أبنـاء البلد معجَبين بها. ويصل سميلنسكي موشيه في قصّته الى تزويج الفتاة عائشة من عبد الله؛ الأمر الذي يتمّ رغماً عنها وعن أبيها؛ لأنّهما ضعيفان ولا يستطيعان أن يقاوما. ويقدّم عبد الله الى أبي عائشة كيساً من القمح وخمسة أكياس من الذرة. . . أي أنّ هذا هو مَهرها ، أو على حَدّ قول الكاتب ثمنها. هذا في الوقت الذي كان فيه بعض شبّان القرية المعجَبين بعائشة على استعداد لدفع ثمن يتراوح بين خمسين الى مائة جنيه. ويحدّثنا سميلنسكي هُنا أنّ عبد الله هذا يكرّر الزواج من أُخرى (بثمن) بَخس . هذا في قصّة (عائشة).

أمّا في قصّة (مبروك)[1] فيتحدّث الكاتب عن استثمار العربي مصائب الآخرين لمصلحته الخاصّة، ومن منطلَق أنانيّته.يقول الكاتب انّه كان عائداً في ليلة ماطرة ، فصادف في طريقه فتاةً عربيّةً من قرية(زرعين) هاربة من بيت المختار ، وقد فقدت هذه الفتاة والدَيها منذ طفولتها . فأخذها المختار الى بيته ليربّيَها . وعندما كبرت الفتاة ونضجت رأى المختار أنّها جميلة فأراد أن يتزوّجها بالإضافة الى زوجاته الأُخرَيات ، ولكنّها رفضت ، لأنّها كانت تحبّ شاباً في مثل عمرها يعمل في حراثة الأرض. وَيَرِدُ في القصة أنّ المختار يَشِي بالحرّاث ويودعه السجن. ويأخذ الكاتب هذه الفتاة الى بيته ، ولكنّه سرعان ما يرسلها الى بيت الراعي الذي يعمل عنده لِتُقيم مع عائلته بضعة أيّام. وهُنا يقع الراعي (المتزوّج) في حُبّ الفتاة. وعندما يخرج الحرّاث من السجن يأتي الكاتب الى بيت الراعي ليأخذ

---

(١) قصص عبريّة من حياة العرب ، ص ٣٢ .

الفتاة ويعيدها الى القرية، ولكنّ الراعي يرفض ذلك ويقول انّه يريد الزواج منها. وهنا يوبّخ الراعي على تصرُّفه هذا لأنّه متزوّج وله أولاد، وبينه وبين الفتاة فارق كبير في السنّ ، وأنّ لها صديقاً تحبّه ويحبّها.

لا ننكر أنّ المرأة العربيّة في مجتمعنا عانت كثيراً في مختلف المراحل. ولا ننكر أيضاً أنّ ظاهرة تعدُّد الزوجات موجودة. كذلك لا ننكر أنّ الآباء يفضّلون تزويج بناتهم من أبناء الأُسَر الغنيّة ، حتى يوفّروا لهُنّ حياة طيّبة حسب تفكيرهم؛ ولكنّ ذلك لا يعني عدم تزويجهم بناتهم لِشُبّان فقراء . ولو كتب هاتَين القصّتَين كاتب قصّة عربي لكان أصدق من سميلنسكي في تصويره لهذه الوقائع وأكثر رَغبةً منه لإنقاذ المجتمع العربي من هذه الظواهر . ولا نجد في سميلنسكي سوى أنّه يريد أن ينقل صورة مُزرِية الى القارئ العبري عن المحيط العربي.

لا أدري إن كانت نظرة اليهودي الى امرأته تخلو من نظرة جنسيّة ، أو تخلو من رغبة في إنجاب البَنين والبنات ؛ هذه النظرة القديمة التي كانت ولا تزال تشمل المجتمعات المتطوّرة وغير المتطوّرة.

أمّا ظاهرة تعدُّد الزوجات التي كثر حديثهم عنها في أدبهم ، ورأوا فيها شيئاً من التأخُّر غير المستساغ في المجتمعات المتنوّرة. وتناسَوا أنّ الإسلام عندما أباحَ تعدُّد الزوجات ، قد قيّدَ هذه الإباحة وضَمِن للمرأة حقوقاً . ولكن ما رأي الكتّاب العبريّين الأفاضِل في ظاهرة مستفحِلة في المجتمع اليهودي المتنوّر وفي غيره من المجتمعات الغربيّة؛ ظاهرة تعدُّد الخليلات والمَحظِيّات والعلاقة معهنّ من خلف ظهور نسائهم، من غير أن يكون لهؤلاء النساء الخليلات أيّة حقوق تضمن لهُنّ مستقبلهنّ فيما لو تخلّى عنهنّ العشّاق والخُلّان . أمّا التعرُّض لمسألة المَهر فموضوع يقحَم عادةً في هذه القصص، بقصد الإساءة الى العرب والمسلمين. صحيح أنّ المهور

كانت في الماضي تتفاوت ؛ فهي إمّا متدنّية وإمّا عالية. وصحيح أنّ الآباء كانوا يغالون في مهور بناتهم . ولكنّ هذه المهور في الدرجة الأولى كانت لصيانة حقوق المرأة الضعيفة في حالة تعرّضها لترمّل أو طلاق . وليت صاحبنا لم يدخل في هذه المواضيع لأنّه لم يكن له أيّ قصد ثوري من سردها في قصص واقعيّة، أو مستمَدّة من الخيال. وليس المسلمون وحدَهم مَن يطلبون مهوراً لبناتهم؛ فهنالك طوائف أخرى تطلب مهوراً كذلك ... والمَهر الذي يسوقه العريس الى عروسه ليس ثمناً ؛ وإنّما هو نوع من التكريم. وللمرأة الحقّ الكامل في أن تتصرّف بمَهرها كيف تشاء . هذا وليس من الضروري أن يكون المَهر كبيراً ؛ وإنما وفق حالة الزوج.

ولو كان سميلنسكي كاتباً جِدّيّاً لأعمل قلمه في تخليص المجتمع اليهودي من كثير من العادات والتقاليد السيّئة التي كانت ولا تزال شائعةً فيه. وَلَتَرَكَ للكتّاب العرب أن يعالجوا الظواهر السلبيّة التي يرونها في مجتمعهم .

وشخصيّات القصص التي أوردها سميلنسكي لا يمكن أن تعتبَر مقياساً ينطبق على العرب (وخصوصاً المسلمين)، فهم أشخاص يُعَدّون على أصابع اليد ، وما قاموا به لا يدلّ على شيوع هذه المآخذ في المجتمع العربي ، ولا يجوز أن يَتّخِذ من حوادث معدودة مجالاً للتشهير والاستهزاء بأخلاق المجتمَع العربي بأكمله.

والكاتب، العبري ش . شالوم له قصّة(لينة). و(لينة) هذه فتاة عربيّة تعمل في مصحّ يملكه ثريّ يهودي. وتعمل معها فتيات عربيّات أخرَيات ، وتشرف عليهنّ امرأة يهوديّة. ويرى أبو لينة أنّ الوقت قد حان لزواج ابنته من الراعي الذي اختاره لها.

ويقول شالوم انّ الأب باعها بثمن معيّن دفع الراعي

قسماً منه وجعل الباقي دَيناً عليه. وقَدرُه عشرون جنيهاً. وينقلنا الكاتب الى استجواب يدور بينه وبين لينة عندما التقى بها ذات يوم في المصحّ. ومن تلك الأسئلة: (هل سيتزوّج بأُخريات غيرك؟) فتجيبه لينة: (لن يتزوّج غيري ولن يضربني، وسأُعلّمه أن يكون كواحد منكم.. مثلك)[1].

أراد شالوم بهذا الجواب أن يكون كمَن يقتنص اعترافاً صريحاً من إنسان متّهم بجريمة. أي أنّه لم يختلقه اختلاقاً من مخيّلته. وفي سياق هذا الحوار يقول لها: (هل تريدين أن يكون مثلي؟ وماذا أكون في نظركَ؟)[2] فتجيبه: (أنت رجل طيّب جدّاً بالطبع. انظر هناك عرب يمشون. انّهم شرّيرون... سيرَونَني معكَ... سيقولون لأبي... سيغضب... سيقتلني، وقد قتل أُمّي من قبل... سلاماً، الى اللقاء)[3].

ويستمرّ ش. شالوم قائلاً انّ عُمر لينة عندما قَتَلَ أبوها أُمّها كان أربع سنوات. أمّا سبب قتلها فيعود الى أنّه عاد ذات يوم الى خيمته فوجد فيها الشيخ عَليّاً.

ولا يستغرَب أن يقع الكتّاب اليهود في هذه المغالَطات، لأنّ هدفهم الأوّل كان تشويه صورة العربي والإساءَة اليه عن سبق إصرار. فكيف يرسل أب ابنته لتعمل في مصحّ يهودي ما دام رجلاً شرّيراً، محافظاً، لا يتورّع عن القتل. وهو يعرف أنّ ابنته هناك ستصادف رجالاً من اليهود والعرب؟

وينسى الكتّاب اليهود أنّ الدين الإسلامي الذي يدين به العربي لا يضطرّه أن يقتل، لأنّه يستطيع أن يتخلّص من زوجته الخائنة بتسريحها. أمّا غسل العار

---

(١) قصص عبريّة من حياة العرب، ص ٢٠٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٠٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٠٩.

بقتل الزانية فيتولاّه أهل الزانية. ولو عاد ش. شالوم الى التوراة لَوَجَدَ أنّ هذه العادة قديمة ؛ فهي كانت موجودة في عهد التوراة أيضاً . ولا تزال شائعة في بعض المجتمعات المعاصرة عربيّة وغير عربيّة . ولا بدّ من التأكيد هنا أنّ ش. شالوم مثل سميلنسكي موشيه يأخذ حادثة معيّنة محدودة ليضعها أمام القارئ العبري باعتبارها نموذجاً يصوّر المجتمع العربي كلّه.

ونعود مرّةً أخرى الى الكاتب بنيامين تمّوز في قصة (شجرة الزيتون)[1] التي يحدّثنا فيها عن الشيخ محمود الطويل الذي يبلغ من العمر إحدى وستّين سنة . هذا الشيخ كما يقول تمّوز يبيع ابنته عندما تصل سِنّ البلوغ الى جاره علي القصير ليضمّها الى زوجتَيه العجوزَين، وعندما تحاول الابنة أن ترفض الأخذ برأيه يعذّبها عذاباً مريراً ؛ فيأخذ حَبلاً جديداً ومتيناً ويربطها الى جذع شجرة الزيتون المعمّرة التي كان بداخلها فجوة واسعة، ويقول لها: (أيّتها البنت العنيدة. أنتِ ملعونة وابنة ملعونة . ستبقَين هنا ، وستنامين في جذع الشجرة. ولن تذوقي الخبز والماء والحليب والزيت والتين. وسآتي اليكِ صباحاً ومساءً لكي أسمع ما تقولين. وستبقَين الى أن أسمع منكِ شيئاً يرضيني).

ويستمرّ هذا الوضع بضعة أيّام . وفي أحد الأيّام تقول الفتاة لأبيها : عندي شرط يا أبي . فإذا وعدتَني بتلبيته سأعمل ما تأمرني به. والشرط إذا أردت لي أن أكون زوجةً لعليّ القصير هو أن تبني لي غرفة خاصّة بي في ساحة البيت ، وأن يكون لي قِدر خاصّة ، وطَنجَرة، وجرّة ، وحصير، وسرير.

وهُنا يصيح الأب : (على عيني وعلى راسي). ويفكّ الحبل ويدفع ابنته من كتفها وهو يقول: اذهبي الى

(١) بنيامين تمّوز: انجيوكسيل ـ دواء نادر، ص ١٨٤ ـ ١٨٨ .

البيت ، وكُلي خبزاً . ونامي على الفراش.

وتنتهي القصّة بزواج عليّ القصير ببنت الطويل.

سبق لنا أن وصفنا تموز هذا بالإستقامة الى حدٍّ ما، وهو في هذا الجزء من القصة يدحض بعض الدحض الأقوال التي كتبها غيره من الكتّاب مثل موشيه سميلنسكي و ش. شالوم وغيرهما؛ فالفتاة العربيّة هنا ترفض بإباء وشَمَم فتتعرّض للتعليب بسبب رفضها ، ولكنّها في النهاية تستسلم؛ فهي فتاة ضعيفة لا حول لها ولا طَول، ولكنّها تقاوم... وكما قلنا عن الكاتبَين السابقين نقول كذلك انّ هذا الجزء من القصّة لا يشكّل النموذج الصحيح الذي ينطبق على المجتمع العربي ولا سيّما القروي. وعلينا أن نؤكّد هنا أنّ الكتّاب اليهود يفطنون الى شيء وتغيب عنهم أشياء ؛ فهم لا يفطنون الى أنّ الدين الإسلامي يؤكّد على ضرورة أخذ رأي الفتاة في حال زواجها . وما يقوم به (محمود الطويل) هو مخالف لأصول الدين الإسلامي.وقد يقع تحت طائلة العقاب لو استمرّت ابنته في رفضها ووجدَت مَن يقف الى جانبها ويوصِل صوتها الى الجهات المسؤولة . ونكرّر ما قلناه سابقاً بأنّه كان من الأجدَر بِتّموز وغيره أن يبحثوا عن صورة أُخرى للمجتمع العربي غير التي تحدّثوا عنها ؛ لأنّها استُنفِدَت.

ويحدّثنا يهودا بورلا في إحدى قصصه (حُبّ في الخَفاء) عن قصّة حُبّ بطلها جدعون ؛ وهو شابّ يهودي يملك قطعاناً من الغَنَم والماعز ويقيم علاقات صداقة متينة مع عائلة من قرية سلوان . وكانت لهذه العائلة ابنة تدعَى (حميدة) وابن يدعَى (طلال)؛ وطلال هذا هو الذي يرعَى مواشي جدعون . وخلال هذه العلاقة يقع جدعون في حُبّ حميدة التي تبادله حُبّاً بِحُبّ . وفي ما يلي سطور من هذه القصّة.

يقول جدعون لِعَمّه أليعيزر انه يحبّ فتاة، فيسأله

مَن هي. وعندما يخبره أنّها حميدة أُخت طلال يقــــول أليعيزر: ماذا؛ هل ما أسمعه صحيح؟ حميدة؟ أجُننت؟

- لقد قلت لك انّكَ ستنعتني بالجنون.

- أفتتزوّج من فلّيليحة(فلاّحة صغيرة)؛ ماذا أصابك؟ هل عمِلَت لكَ سحراً؟ هؤلاء الفلاّحات يستخدمن السحـــر للوصول الى ما يُردنَ.

- جذبني ذكاؤها وأمانتها وكلامها.

- ومن أين أتيتَ بهذا الكلام الحلو عن فتاة أُمّية فلاّحة؟ أنتَ مجنون... أنتَ أعمى.

صديقك طلال سيقتلك بالسيف. ألا تعرف كيــــف يدافع الإخوة عن شرف أخواتهم؟ أنا خائف علـــــى سلامتك. انّني أتوقّع أن تنزل بنا مصائب كثيرة. استمع رأي حميدة حول ما تدّعيه. هي تقول بأنّهــــا تعرف جيّداً ما ينتظرها من احتقار وشتائم وضـــرب (سوف يعذّبونني ويحرجونني بسبب الزواج من رجـــل... وعليك أن تأخذ من طلال تعهّداً غليظاً بـــأن لا يقتلني).

كانت حميدة تتردّد كثيراً على جدعون. وقد رآهـا طلال معه في إحدى المرّات. ويصارح جدعـــون طلالاً بحقيقة حبّه لحميدة، ويصفه بأنّه حُبّ شريف سيُفضــــي بهما الى الزواج.

أمّا ردّ الفعل عند طلال فكان التفكير في نـــــوع العقوبة التي سيُنزلها بحميدة. ففي القصة يقول طــــلال: (فكّرت في طريقة لتشويه جمالها. أأفقأ عينها أم أقطـع ساقها؟)[1] ولكنّ طلالاً يقرّر بعد حديث طويل مع جدعـون عدم قتل اخته، ويقول: لن أدمّر حياتها. ولكن لن تراهـا ما بقيتُ حيّاً[2]. وفي صباح اليوم التالي يأمر طـــلال

---

(١) يهودا بورلا: زوج في شعبه، ص ١٢٥ .

(٢) المصدر نفسه، ص ١٢٦ .

أُخته باللهاب الى الحقل، وهناك يسألها: ويلــــكِ ... مجنونة... لقد دنّستني، وجعلتِ حياتنا سوداء. قولي: هل ذهبتِ اليه ليلاً؟ هل ما زلتِ عذراء؟ أم هـــــل فقدتِ عُذريّتكِ؟ (خرّبك)؟؟؟

ـ لم يخرّبني. لقد كنتُ له.

ـ الويل لكِ. والموت الأسود لكِ. سوف تحبلين وستلدين ابن سفّاح أيّتها السافلة. لولا جدعون لطعنتكِ سكّيناً في قلبكِ.

لا أعرف مدى علاقة هذه القصة بالواقع. فوقائع هــذه القصة لم تجرِ في هذه الأيّام؛ فقد كُتِبَت قبل الأربعينات أي في عهد لم تكن فيه القرية العربيّة متحرّرة مـــــن تقاليدها المتوارثة ولا سيّما المتعلّقة بالمرأة؛ فاتّصـــال الفتاة بأيّ رجل غريب أو قريب كان إثماً كبيـــــراً. فكيف تمّ اتّصال بينها وبين جدعون في تلك الأيّـــام؟ هذا الاتّصال الذي يحدّثنا عنه بورلا؟ وبورلا في ســـرده هذه القصّة يصدق في وصف مشاعر العربي عندما يحـــسّ بوقوع اعتداء على عِرضه. كما نلاحظ أنّ التقاليد التـــي كانت سائدة تستهجن زواج ابن المدينة بفتاة من القرية. وإذا كانت التقاليد تضع الصعوبات في طريق الـــزواج بين عربيّين لأنّ العروس فلاّحة والعريس من المدينـــة، فكيف يمكننا أن نصدّق ما جاء في قصّة بورلا ؟ وكيـــف بإمكانه أن يقنع قارئه بأنّ حميدة وافقت بالفعل علـــى الزواج من جدعون، مع أنّ حصول مثل هذا الأمر لا يزال صَعباً حتى الآن، وسيظلّ كذلك؟ لأنّ الدين الإسلامـــي يحرّم زواج المسلمة من غير المسلم. هذا الى أنّ بورلا لا يطمح الى حدوث مثل هذا التلاقي بين العرب واليهود فـي هذه البلاد؛ لأنّه من غير المعقول أن تُقدم فتاة عربيّـــة مسلمة من توطيد أواصر المودّة مع يهودي، إلاّ إذا كانـت مصابة بمَسّ في عقلها. وإذا كان هدف بورلا من ذلـــك أن يبحث لقصّته عن عقدة فإنّنا نعرض عليه بدلاً مـــن ذلك شيئاً أفضل من ناحية فنّيّة؛ فقد كان بإمكانــه أن

يجعل طلالاً شقيق حمدة يعرض الإسلام على جدعون حتى يساعده على الزواج من أخته؛ الأمر الذي حدث كثيراً في مختلف المراحل في الشرق العربي. فلو فعل ذلك لكان قد أوجد عقدة تصوّر الصراع القائم في اليهوديّة إزاءَ الإسلام ، ولوضع أمامَ القارئ العبري قصة جميلة. لكنّ بورلا أرادَ كغيره الإساءَة الى العرب ، فصوّر طلالاً وكأنّه يتنازل عن الانتقام لشرفه وشرف عائلته بعدم الإقدام على قتل حميدة على الرغم من تأكّده من أنّها فقدَت بَكارتها؛ إذ من المعروف أنّ المرء إذا فوجئ بانتهاك عِرضه فإنّه يصاب بفَورة دم ، ولا يهدأ له بال إلاّ إذا انتقم لشرفه. هذه هي العادة المتعارَف عليها عند القرويين خصوصاً في النصف الأوّل من القرن؛ وهو الوقت الذي حدثَت فيه قصّة بورلا.

ومن خلال القصّة نجد أليعيزر عمّ جدعون يذهب الى طلال ليستطلع منه جليّة ما حدث ، فيقول له طلال: هل هناك رجل عاقل يقبل أن يتزوّج من فتاة زَنَت مع رجل آخر؟ وفي هذا محاولة من بورلا ليُظهِر موقف العربي من فتاة كانت لها علاقات مع شابّ آخر. انّه يراها حقيرة ولا يمكن لأيّ شابّ عربي آخر أن يرضى بها زوجةً له ؛ على عكس ما هو شائع بين الأوروبيين.

ويورد بورلا حديثاً مع فتاة يهوديّة اسمها (شريفة) ليعطينا صورة معاكسة تماماً للحديث الذي دار مع حميدة آنفة الذكر. وفي هذا الحديث نجد أنّ أليعيزر يذهب الى والد شريفة يطلب يد ابنته لابن أخيه جدعون . وهاك الحديث بين شريفة وأبيها:

الأب: اسمعي. أمَرَتنا التوراة أن نسأل البنت عن رأيها عند الزواج. فهل رأيتِ جدعون ذات مرّة؟ قولي بصدق.

شريفة: رأيته مرّة واحدة مصادفةً وتكلّمت معه.

ـ كيف هو بنظرك؟

ـ شابّ بسيط وطيّب.
ـ هل تقبلين به زوجاً لكِ؟
ـ كما هو الآن، لا.

من هنا نرى ما أراد أن يرينا إيّاه الكاتب بورلا. كيف يعامل الأب اليهودي ابنته. انّها معاملة تختلف كثيراً عن معاملة العربي لابنته كما وصفها بورلا في حادثة حميدة. الأب اليهودي يستشير ابنته ولا يتّخذ قراراً يتعلّق بها . بل هي التي تقرّر كلّ شيء يتعلّق بزواجها. الكلمة الأولى والأخيرة لها.

شريفة وأبوها يتحدّثان بصراحة فيما بينهما. وتقول رأيها بصدق؛ على عكس الفتاة العربيّة التي تضطرّ كثيراً الى الكذب على أبيها وأهلها خشية العقاب، ولأنّ العمل الذي قامت به لا يروق لِلأَهل ؛ أي أنّ صفتي التسامح والليبراليّة تسودان البيت اليهودي الذي يتبادل أفراده الآراء ويتناقشون بموضوعيّة، الأمر الذي لم يصل اليه العرب على حدّ تعبير بورلا.

ولا تنتهي القصة بهذه المقارنة فقط . بل يستمرّ بورلا ويحدّثنا عن جدعون وقد أصبح تاجراً كبيراً، وصاحب متجَر في مدينة القدس . وفي أحد الأيّام وبينما كان خارجاً من متجَره يفاجأ بفتى صغير يسلّمه رسالة. ويستغرب ويندهش عندما يجد أنّ الرسالة تحمل توقيع صديقته القديمة حميدة... ويستمرّ تبادُل الرسائل بينهما حتى يلتقيا ذاتَ يوم ، وتحدّثه حميدة في هذا اللقاء عمّا جرى لها:

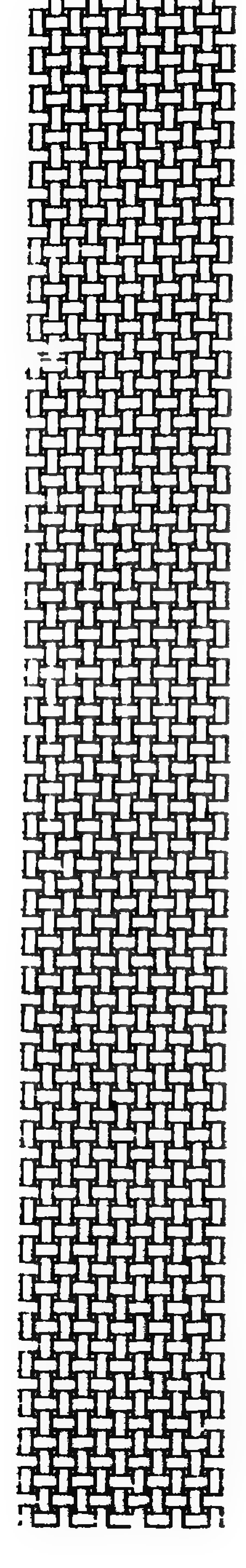
اسمع يا جدعون. أتعرف ماذا فعل بي طلال؟ هل تعرف ما لاقيت من عذاب؟ ربطني بالحَبل أكثر من مرّة ، ولعدّة أيّام. وكنت كالكلب ؛ ضربني... جرحني ومنع أَهل البيت من تقديم الطعام اليّ. انّ أثر الجرح الذي تراه على كتفي هو نتيجة طعنة من سكّين. لقد

رمى السكّين نحوي عن بعد، فجرحتني... لقد ضربني ضرباً مبرّحاً.

وهكذا نجد بورلا على الرغم ممّا يحاول أن يتظاهر به ، لا يختلف عن غيره في الإساءة الى العرب. وذلك دون أن يأخذ في الاعتبار أنّ ما حاول إبرازه عن مجتمع قروي في الثلاثينات أو ما قبلها، لا ينطبق على المجتمعات العربيّة في تلك الأيّام. وتناسى بورلا أنّ كثيراً من المجتمعات اليهوديّة وليس الشرقيّة فقط لها معاييرها الاجتماعيّة التي لا تختلف في محافظتها عن المجتمعات العربيّة. هذا مع العلم أنّ المجتمعات اليهوديّة ، ولا سيّما الأوروبيّة ، تعتبر متطوّرة متقدّمة. هذا؛ ولا تزال العائلات اليهوديّة الأوروبيّة الغربيّة تستهجن أن يتزوّج أبناؤها ، ولا سيّما بناتها، من يهود شرقيين. كما أنّ العائلات اليهوديّة الشرقيّة والسفاراديّة ما زالت تستقبح الزواج من اليهود ممّن هم من أصل أوروبي(أشكناز). ولقد حدّثتنا يهوديّة من أصل عراقي أنّ أهلها جلسوا سبعة أيّام حِداداً على ابنتهم التي تجرّأت وتزوّجت يهودياً من يهود ألمانيا.

ولا يختلف موشيه سطابيسكي عن الكتّاب والقاصّين العبريّين الآخرين إلاّ في مبالغته وتهويله وإصراره على الإساءة الى العربي ولا سيّما في حديثه عن علاقته بالمرأة. وهو عندما يتحدّث في هذا الموضوع يعتبر الأمور التي يوردها حقائق مثبتة لا تحتاج الى برهان.

فهو يُقول: (... المرأة العربيّة ملك الرجل. وهي غير مستقلّة ، ولا تقرّر مصيرها ولا مستقبلها بنفسها. وهي تحت سيطرة الرجل منذ ولادتها من بطن أمّها؛ فهو الذي يوجّهها ويسيّرها. فهي في صغرها تحت سيطرة الأب . وإذا مات تنتقل السيطرة عليها الى أخيها الأكبر . وإذا لم يكن لها أخ ، فالعمّ أو الجدّ أو أيّ قريب آخر... وعندما تتزوّج تنتقل المسؤوليّة عنها الى



الرجل الذي يتزوّج بها. والمرأة العربيّة لا تجرؤ على مواجَهة الرجل أو مجادلته ؛ إمّا عن خجل أو خوف وإمّا تحت تهديد العصا...)[1].

ويتذرّع سطابيسكي بأمثال شعبيّة عربيّة لإثبات أقواله تلك ؛ مثلاً: (العصا للمرأة من الجَنَّة). و(النسوان الهن نُصّ عقل). و(اللي بيسمع من المرآة بِيحُط قد ثلاث)

ويستمرّ سطابيسكي في سرد الأمثال وكأنّما يورد حقائق فيقول :(... المرأة العربيّة خادمة لجميع أفراد العائلة . وليس في البيت أحد يخدمها. وإذا سارت في الطريق تسير وراءِ الرجل ، ولا تجرؤ على السير أمامَه أو الى جانبه ؛ لأنّه من القبح ان تسير المرأة أمامَ الرجل . أو لأنّ في ذلك قلّة احترام له. وهي تحمل الأحمال على رأسها وزوجها يسير أمامها دون أن يحسّ بخجَل . وكذلك يمتطي الزوجُ الحِمارَ بينما تسير زوجته على قدمَيها وراءَ الحمار. وهي لا تجرؤ على لفظ اسم زوجها أو لقبه ، بل تناديه:(يا سيدي) أو(يا شيخ) أو (يا ابن عمّي) أو (يا أبو فلان). أمّا هو فيناديها باسمها وأحياناً بكلمات تدلّ على الاحتقار والازدراء وعدَم الاحترام . وعندما يتحدَّث الرجل عن زوجته في أثناء غيابها يقول:(بعيد عنك)أو (بعيدٍ منك) بعد ذِكرها ليدلّل على أنّها أقلّ درجة مِمّن يخاطبه؛ وكأنّما يعتذر اليه لأنّه ذكر اسمها في أثناء الحديث. ويأتي سطابيسكي بمثَل شعبيّ يزعم أنّ المرأة العربيّة تردّده كثيراً للدلالة على وضعها:(الجوز وأنا قويّة، والعيلة وأنا غنيّة، والجيران وأنا صاحية)[2].

ويمضي موشيه سطابيسكي في حديثه عن المرأة العربيّة موزداً أمثالاً شعبيّة أخرى تدلّ على الاستخفاف

(١) موشيه سطابيسكي: القرية العربيّة، ص ٢٢٧ ـ ٢٢٨.
(٢) المصدر نفسه، ص ٢٣٠ .

بها وتحقيرها مثل: (هَمّ البنت حتى الموت)[1] و(البنت طوه طوه ـ خري في لحية أبوها)[2].

وكأنّه يريد أَن يقول انَّ الفتاة العربيّة مصيبة على أهلها ، أو أَنَّها تجلب العار والخزي عليهم.

كما يصف لنا كيف يستقبل الأب الخبر إذا بُشِّر بمولودة ؛ فهو يحزن ويتأسّف ويقول لِناقل البشارة: (خذها إِلَك وخذ مَهرها)[3].

وكذلك يقول العربي: (ابن ابنك إِلَك . وابن بنتك لغيرك)[4].

وإذا رُزِقَ الرجل بعدّة بنات فيُقال له: (أبو البنات)[5].

ويورِد سطابيسكي أُهزوجة يزعم أَنَّها شائعة بين العرب ليبيّن من خلالها إرغام الأهل بناتهم على الزواج من الطاعنين في السنّ مقابل الحصول على المال:

(... بدّيش الشايب بدّيش
لحيته ذنَب كديش
بدّي الشباب
ولسانه زيّ المبرد
بدّيش الشايب ولو أطعمني عسل
بدّي الشابّ ولو أَطعمني بصل)[6]

(لاحظ خُلُوّ هذه الأُهزوجة من الوزن أَو الرتابة الموسيقيّة مِمّا يدلّ على أَنَّها مختلَقة).

---

(1) موشيه سطابيسكي: القرية العربيّة، ص ٢٢٤ .

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٢٥ .

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٢٥ .

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٦٨ .

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٦٨ .

(٦) المصدر نفسه، ص ٢٣٦ .

لا ريب في أنّ سطابيسكي لم يتجَنَّ كثيراً . ولكن عندما نعلم أنّ كتابه هذا صدر سنة ١٩٤٦ نتأكّد من أنّ الرجل اعتمد على أحداث وقعَت قبل ذلك التاريخ بكثير . ففي تلك الأثناء كان وضع المرأة العربيّة حتى في كثير من القرى العربيّة أحسَن بكثير مِمّا صوّره الكاتب . ولو حاولنا أن نبحث عن السبب الحقيقي الذي دفع الكاتب الى وضع مثل هذه القصص ، فإنّنا لا نجد سبباً حقيقيّاً يدعوه الى ذلك سوى رَغبته في نقل صورة قبيحة عن المجتمع العربي في تعامُله مع المرأة لقرّائه اليهود. ولا سيّما أنّنا نعرف جيّداً أنّ هذه النظرة الى المرأة ليست نظرة عربيّة فقط ، بل انّها نظرة اليهود الشرقيين المتمسّكين بديانتهم وتقاليدهم.

وكان الأجدَر بهذا الكاتب لو استغلّ طاقاته هذه ليبيّن لنا أيضاً السلبيّات في التقاليد المتّبَعة لدَى الأوساط اليهوديّة المتديّنة حتى اليوم ومنها(الحليتساه) و(يبوم)؛ وهي حسب العُرف اليهودي أنّ على المرأة أن تتزوّج أخا زوجها إذا مات زوجها دون أن يترك خَلَفاً، وذلك ليخلد اسم الأخ الميّت. وإذا رفضت المرأة ذلك الزواج تُجري المحكمة الدينيّة طقوساً دينيّة ازدراء للمرأة التي ترفض ذلك. أو خلع حذاء أخي الزوج على يد أرملة الأخ المتوفّى كَدَلالة على أنّها لا تريده زوجاً لها. أو إعفاء المذكور من هذه المهمّة. وغير ذلك كثير من الأمثلة لا حاجة لإيرادها لِئَلاّ أُتّهَم بعدَم الموضوعيّة.

وتطالب الحركات النسائيّة اليهوديّة المعاصرة بإلغاء هذه التقاليد ، لكونها مُذِلّة أو مُهينة للمرأة.

العربي غير متحضر، ساذج، متخلف

والأدب العبري يظهر العربي انساناً متخلفـــاً لا يعرف كيف يتصرّف ، وأنّه بعيد عن النظافة والتحضّر .

فَموشيـه سطابيسكي يؤكّد(... انّ شــروط النظافة والمحافظة على الصحّة تكاد تنعدم بين العــرب . والإجراءات الصحيّة التي لا يستطيع الإنسان الغربي أن يعيش دونها ولو ساعة واحدة غير متوفّرة في أيّة قريـة عربيّة، حتى في القرى الكبيرة الغنيّة . ولعدم وجـود المراحيض يقضي العرب حاجاتهم في أيّ مكان. فالأولاد يقضون حاجاتهم في الساحة ، أو في الإسطبل، أو فـي الحظيرة، أو في البيت ... أمّا الكبار فيأخذ الواحـد منهم إبريقاً ويخرج الى خارج القرية حيث الحقـول. وهكذا لا يجد العربي الذي يريد أن يصلّيَ خارج بيته مكاناً طاهراً يؤدّي الصلاة فيه)[1].

ويضيف سطابيسكي قائلاً : (... وعادة الاستحمـام تكاد تكون غير مألوفة عند العرب باستثناء غسل بعض أعضاء الجسم من أجل الصلاة(الوضوء) . كما أنّ غسـلَ الأيدي بعد الطعام تقتصر على بعض الأفراد فقـط. وهناك بعض الفلاّحين الذين لم يمسّ الماء أجسامهـم منذ زمن طويل...)[2].

ويذكر قول امرأة ليثبت صحّة أقواله فيدّعـي أنّ تلك المرأة أقسمَت بالله أنّها ولدت ستّة أولاد دون أن يمسّ الماء جسدها. كما يزعم أنّ عند العرب قـولاً مفاده أنّ الطفل إذا اتّسخ يصحّ جسمه ويشتدّ. كمـا أنّ

(١) موشيه سطابيسكي: القرية العربيّة، ص ٣٢٠ .

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٢١ .

الصابون لا يجد له ذِكراً عند العرب. ويورد ما حدث معه شخصيّاً عندما زار إحدى القرى في منطقة السهل (اللدّ والرملة) بمناسبة زواج ابنة صديقه حاملاً له بعض الهدايا ومن بينها صابونة. وعندما يعود مرّةً أُخرى بعد فترة طويلة لزيارة صديقه ذاك، يجد أنّ قطعة الصابون التي أحضرها في المرّة السابقة لا تزال معلّقة على الجِدار مع أدوات الزينة والزخارف الأُخرى[1].

ويَصدُق الأمر نفسه على الملابس. فهم يلبسون الثوب ولا يغيّرونه الى أن يبلى، ويكون مليئاً بالقمل والبراغيث ويكلح لونه.

ويزعم سطابيسكي أنّ ثمّةَ عند العرب قولاً مأثوراً؛ وهو (عيد الفلاّح يوم غَسل ثوبه)[2]. كما أنّ الوضع نفسه ينطبق على كلّ ما يتعلّق بأدوات المطبخ، ولا يشعر سطابيسكي بالكذب عندما يقول انّه(لا يستبعد أن يبصق صانع القهوة في الفناجين كي ينظّفها)[3].

وهنا أيضاً نجد أنّ هذا الكاتب يوغل في إعطاء الكاتب العبري الصورة القبيحة عن العرب. ولا شكّ في أنّ القرى العربيّة، بل والمدن الكثيرة عانَت من شحّ الماء، غير أنّ أهالي القرى اهتمّوا بحفر الآبار، وبحثوا عن العيون والينابيع. وإذا استعرضنا أغانينا الشعبيّة القديمة فإنّنا نجد أثر العيون والينابيع فيها واضحاً. وكثيراً ما سمعنا في قصصنا الشعبي عن الصبايا والنسوة اللواتي يذهبن الى العيون ليملأن الجِرار والصفائح، ويَعُدنَ في المساء الى بيوتهنّ. كما أنّ أوضاع كثير من القرى العربيّة منذ أواخر الثلاثينات، وخصوصاً في الأربعينات تحسّنت فيها مصادر السكّان المائيّة؛

---

(1) موشيه سطابيسكي: القرية العربيّة، ص ٢٢١.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٢٢.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٢٢.

فصار القروي يبني بيته وبئره معاً . وأنشأ بالتدريج المرافق التي تلزمه، الى جانب تلك البيوت . وهذا الأمر واضح بشكل محسوس .

ويجب أن نذكر أنّ الفلاّح العربي في العهد التركي والبريطاني كان يعيش تحت وطأة وضع اقتصادي سيّئ لا يمكّنه من أن يقيم أَوَدَهُ وأَوَدَ بيته وعياله. وكثيراً ما كان ذلك على حساب حياة الفلاّح وأهل بيته. هذا، ولا بدَّ من القول انّ الصواب جانَبَ الكاتبَ حينما بالَغَ في وصف الحالة الصحّيّة السيّئة التي كان عليها أهالي فلسطين ، حتى جعلهم أُناساً لا يعرفون للنظافة معنى ، ولا يحسنون حتى استعمال الصابون .

ونحن نريد أَن نذكّره بما عُرِفَ عن عرب فلسطين من أنّهم كانوا يصدّرون الصابون النابلسي المعروف بالجَودة الى سائر الأقطار العربيّة المجاورة. وسيتأكّد بنفسه إذا عاد الى قوائم الصادرات التي كانت تصدّرها فلسطين في العقد الأول من القرن العشرين ـ أي قبل دخول الإنجليز اليها، حيث كان يوجد في نابلس وحدها تسعة وعشرون مصنعاً [1] قبل الحرب العالميّة الأولى . ولو عدنا الى إحصاءات عام ١٩٢١ لَوجدنا أَنَّ الصابون كان يحتلّ المرتبة الثانية في قائمة الصادرات بعد البرتقال [2].

وفي قصة (العاشق) يتحدَّث الكاتب أ.ب . يهوشوع عن نعيم .. الشابّ العربي الذي ينتمي الى قرية

---

(١) راجع كتاب (ولاية بيروت) ـ القسم الأول، تأليف : محمد رفيق التميمي ومحمد بهجت الأثري، مطبعة الإقبال ، بيروت ١٣٣٥ هـ.

(٢) راجع كتاب (جغرافية فلسطين) ، خليل طوطح وحبيب خوري ، مطبعة بيت المقدس ، القدس ١٩٢٣ ص ٥٩ .

البقيعة في الجليل ، والذي يعمل في كراج ليهودي يدعى آدم . ويقيم نعيم عند عجوز يهوديّة تدعى فيدوتسيه، وتقع ابنة آدم صاحب الكراج في حُبّ نعيم، الأمر الذي لا يريد الأب استمراره ، بينما أرادت الفتاة وصديقها العربي أن يستمرّا في صداقتهما.

ويظهر الكاتب في هذه القصّة ثلاثة تيّارات مختلفة في المجتمع اليهودي بالنسبة لنعيم ؛ العجوز فيدوتسيه تمثّل الجيل المحافظ المتعصّب ضدّ العرب. كما يمثّل الأب الاتّجاه نفسه ولكن بحِدّة تقلّ عن حدّة العجوز. أمّا دافي فتمثّل الجيل اليهودي الجديد الذي كان بعض أفراده أقلّ تعصُّباً وكراهيةً للعرب من الأجيال السابقة.

تقول العجوز فيدوتسيه موجّهةً حديثها الى نعيم: (... تعال ورجيني إذا ما جبتليش بَق....)[1]. وعندما يفتح نعيم الحقيبة يخرج منها قليلاً من البيض والفلفل والبنادورة والباذنجان فتقول له العجوز: (قُل لأُمك شكراً جزيلاً. ولكن يجب أن لا تخلط الملابس مع الأطعمة في المرّة القادمة ، حتّى لا تعشّش الصراصير في جيوبك)[2].

وعندما ترى مَنامَته(بيجامته) تقول له: (من أين سرَقتَ هذه البيجامة؟)[3]، أي أنّ هذه العجوز ترى في العربي لِصّاً .

وفي مكان آخر نجد العجوز تحدّث عن نعيم قائلةً : (... يرجع العربي في الهزيع الأخير من الليل وسخاً؛ حذاؤه مليء بالوحل، ولكنّه تعلّم أن يخلع حذاءه عند المدخل، والدخول بجَواربه فقط الى الشقّة)[4].

وتضيف أنّه يهرع الى سريره دون أن يزيل الأوساخ

---

(1) أ . ب . يهوشوع: العاشق، ص ٢٤٨ .

(2) المصدر نفسه، ص ٢٤٨ .

(3) المصدر نفسه، ص ٢٤٨ .

(4) المصدر نفسه، ص ٢٧٧ .

التي علقت بجسمه. ولكنّها تثور عليه قائلةً : (... حرام عليك يا ولد. نحن لسنا في مكّة . اغتسل قبل الدخـــول الى سريرك)[1].

وتعبّر هذه العجوز عن ارتياحها لأنّ ذلك العربـــي تعلّم فيما بعد أن يذهب ليغتسل قبل النوم(غير مخفيـــة) أفضالها عليه ، لأنّها نقلته نقلة حضاريّة كبيرة.

حتى أ . ب . يهوشوع المعروف بأنّه إنساني أكثـــر من غيره من الكتّاب اليهود، وله اتّصالات مع الكتّـــاب والشعراء العرب ، لم يسلم هو أيضاً من وصف العربـــي بأوصاف غير صحيحة . وهو يعرف ذلك حقّ المعرفة.

هذا ؛ ولا يخلو شعب من وجود عناصر لا تراعي شروط النظافة والصحّة وما الى ذلك . ولكنّ وجود هذه العناصر لا يعني أنّ جميع سكّان قرية ما يمكن وصفهم بذلك . كمـــا أنّ مخالفة شروط النظافة والصحّة لا يمكن أن تكون وقفاً على شعب واحد ؛ ولكن يمكن أن نجدها حتى في الشعوب المتطوّرة والمتعدّدة . وخير ردّ على التهم التي وجّههـــا الكتّاب اليهود الى الكتّاب العرب أن نذكر وصفاً كتبـــه محمد رفيق التميمي عن رهبان صفد اليهود عام ١٣٣٥هـ:

(... فالرهبان اليهود يشكّلون أقذر الطبقات وأحطّهـــا في صفد ؛ شعورهم طويلة ، وجوههم لا تعرف المـــاء ، ثيابهم قذرة، ومنظرهم كئيب جدّاً . يحملون في أيديهم التوراة والتلمود. ولا ينفكّون عن التّلاوة في الأزقّة وعلـــى أبواب الدور. لا يغسلون أيديهم ولا ينظّفون دورهم ، ولا يعبأون بالأقذار والعفونات . وإنّ الإنسان لَيحتاج الـــى الى قوّة فوق طاقة البشر حتّى يقدر على احتمال شـــمّ الروائح حين مروره في محلّة اليهود...)[2].

---

(١) أ . ب . يهوشوع: العاشق، ص ٢٧٨ .

(٢) محمد رفيق التميمي، محمد بهجت الأثري : ولايـــة بيروت ، القسم الأوّل ، ص ٣٥٧ .

وهذا الوصف وهو عن رجال دين يهود تحتّم عليهم ديانتهم النظافة ؛ وفوق ذلك كانت تَرِد اليهم الإعانات من الأقطار الأوروبيّة ، لا يمكن إلصاقه بجميع اليهود في صفد أو غيرها.

سبق أن أشرنا الى قصّة (خربة خزعة) للكاتب يزهار سميلنسكي ، الذي سبق أن تحدّثنا عنه أيضاً. غير أنّنا هنا سنتناول القصة من جانب آخر وهو الجانب الذي أَبرَزَ فيه الكاتب موقف الجنود الإسرائيليين من العرب.

وفي هذه القصّة يورد الكاتب أحاديث كثيرة ومتنوّعة بين الجنود الإسرائيليين قُبيل احتلال القرية وبعد احتلالها. ويمكن أن نفهم من هذه الأحاديث نفسيّة الجندي الإسرائيلي ـ طبعاً كما يصوّرها سميلنسكي ـ ورأيه بالعرب من النواحي النفسيّة والاجتماعيّة والثقافيّة. وسيدرك القارئ ما الذي تضمره هذه الشخصيّة أو تلك من شعور نحو العرب. وفي ما يلي بعض الشذرات مِمّا يدور بين الجنود. يقول جابي وهو أحد الجنود الذين اشتركوا في احتلال القرية: (... لِيَأخذهم الشيطان (ويقصد طبعاً العرب سكّان القرية) كم لديهم من الأماكن الجميلة. لو كان رجالنا (يقصد اليهود) أصحاب هذا المكان لَقاتَلوا قتالاً وأَيَّ قتال. هؤلاء يهربون ، بل انّهم لا يحاولون القتال...)[1].

ويجيبه آخر: (... دَع هؤلاء العربوش * ، انّهم ليسوا رجالاً ...)[2].

---

(١) يزهار سميلنسكي : أربع قصص ، ص ٥٥ .

* العربوش أو عربوش كلمة استهزاء وسُخرية يطلقها اليهود على العرب .

(٢) يزهار سميلنسكي: أربع قصص، ص ٥٥ .

ويضيف جابي :(... تأكّد أنّه عندما نأتي لنستوطن هنا سيصبح المكان أحسَنَ مِمّا هو عليه الآن ألف مرّة)[1].

ويقول شموليك : (... انّهم يهربون بسرعة، دون أن يطلقوا حتى رصاصة واحدة. تأكّد أنّ أوائل الهاربين هم أقذَر مَن فيهم(يقصد الزعماء)... انّهم يهربون. حتى رصاصة واحدة لم يطلقوا... أنجاس... أطلِق عليهم النار...)[2].

وهكذا يطلق الجنود النار على سكّان القرية وهم يهربون هَلَعاً كأنّهم يصطادون طيوراً. كأنّهم ـ كما يظهر من حديث الجنود فيما بينهم ـ يمارسون رياضة إطلاق النار... أو إصابة الهدَف. مثلاً نسمع جابي يصيح فرحاً :(لقد أصَبته...). فيقول له شموليك :(هيهات ... أعطِني الرشّاش لِثَوانٍ ...) . ويقول آريه :(أمّا أولئك فإنّي سأضربهم بالبندقيّة؛ وركع على ركبتيه وهو يصوّب بندقيّته بدقّة ويطلق طلقة أخرى. غير أنّ موشيه وكان كمَن لا يعجبه عمل رفاقه الجنود أو طريقة استعمالهم الأسلحة ، يقول:(دعوكم من هذا العمل ! انّكم تعرفون إطلاق النار تماماً مثل ما تعرفه عجوزتي ..)غير أنّ آريه يقول: (... بالطبع ، أعطوني الرشّاش لِلَحظة ... وسَتَرَون...) [3].

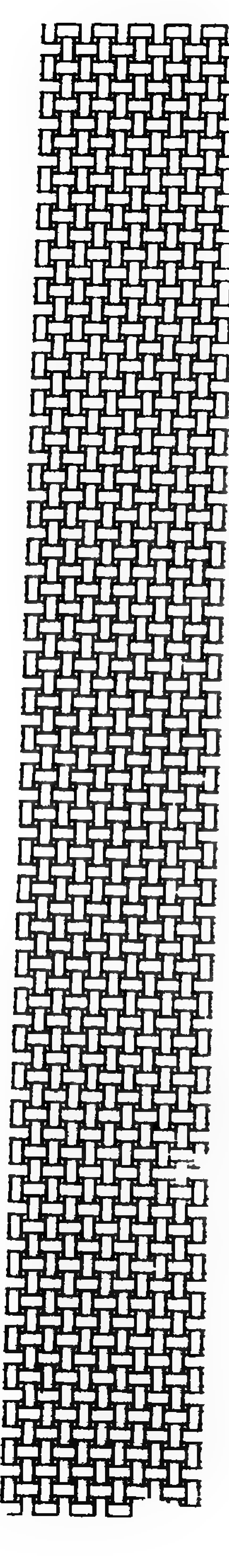
ثمّ ينقل الكاتب حديثاً عن أحد الجنود يصف فيه ما حدث له مع أحد سكّان القرية. يقول العربي لشاؤل الجندي :(... أعطاكَ الله يا خواجه... الجمل يا خواجه... فقط سآخذ الجمل وأنصرف. الجمل والأغراض

---

(1) يزهار سميلنسكي: أربع قصص ، ص ٥٥ .

(2) المصدر نفسه، ص ٦٠ .

(3) المصدر نفسه، ص ٦١ ـ ٦٢ .



وسأنصرف ... تركت كلّ شيء هنا . أريد فقط أن آخذ الجمل والأغراض التي يحملها...)[1]. ولكنّ الجنود لا يأبهون لكلامه وتوسُّلاته، ويأمرونه بالانصراف وإلاّ أطلقوا النار عليه: يالله امشِ يالله.

يقول موشيه: ويتلكّأ العربي في الذهاب . ثمّ بعد هنيهة يلتفت الى الجنود ويقول: حَسَناً انّي ذاهب . ومع ذلك يطلق آريه عدّة عيارات في الهواء لإرهاب العربي ثمّ يلتفت الى موشيه ويقول: (... من الأفضل يا موشيه أن أقضي عليه هنا. لماذا يجب أن يبقى هذا الدنس حيّاً ؟ ....)[2]. ولكنّ العربي ينجو بنفسه تاركاً القرية والجَمل. ويتهكّم آريه قائلاً : (... لو كنت أنا مَن يقرّر لَما تركته يغادر المكان حيّاً... يا له من وقح ... انّه يطلب الجمل... تصوّروا لو كان الوضع على العكس . لو كان العرب مكاننا ونحن مكانهم في هذا الوضع ... كانوا سيذبحوننا...)[3].

ويجلس الجنود لِلاستراحة ، ويتبادلون المنظار كي يرّوا الهاربين. ويصيح موشيه: (... يهربون... انّهم يهربون. انّهم يهربون. كَدّسوا العربات وحمّلوا الجِمال وأخذوا يهربون... أنذال، ليس عندهم دم كي يقاتلوا، ولا حيلة عندهم في الصمود)[4].

ويتجوّل الجنود الإسرائيليون في أزِقّة القرية التي هجرها أهلها. وفيما هم سائرون يخرج فجأةً رجل كان يظنّ أنّ اليهود غادروا المكان، ويأخذ بالركض يرجو النجاة . ولم يكن يعلم أنّه على بُعد أمتار من فِرقة

---

(١) يزهار سميلنسكي: أربع قصص، ص ٦٨ - ٦٩ .

(٢) المصدر نفسه، ص ٦٩ .

(٣) المصدر نفسه، ص ٧٠ .

(٤) المصدر نفسه، ص ٧١ .

إسرائيليّة . فيصيح به جابي: (... قف هناك يا كلب)؛ ثمّ يطلق بعض العيارات الناريّة صَوبَ العربي، ويستلقي العربي على الأرض كما أمره الجندي الإسرائيلي . وفي أثناء حديث يدور بين الجنود، يصفه أحدهم بأنّه كان كَكَومة قُمامة.

ويستمرّ أحد الجنود في إطلاق النار من فوق رأس العربي ، ثمّ يُدخله في السيّارة العسكريّة لتنقله الى المعسكر والتحقيق.

ويصف لنا سميلنسكي حالة ذلك العربي وهو في السيّارة على أسوأ ما يكون الوصف. فيورد على لسانه أنّه طلب اليهم أن يرحموه ؛ فيقول لهم مثلاً: (... سأقصّ عليكم كلّ شيء يا سيدي ، وسأعلمكم بكلّ شيء)[1]. ثمّ يتقيّأ ذلك العربي . فيقول شموليك : انّه الخوف يدنّس كلّ شيء .

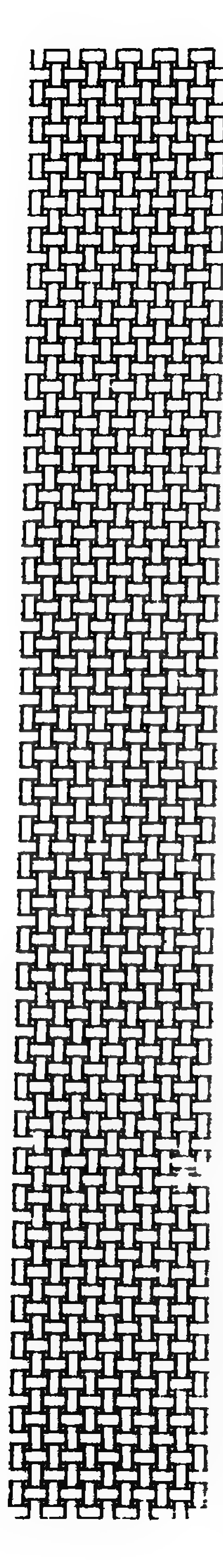
أمّا الصورة التي تتعلّق بالعربي فتبدو في هذا الحديث : (... هؤلاء العربوش ليس في عروقهم دِماء . أبهذا الشكل يتركون قرية مثل هذه القرية ! لو كنت مكانه لوجدتموني أحمل بندقيّة في يدي. قَسَماً بالله انها قرية كبيرة . ولكنّكَ لا تجد فيها ولو ثلاثة أبطال ... فما إن يَرَوا اليهود حتى يتغَوّطوا في ملابسهم. نحن قبضة من الرجال في سيّارة واحدة واستطعنا أن نحتلّ قرية بأكملها...)[2].

وفي إحدى ساحات القرية يلتقي الجنود الإسرائيليون شيخاً عربيّاً جالساً على صخرة قريبة من بيته . وعندما يراهم يباركهم محاولاً تقبيل يد الجندي الذي يحمل الجهاز اللاسلكي ظنّاً منه أنّ مَن يحمل مثل هذا الجهاز لا بدّ وأن يكون ذا رتبة محترمة ومقام

---

(١) يزهار سميلنسكي: أربع قصص، ص ٧٧ .

(٢) المصدر نفسه، ص ٧٨ .



وشأن. فهو على ما يبدو يرى جهاز اللاسلكي لأول مرّة. ويقول الشيخ: (... لا يوجد أيّ شابّ في القرية. لم يبقَ غير الشيوخ والنساء والأطفال. تكلّمت مع السكّان صباحاً وحذّرتهم من الهرَب؛ فاليهود لا يؤذون. انّهم ليسوا كالإنجليز (لعَنَ الله أباهم) وليسوا كالمِصريّين الكلاب)[1].

مِمّا لا شكّ فيه أنّ قصة سيلنسكي (خربة خزعة) هي صورة أو صور متعدّدة انتزعها المؤلّف مِمّا وصل اليه من فظائع الحرب الفلسطينيّة. وفيها يظهر آثار التربية الصهيونيّة لِلأجيال الناشئة آنذاك وما حشدته فيها من غطرسة وشعور بالتفوّق والتسامي. أَضِف الى ذلك الكُره العنصري الذي لا يتورّع عن إنزال الضَربات والمصائب بالعرب الفلسطينيين في تلك الحرب. غير أنّ إتيانه بتلك الحقائق لا يدلّ على أنّ سيلنسكي يؤيّد هذا التوجُّه؛ فهو معروف بمُيوله الإنسانيّة وتطلّعه الى التعايُش مع العرب. وتجدر الإشارة هنا الى أنّ القصّة التي نحن بصددها أحدَثَت ضَجّةً عارمةً في المجتمع الإسرائيلي؛ فلقد حاول الكثيرون مِمّن يزعمون أنّ العرب في سنة ١٩٤٨ لم يكونوا على هذه الدرجة من الوحشيّة التي صوّرَها الكاتب. وفي عام ١٩٧٨ ثار الجدَل مجدّداً عندما أقدَم مخرج سينمائي على إخراج القصة في فيلم وعرضها. فقد قوبل آنذاك أمر عرض الفيلم بمعارضة شديدة حَدَت بوزير التربية والتعليم زبولون هامر الى تأجيل العرض. ولكنّ الفيلم عُرض في التلفزيون فيما بعد وأثار ضَجّةً كبرى.

وإذا أردنا الحقيقة نستطيع القول انّ ما ورد على لسان الجنود الإسرائيليين في هذه القصة لا يخرج عن كونه حقيقة دافعة على هذه الغطرسة والتوجُّه العدواني وكُلّ السلبيّات التي وردَت على لسان شخوصها تكاد تكون لسان حال قطاعات واسعة من الإسرائيليين. ولكنّي

---

(١) يزهار سيلنسكي: أربع قصص، ص ٧٩.

أستطيع أن آخذ على سميلنسكي أمراً واحداً، انّه توخّى الصدق ولا ريب - ولكنّه لم يُشِر بشكل من الأشكال الى مسبّبات ما قدّمه عن هزيمة العرب واستسلامهم كما ورد في القصة. لم يحدّثنا عن القرى العربيّة هل كانت مسلّحة مثلما كانت المستوطنات اليهوديّة؟ وهل كانت درجة الوعي عند العرب على نفس المستوى من الوعي عند اليهود؟ وهل كان العرب بشكل عامّ مستعدّين استعداداً كافياً لخَوض حرب فُرِضَت عليهم في غفلة من الزمن؟

أمّا هرَب العرب عن ديارهم فأقلّ ما يقال فيه انّهم كانوا أمام هجمة وحشيّة عنيفة لم يكونوا لِيَتَصَوّروها.

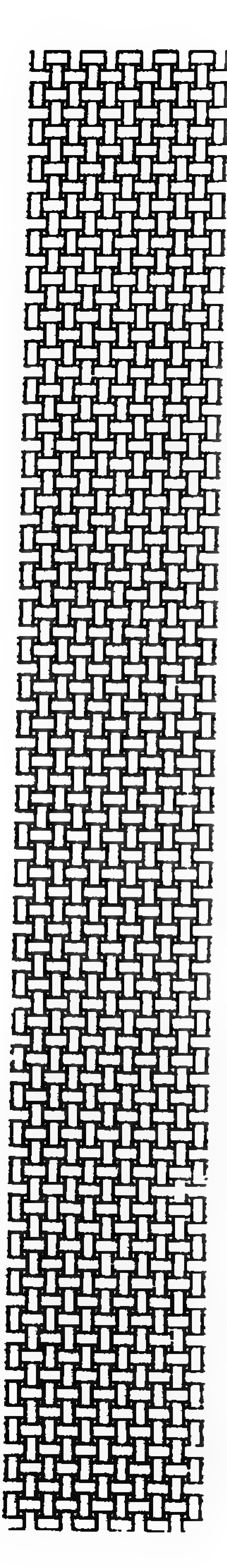
والعربي عند الكتاب العبريين ليس فقط غير متحضّر بل هو ساذّج وغبيّ ومتخلّف . وهو في عرفهم يعيش في مجتمَع أو وسَط تتفشّى فيه الأمراض ، وهو الوسط العربي؛ على اعتبار أنّ الأمراض لا تنتشر إلاّ في وسَط متخلّف لا يهتمّ بالنظافة . وهذا ما يريد أن يؤكّده الكتّاب العبريّون ؛ فالكاتبة دبورة عومر تقول: (انّ طبيب الكيبوتس كان يستقبل في عيادته نساء عربيّات مريضات . أولادهنّ منفوخو البطون . وهم يرتجفون من الحُمّى)(١).

أمّا موشيه شمير فيعرض علينا صورة مضحكة عندما يحكي كيف يستحمّ العربي وينظّف جسده. فعند حديثه عن صيّاد سمَك عربي يستحمّ يقول: (ما زلت أذكر تلك الساعة عندما راقبت عامل البحر العربي وهو يغتسل. لقد فتح صنبور المياه ، وأدخَلَ قليلاً من الماء الى فمه، ثمّ أدخَلَ أصابع يده في فمه وأخذ يفرك أسنانه. ثمّ تناول بعد ذلك حفنة من الرمل والوحل وأخذ يفرك بها جسده لمدّة طويلة)(٢). وشمير في هذا يريد أن يصف

---

(١) دبوره عومر: الحدّ الذي في القلب ، ص ٥٩ .

(٢) موشيه شمير: حياة شعب إسماعيل ، ص ١٨٢ ـ ١٨٣.



العربي بأنّه متأخر أيضاً حتى في نظافة جسده؛ فهـو لا يعرف فُرشة الأسنان ، ولا معجون الأسنان، ولا يعـرف كذلك الصابون ويستعيض عنه بيده وبالوحل.

أمّا عاموس عوز فيقول: (... جاء المرض مـن الصحراء منتقلاً بلعاب الحيوانات المهمَلة، التي لا تخضع لأيّة مراقبة بيطريّة، ومع أنّنا أخذنا الاحتياطات اللازمة مسبقاً إلاّ أنّ المرض أصاب أغنامنا وأبقارنا وفَتَـكَ ببعضها)[1]. وهنا يُظهر عاموس عوز جَهل العربي وإهمالـه العناية بحيواناته ؛ مِمّا يؤدّي الى إصابتها بمختلـف الأمراض . هذا الى أنّ العربي لا يعـرف الرفـق بالحيوان ؛ على عكس غيره من الناس الذين ينتمـون الى الشعوب المستنيرة التي تحيط الحيوان بصنـوف العناية والرفق.

والعربي لا يعرف كذلك الطريقة التي يتمكّن بهـا أن يوفّر العناية الطبّيّة لحيواناته، على العكس مـن اليهودي الذي يقيم في المستوطنات ، والذي يبذل جهوداً كبيرة لِئلاّ تقع حيواناته فريسة الأمراض، الأمر الـذي يجعل الضرر الناجم عن ذلك في المستوطنات اليهوديّـة أقلّ بكثير مِمّا هو عليه في القرى العربيّة.

وفي كلّ هذا الأمر مبالغة كبيرة؛ إذ من المعـروف عن القروي العربي أنّه يُعنَى بحيواناته عناية فائقـةً، لأنّها مصدر مهمّ من مصادر رزقه ؛ وهو حريص علـى أن تكون في صحّة جيّدة لأنّها تقيم أَوَدَه ، وتسدّ كثيراً مـن حاجاته اليوميّة . ولعلّ التراث الشعبـي عـن هؤلاء الفلاّحين في مختلف القرى والمضارب يصوّر مدَى حرصهم على أغنامهم وأبقارهم وخيولهم وجِمالهم .

أمّا ايهود بن عيزر فيسرد حادثة وقعَت مع رجلَيـن يهوديّين هما يهودا وديزنجوف . والأخير يعمل طبيبـاً.

---

(1) عاموس عوز: بلاد بنات آوى ، ص ٢٨ .

وقد خرجا من يافا الى زخرون يعقوب. وفي أثناء الطريق يطلق يهودا عيارات نارية من مسدّسه، فيصيب ثوراً يملكه أحد سكّان قرية قاقون العربيّة. ويجتمع سكّان القرية حول يهودا وديزنجوف لاستغلال تلك الحادثة؛ حادثة الثور، لابتزاز النقود من الاثنين. وعندما يرى ديزنجوف أنّ الوضع صَعب يتوجّه الى شيخ القرية ويقول له: (... انّي مضطرّ الى السفر حالاً الى زخرون يعقوب فأنا طبيب اللواء، وهناك مرضَى كثيرون في انتظاري. ولِكَلِمَة (حكيم) تأثيرها السحري على العربي. وفي الحال يتقدّم الشيخ ويفكّ الحَبل من عربة المسافرَين اليهوديَّين قائلاً: اذهَبا، رافقتكما السلامة. وفيما يتأهّب اليهوديّان لِمغادرة المكان يحدث فجأةً شيء غريب؛ إذ يحيط جميع سكّان القرية نساءً ورجالاً وأطفالاً بالعربة ثانيةً ويتوجّهون الى اليهوديَّين بطريقةٍ أكثر لُطفاً ورُبّما أكثر توسُّلاً عن المرّة الأولى صائحين: عيّان. مريض. طَبّبني من فضلك. كلُّهم يطلبون المساعدة، وهنا يجلس يهودا وديزنجوف في ظِلّ شجرة ويبدآن بِفَحص المرضَى وإعطائهم وصفات طِبّيّة ليحصلوا على العِلاج من صيدليّة زخرون يعقوب. وعندما جاء دَور صاحب الثور، وكان يشكو من صداع شديد في رأسه، كتبَ له يهودا وصفة طِبّيّة جاء فيها: انّه مصاب بالوقاحة الزائدة. وانّه يرى في أحلامه ثيراناً ذات آذان مجروحة، أمّا علاجه فيجب أن يكون بحقنه وبصفعتين على وجهه ودلو ماء بارد على رأسه...)(1).

وواضح من القصة السابقة أنّ جُلّ ما يريده الكاتب هو تصوير العربي بأنّه كاذب ومُخادع، واستغلالي، وجاهل وأمّي، وأنّ جمع المال هو همّه الوحيد بغضّ النظر عن الوسيلة لأنّها ليست مهمّة في نظره. وهنا يُظهِر لنا

---

(1) ايهود بن عيزر: افرات، ص ١٢٠ ـ ١٢٢.

الكاتب التحوّل المفاجئ عند العربي، إذ إنّ كلمة طبيب كان لها وقع الرعد في نفوسهم في يوم صحو، إذ أخذوا يتوسّلون ويُلِحّون في الرجاء حتى يعالجهم، وكأنّما أراد هنا أن يُظهِر العرب بأنّهم يحترمون أصحاب المراكز والمناصب. وفي الوقت ذاته أراد أن يصوّر لنا القرية العربيّة خالية من الأطِبّاء، وأنّ الطبيب في عيون العرب شيء مهمّ. من الطبيعي أن يكون الفلاّحون في تلك الفترة لا يعرفون العبريّة (اللغة التي كتب بها ديزنجوف وصفته) أو الفرنسيّة التي كانت تُكتَب بها الوصفات الطبّيّة آنذاك. لكنّنا نستطيع أن نفهم من هذه الفقرة ما في نفس الطبيب المتحضّر من غدر واستخفاف واستهزاء.

أمّا الكاتب موشيه شمير فقد حاول في قصّته (الخشخاش المرّ) أن يصف لنا حياة (عائلة أبي الفضل)؛ تلك العائلة التي عاشت مدّةً طويلة في كَنَفِ أفندي يهودي يدعى شبيرا ويمتلك بيّارة (بستاناً)، وفي أحد الأيّام يقرّر اليهودي طرد العائلة العربيّة من بستانه، فيستدعي أبا الفضل. وفيما هما يتجادلان يَظهَر ولدان صغيران عَلَت الأوساخ جسديهما وارتَدَيا القمصان دونَ السراويل؛ الأمر الذي أبرَزَ أعضاءَهما الجنسيّة الصغيرة وهي تتأرجح في أثناء ركضهما. وفجأةً تُسمَع صرخة عالية أطلقها أبو الفضل تَبِعَتها شتائم وبُصاق[1].

ولعلّ القارئ لا يجد سبباً مقنعاً يدعو الكاتب الى رسم مثل هذا المنظر؛ اللهمّ إلاّ إذا كان يقصد من كلّ ذلك الحديث عن تربية العرب أطفالَهم، وأنّهم يتركونهم حُفاةً عُراةً ودون أدنى عناية. أو انّه يريد أن يوضح الطريقة التي يعامل بها العربي أولاده تلك المعاملة القاسية البعيدة عن المنطق وعن التربية الحديثة.

---

(١) قصص عبريّة من حياة العرب، ص ٢١٩.

فالأب يصرخ في أولاده؛ يشتمهم ويلعنهم ويبصق عليهم.

انّ تعنيف الآباء أبناءَهم ليس أمراً خاصّاً بالعرب ؛ بل هو شائع شُيوعاً كبيراً عند كثير من الشعوب ، ولا سيّما اليهود. وإذا صادفَ أن صاح عربي على ابنه أو عنّفه فلا يعني ذلك أنّ العرب يشتدّون على أولادهم ويُنزلون بهم العقاب الشديد والإهانات .

أمّا ظهور الأطفال عراةً أو أشباه عراة فهذا الأمر لا يشمل كلّ الأطفال العرب فحسب ، بل يتعدّاهم الى الشعوب الأخرى التي ترى في الهواء الطلق وشعاع الشمس ما يعود بالفائدة على أطفالهم.

والطامّة الكبرى تنزل بأبي الفضل عندما يخبره شبيرا أنّ عليه أن يغادر البيّارة لأنّه اكتفى بما قدّمه له من خِدَمات .

ويبدو أنّ الكاتب أراد أن يستغلّ ذلك لِيُظهر لنا العربي مجرَّداً من الكرامة ؛ ولا سيّما عندما يقول أبو الفضل لشبيرا :(... لا يا أفندي. أستحلفكَ بالله أن ترجع عن قولكَ ، وقُل انّه كان مزحة...)(1). أو عندما يقول :(... يا أفندي ارحمنا وارحم أولادنا ... نحن كلّنا لك . الى أين تريد أن ترمي بنا؟...)(2).
أو عندما يستطرد ويقول :(... ويجهش أبو الفضل في البكاء ، ومن ثَمَّ يتوجّه الى الصغار ، وكأنّهم أصل البلاء، وسبّب هذه الفاجعة. وقد تصوّر أبو الفضل أنّه إذا أهان أولاده سيكسب ودّ شبيرا ورضاه ؛ ويأخذ بضربهم على رؤوسهم وأقفيتهم وهو يقول لهم : اذهبوا وابكوا واستحلفوه بالله كي لا يطردنا يا أولاد الكلاب. لماذا تسكتون ؟ ثمّ يبدأ الأولاد والزوجة بالتوسُّل الى شبيرا والإلحاح عليه كي يبقيهم...)(3).

---

(1) قصص عبريّة من حياة العرب ، ص ٣٢١ .

(2) المصدر نفسه، ص ٣٢٢ .

(3) المصدر نفسه، ص ٣٢٣ .

وهنا يبدو للقارئ أنّ أبا الفضل يتوسّل ويستعطف شبيرا كي يشفق عليه ويبقيه في بيّارته. ويبالغ الكاتب مؤلّف القصة بإظهار أبي الفضل وقد فقد كلّ حِسّ باحترام نفسه. فهو لا يملك الاحترام الذاتي والقيم الأخلاقيّة ، وإلاّ لَما توسّل على هذه الصورة. غير أنّ شمير في قصته هذه يريد أن يُظهِر أيضاً غَباء العربي وجَهله عندما أخذ يضرب أولاده على اعتبار أنّهم السبب في طرده من البيّارة، ولِظَنّه أنّه بإهانة أولاده إنّما يستدرّ عطف الأفندي اليهودي.

وأغرَب ما في القصة هو ما وصف به الكاتب (ظريفة) ابنة أبي الفضل ؛ فهو يقول: (... وفجأةً تظهر ظريفة وهي ابنة أبي الفضل . وكان لشبيرا علاقة جنسيّة معها. وكان الأبناء والأمّ يعرفون هذه العلاقة ؛ فقد كان شبيرا يستغلّها جنسيّاً . وكان والدها يعرف ذلك ؛ خصوصاً وأنّ أبا الفضل لم يكن يكلّفها القيام بأيّ عمل شاقّ بسبب ذلك...)[1].

ولا نجد سبباً معقولاً يدعو الكاتب الى إقحام هذه العِبارة في قصته سوى أنّه أراد أن يطعن العرب في الصميم، ويرسم أمام القارئ العبري صورة غير واقعيّة عن العرب ؛ إذ إنّ من المعروف عن العرب أنّهم يهتمّون بالعِرض ، وقد يقترفون أكبَر الجرائم لصيانته والذود عنه . غير أنّ شمير أراد أن يدحض ذلك ليؤكّد أنّ العربي مستعدّ أن يبيع حتى عِرضه مقابل المال، وأنّ المال عند العربي هو أسمَى من الأرض والشرف . وفي هذا الصدد أيضاً نقول: انّه لا يمكن اتّخاذ عمل شاذّ قاعدةً تشمل جميع العرب . ولا نرى مِن مبرّر لإقحام موضوع الجنس في هذه القصّة سوى التشهير بالعرب والإساءَة اليهم.

---

(١) قصص عبريّة من حياة العرب، ص ٣٢٢ .

والغريب أن يتطرّق شمير وغيره الى الحديث عن العِرض ، وهو المهدور في المجتمعات غير الشرقيّة وغير العربيّة. أمّا ردّ الفعل عند شبيرا فهو: (... احذّر تَمَلُّق العرب). وقال شبيرا في نفسه (هذه تمثيليّة إسماعيليّة (عربيّة) بكلّ تفاصيلها، و ... انّهم يبكون. تمثيليّة قذرة يقوم بها عبد أسوَد (يعني أبا الفضل). عاشوا على مزرعة ليست لهم وأرض لا تخصُّهم ... لقد ملأوا الأرض روائح كريهة ، ملأوها قملاً وحشرات) (١).

وشمير لا يختلف عن غيره من الكتّاب اليهود في وصف العربي بالكذب والنفاق والتلوُّن. ويعود ويكرّر ما قاله زملاؤه عن العرب من عدم اهتمامهم بالنظافة أينَما وُجدوا. فهم دائماً ينشرون القمل والحشرات والقاذورات، حتى طريقة تناوُل العربي لطعامه وجد الكتّاب العبريون فيها مجالاً رَحباً للطعن. فاتَّهموا العرب بأنّهم لا يجيدون شيئاً من آداب المائدة، وأنَّهم والوحوش سَواء في تناوُل الطعام.

فالكاتبة دبوره عومر تقول: (... في أحد أيّام الربيع تلقّى الكيبوتس دعوةً لحضور حفلة زواج ابنة شيخ القبيلة العربيّة المجاورة ، وجلسنا جلسةً شرقيّةً حول قِدر كبيرة من النحاس مليئة بالأرُزّ ، ورأينا الحضور يمدّون أيديهم ويغوصون بأصابعهم الملطّخة بالزيت في القِدرِ الوحيدة ، ويصنعون من الأرُزّ كُراتٍ يقذفون بها الى أفواههم) (٢).

ولا ريب أنّ لكلّ شعب من شعوب الكرة الأرضيّة عادات يتّبعها في حياته ؛ ولا سيّما عند تناوُل طعامه. ولسنا في هذه العُجالة بصدد ذِكر الأساليب التي تتّبعها الشعوب في تناولها لطعامها. ولكنّنا نعرف أنّ للعرب

---

(١) قصص عبريّة من حياة العرب ، ص ٣٢٣ ـ ٣٢٤ .

(٢) دبوره عومر: الحدّ الذي في القلب ، ص ٤٨ ـ ٤٩ .

عادات شعبيّة متوارثة في طهو أطعمتهم وإعداد وجباتهم ، وطريقة تناولها. وهم في ذلك مثل أيّ شعب آخر ، فهناك شعوب تأكل الأرزّ بالأعواد ، فهل نجعل من أولئك وسيلةً للسخرية والاستخفاف؟؟؟

هذا ، وقد نَسِيَت الكاتبة الجَشَعَ الذي يستولي على الغربيّين عندما يُدعَون الى ولائم شرقيّة عربيّة ، حيث يصولون ويجولون ويأكلون أكثَر مِمّا يحتاجون متناسين الحضارة الأوروبيّة وآداب الطعام.

أمّا عزيئيل لوبوبسكي في كتابه(ذكريات ابن الجليل) فيروي حوادث متعدّدة عن غَباء العرب ... منها قصة عن يهودي قَدِمَ حديثاً من أمريكا واستوطن الجليل حيث تكثر القرى العربيّة والقبائل . وهذا اليهودي الأمريكي القادم من العالم الجديد جلب معه أشياء كثيرة منها السلاح وساعة رَنّانة رَقّاصة ظنّ جيرانه العرب أنّ جِنّاً تسكنها. ويضيف انّ هؤلاء زاروه في أحد الأيّام، وفيما هُم مستغرقون في الحديث معه وإذا بالساعة تدقّ معلنةً الثانية عشرة . وعندها نهض ضيوفه الفرسان العرب لِسَماعهم أنغام الشيطان المختبئ في هذا الجِهاز الغريب الذي لم يرَوا له مثيلاً من قبل. وعَبَثاً حاوَلَ المضيف أن يشرح لهم موضوع هذه الساعة التي تدقّ غير أنّهم أصرّوا على أنّ شيطاناً مخيفاً يسكن في داخلها، وأنّهم لن يجلسوا تحت سقف واحد مع رسول الشيطان. وأجبَروا المضيف على إخراج حصيرة الى خارج البيت ليجلسوا عليها وينهوا حديثهم[1].

انّ أقلّ ما يقال عن هذه القصّة أنّها مختَلَقة و(مفَبرَكة) عن سبق عَمد وإصرار ، ذلك لأنّ الساعات الرنّانة والرقّاصة معروفة عند العرب منذ العهد العبّاسي أو قبله . وتذكر بعض كتب التاريخ أنّ العرب

---

(١) عزيئيل لوبوبسكي: ذكريات ابن الجليل ، ص ١٦.

اخترعوا الساعات الدقّاقة. كما أنّ هارون الرشيد قد أهداها لشارلمان فخافت حاشية شارلمان منها... فأين المقارَنة؟

ويذكر ابراهيم العورا في كتابه (تاريخ ولاية سليمان باشا العادل) الذي وَلِيَ عكا بعد الجزّار أنّه تسلّم من السيّدة (استر ستون هوب) البريطانيّة ساعةً عجيبةً لأنّها عندما كانت تدقّ دقّةً واحدةً كان ينفتح شبّاك فيها ويخرج منها تمثال عبد(من الخشب)، أمّا إذا دقّت مرّتين فيخرج اثنان وهكذا حتى يخرج اثنا عَشَرَ تمثالاً. ومع ذلك لم يفسّروا ما رأوا على أنّه من عمل شيطان يختبئ في داخلها.

أمّا أن يظنّ عرب في الجليل في الأربعينات أنّ في الساعة شيطاناً فلا يدلّ على شيء سوى أنّ لوبوبسكي هذا أراد عن سبق إصرار أن يسيء الى العرب بوصفهم هذا الوصف عند تحدُّثه الى قُرّائه اليهود.

ويتمادى لوبوبسكي فيأتينا بقصة أُخرى لا تقلّ سخرية واستهزاءً عن تلك؛ وملخّص القصة أنّ أحد كبار الشخصيّات العربيّة جاء الى القدس مع سائقه وحلّ في فندق الملك داود، وعندما أراد في صباح اليوم التالي أن يغادر الفندق لم يستطع سائق السيّارة أن يتعرّف عليها ويميّزها من بين السيّارات الواقفة في ساحة الفندق. (وقد سألوا السائق عن رقم السيّارة، ولكنّ السائق الأمّيّ لم يكن يحفظ رقمها. وبعد تفكير طويل وصف الأرقام الموجودة على لوحة السيارة بأنّها عبارة عن عصا وكعكتين؛ وهنا أدرك السائقون أنّ رقم السيّارة مائة...)[1].

وكأنّنا نلاحظ أنّ الكاتب قد قصد من خلال هذه

---

(1) عوزئيل لوبوبسكي: ذكريات ابن الجليل، ص ٦٤.

القصة أن يقنع القارئ بغباء العرب. وإذا كان الكاتب لوبوبسكي قد أقنع قرارة نفسه بغباء العرب، فقد حاول في قصة أخرى أن يقنع قارئه بذكاء اليهود. ومن أجل ذلك يقدّم لنا شخصيّة الشيخ حميد الذي كان صاحب ضيعة واسعة يعمل فيها عدد من العمّال بينهم شابّ يهودي يدعى (يوسف)، شكا اليه الشيخ حميد ألماً أصاب عينه. وما يكاد يوسف يسمع الخبر حتى يطير فرحاً ويخبر الشيخ بأنّه سيأخذه الى طبيب عيون في حيفا. وفي حيفا يستأجر يوسف شقّة في الفندق على حساب الشيخ حميد، وفي المساء يأخذه الى دار السينما ليشاهدا فيلماً لتشارلي شابلن؛ الأمر الذي يسبّب له آلاماً في عينيه بسبب وضع الإضاءة غير المستقرّ في الفيلم. ويطلب الشيخ الى يوسف أن يغادرا القاعة، غير أنّ يوسف يلقي في روع الشيخ المسكين أنّ الوضع غير المستقرّ للإضاءة سيشفي عينيه. وقد رجا الشيخ المسكين أن يكون شفاء عينيه بوساطة هذا الضوء المشعّ. ولكنّ عينَي الشيخ أُصيبتا بالعمى؛ حتى إنّ الطبيب المعالج لم يستطع أن يفعل شيئاً وإزاء ذلك قال الشيخ حميد بأنّ الشيطان الذي كان في قاعة السينما هو الذي أفقَدَه بصره وجعل لون عينيه أبيَض بعد أن كان أحمر[1].

ولا أجد من تفسير لذكر قصة سائق الشخصيّة العربيّة الكبيرة سوى أنّ حضرة هذا الكاتب يريد أن يطمئن اليهود قرّاء قصصه الى أنّ قادة العرب (ليسوا أكفياء) ولا يُعتَدُّ بهم. وانّي لأستبعد أن يكون السائق على هذه الدرجة من الغباء والجهل لأنّه كان في وسع ذلك الرجل الكبير أن يستأجر لسيّارته سائقاً يفرّق بين العصا والكعك، وبين الواحد والأصفار.

---

(١) عزيئيل لوبوبسكي: ذكريات ابن الجليل، ص ٨٦.

أمّا قصة الشيخ حميد فهي إن أردنا التخصيص أو التعميم ، لا تدلّ على ذكاء اليهودي أو غباء العربي؛ بل تدلّ على دهاء اليهودي (مع الأسف) وعلى طيبة قلب العربي الذي لم يكن يفكّر أنّ اليهودي العامل في أراضيه يغشّه ويخدعه ويستغلّ الفارق الحضاري بينه وبين الشيخ . لقد اطمأنّ الشيخ الى يوسف . وما عَلِمَ لوبويسكي أنّه ألصقَ صورة الغِشّ والخِداع باليهودي عندما أراد أن يتحدَّث عن غَباء العربي وتخلّفه.

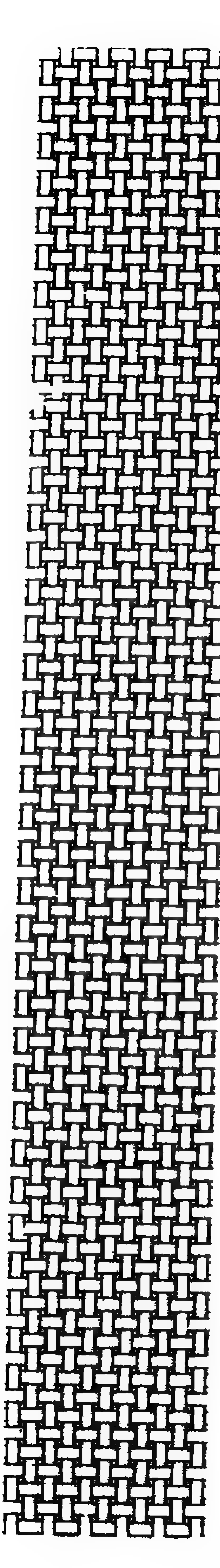
ولِلبَرهَنة على تخلّف العرب وتأخُّرهم عن رَكب الحضارة ، ومَيلهم الى العدوان والشرّ يستنجد الصحافي العبري العراقيّ الأصل نسيم رجوان[1] بالمؤرّخ الشهير ابن خلدون ؛ فيسوق ما جاء في مقدّمته الشهيرة عن أنّ الأماكن التي يحلّ بها العرب لا يلبث الخراب أن يسارع اليها.

ولَعلّ رجوان نسي أنّ ابن خلدون عندما يذكر العرب فهو يقصد البدو (سكّان الصحراء) . ولَعلّه نسي أيضاً ـ أو رُبّما تناسَى ـ أنّ ابن خلدون في حديثه هذا قد وصف الوضع في العصور الوسطَى ، وليس في جميع أنحاء العالَم العربي، إنّما في شمال افريقيا فقط.

وفي مكان آخر يقول عاموس عوز في قصته(بلاد بنات آوى) :(... في هذه الأثناء لا يزال عالَمنا مكوّناً من دوائر دوائر. الدائرة الخارجيّة هي دائرة الظلمة، وهي بعيدة من هنا، هناك في الجبال والصحارى الكبيرة. حقولنا وكرومنا وبيّاراتنا وبساتيننا تكون محاطة بهذه الدوائر في ساعات الليل. وتخوننا أراضينا كلّ ليلة . انّ أراضينا تهرب الى كارهينا وأعدائنا، وتبعث الينا موجات من الروائح الغريبة. وعلى مرأى منّا وفي الليل تزفر أراضينا زفراتٍ مخيفةً عِدائيّةً.

---

(١) كيشت ، السنة العاشرة، صيف ١٩٦٨، ص ٢٥٦ .



وتعود الى ما كانت عليه قبل مجيئنا الى هذا المكـــان.
انّ الدائرة الداخليّة دائرة الأضواء تحمينا وتحمـــي
بيوتنا من المكائد المتراكمة. ولكنّها سور واهٍ ، وليـس
في وسعه أن يصدّ رائحة المبغض وأصواته في الليـــل.
وتمسّ جميع الأصوات والروائح هذه أجسادنا في الليـــل
وكأنّها أسنان وأظافر...)[1].

وفي هذه القصة يسرد عاموس عوز على لسان شـــابة
يهودي يدعى ماتتياهو ، بعض تخيُّلاته حين كان يستلقـي
على فراشه . وما تخيّلاته إلاّ تخيُّلات مخيفة عن سيـــل
جارف :

(... في البداية تظهر جداول تندفع من منحدرات
الجبال، عشرات الجداول تتصادم وتتعرّج وتتقطّـــع
وتتقاطَع بعضها مع بعض، وبلمح البصر تبدو جماهيـــر
الناس الصغار في السفح كأنّها النمل الأسوّد يندفـــع
كالشلال ، انّهم عدد كبير من الناس السُّمر يندفعون من
السفح. انّهم قريبون منك. جمهور قذر غامق اللـــون،
ينشر القمل والبراغيث ، وله رائحة كريهة. والجـــوع
والكراهية سبب جفاء وجهه. تتوقّد عيونهم توقُّـــداً
جنونيّاً . غمرت كثرتهم السهول الخِصبة . وهم يمـــرّون
على القرى الخَرِبة المتروكة ولا يتوقّفون. غير أنّهـــم
يحرقون وهم يتدفّقون نحو الغرب كلّ ما يصادفهـــم ،
ويقتلعون الأوتاد ، ويتلفون الحقول ، ويشقّون الأسيجَـة،
ويدوسون الحدائق، ويحوّلون لون البساتين الأخضر الـى
أصفَر...

يتسلّقون الجدران كالقرود المتوحّشة . ويمضون في
السير الى أمام نحو الغرب الى رمال البحر... عيونهم
تشتعل كراهيةً ، أفواههم فاغرة، ويتنفّسون تنفُّساً ثقيلاً،
وأسنانهم صفراء خبيثة، والخناجر تلمع بين أصابعهـــم.

(1) عاموس عوز: بلاد بنات آوى، ص ١٥ ــ ١٦ .

انّهم يشتمونك بعبارات متقطّعة يخنقها الغضب أو الشهوة الداكنة. وأيديهم تعبث على جسدك وكذلك السكّين... ومن ثَمّ الصرخة...)[1].

وبهذا الكلام وغيره ينعت عاموس عوز العرب بأَسوأ النعوت التي يحتويها المعجم العبري. ولعلّه استَنفَدَها كُلّها. ففي هذه القطعة وفي غيرها: العربي عند عاموس عوز هو الظلمة والصحراء والمرض والأفعى ؛ وهي صفات مخيفة مرعبةلو نُعِتَ الإنسان بواحدة منها، فكم ستكون مخيفة لو اجتمعت في إنسان واحد؟ انّ الصحراء رهيبة مخيفة ، فكيف إذا غطّاها اللون الأسوَد والمرض والأفاعي؟ يريد عوز أن يقول انّ اسرائيل محاطة بدائرة كبيرة من الظلام . ولا داعيَ للذهاب بعيداً كي نعرف ما يعني هذا الكاتب بالدائرة الخارجيّة. العرب بلا ريب . وهذه الدائرة الخارجيّة المظلمة تحارب الدائرة الداخليّة المشعّة بالنور. أي انّ العالَم العربي هو الدائرة الخارجيّة المظلمة المحيطة بإسرائيل التي هي الدائرة الصغيرة المنيرة. ويعني بذلك أنّ إسرائيل هي الممثّل للحضارة الغربيّة في المشرق العربي. وما العرب إلاّ أعداء الحضارة والإنسانيّة. فهُم إذا جاءوا الى منطقة متطوّرة معمورة دمّروها وجلبوا اليها الويل والثبور والبراغيث والقمل ، ويولِّد مجيئهم من الصحراء الأمراض والأوبئة على اختلاف أنواعها.

وفي مكان آخر يقول: حتى الحيوانات لم تسلم من انتقال الأمراض التي جلبها العرب معهم من الصحراء[2].

وفي المجموعة القصصيّة التي نحن بصددها قصة أُخرى عنوانها (الرُّحّل والأَفعى) وفيها يتحدّث عوز عن شابّة يهوديّة تدعى جيئولا كانت تسكن في كيبوتس. ولهذه

---

(١) عاموس عوز : بلاد بنات آوى، ص ٢٢ ــ ٢٣ .

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٨ .

الفتاة مشكلات اجتماعيّة ونفسيّة. فبينما كانت تتجوّل ذات مرّة خارج الكيبوتس لقيت شاباً عربيّاً من البدو الرُّحّل الذين نزحوا من الجَنوب بسبب الجفاف والقحط اللذّين مُنِيَت بهما مضاربهم في الجَنوب. وهنا يصف عوز ما لحق بالكيبوتس من أضرار جسيمة بسبب مجيء تلك القبائل فيقول: (... نحن لا نستطيع أن نمرّ بِصَمت على سلسلة الحوادث المؤسفة مثل تَفَشّي مرض الحافور (مرض يصيب المواشي في أفواهها وأظلافها) وإتلاف المزروعات وحوادث السرقات...)[1].

أمّا الشابّ الذي تلتقيه جيئولا فيصوّره عوز بأنّه متخلّف ذو صفات بهيميّة؛ قميء المنظر، مُزرٍ، ويبدو ذلك من محاورة جيئولا لنفسها عندما تعود الى بيتها وتدخل الحَمّام: (... البدوي يشتمّ رائحة الضعف من بعيد؛ فإذا لاطفته بكلمة جميلة أو بابتسامة يهجم كالحيوان المفترس يحاول اغتصابك. حَسَن أنّني هرَبت منه... أنا لا أرتجف من المياه الباردة، بِقَدرِ ما أرتجف من الاشمئزاز. ما أشَدّ اسوداد أصابعه... كيف أمسَكَ بي من رقبتي. فقط بالضرب وبالرفس هرَبت منه... يجب أن أغتسل بالصابون...)[2].

ومن ثَمّ تخرج جيئولا من بيتها متّجهة نحو قاعة الاجتماعات في الكيبوتس. وتسمع في طريقها فجأةً صوت الصراصير، فتخاف لمجرّد سَماعها هذا الصوت؛ فقد تذكّرت البدوي وأخذت تتقيّأ وتبكي. وهنا تأتي أفعى سامّة وتمدّ رأسها المثلّث ولسانها المتشقّب لتلدغ جسم جيئولا، فينتابها ألم قريب من ألم المتعة واللذّة.

ولَعلّ كثيرين من قرّاء هذه القصة توقّعوا اغتصاب البدوي لجيئولا حسبَما أراد عوز وهو يسرد أحداث قصته محاولاً استفزاز القارئ وإثارة نقمته على العربي بما

(1) عاموس عوز: بلاد بنات آوى، ص ٣٨ .
(2) المصدر نفسه، ص ٣٩ .

يضفيه عليه من صفات ، ويعزو اليه من أعمال يقصد منها تشويه صورته. ولا ندري هل شاءت الأقدار فأتت أفعى سامّة لتكمل العمليّة ، لتلدغ جيئولا التي لا تشعر بالألم ؛ بل تشعر باللذّة والمتعة القريبتين من لذّة العمليّة الجنسيّة ومتعتها ؛ فلقد أكملت الأفعى ما لم يكمله العربي . ولعلّ مؤلّف القصة أراد أن يساوي بين العربي والأفعى ؛ فالعربي شبح مخيف ، ومُغرٍ في الوقت نفسه. وبكلمات أخرى رسمَ عوز صورة خياليّة للعربي في قصته هذه شبيهة بما يَرِد في الخرافات .

أمّا الكاتبة الناقدة العبريّة نوريت غريتس[1] فهي تعلّق على الصورة التي رسمها عاموس عوز للعربي في كتابه((بلاد بنات آوى) فتقول: في جميع القصص التي وَرَدت نرى صراعاً بين الإنسان المتحضّر الذي يمثّله عادةً اليهودي ابن الكيبوتس الذي يعيش في ظلّ أيديولوجيّة صهيونيّة ، والطبيعة المُهَدِّدَة بالخطر ، ومُمَثِّلوها هنا هم بنات آوى ـ العرب ـ والجبال.

---

(١) نوريت غريتس: دراسة حول أدب عاموس عوز ، ص ٩٣ .

العربي قدري

والعربي عند كثيرين من الكتّاب العبريين قَدَريّ، يعزو كلّ ما ينزل به من خير أو شرّ الى الله، أي أنّه مقدّر عليه أن يحلّ به مصاب أو ينزل به رُزء . ولذلك لا يفكّر بمقاوَمة ذلك أو باتّخاذ الإجراءات أو الاحتياطات لكي يَدرأ عنه الشرور وذيولها . وأكثر من ذلك أنّه لا يفعل شيئاً ليخفّف من وقع المصاب . ففي قصة تحت عنوان (محمد) للكاتب موشيه سميلنسكي، يتحدّث عن المجاعة والجفاف اللذَين نزلا بِجَنوب البلاد وقاسَى الأهلون بسببهما الأمَرَّين فقرّروا الانتقال الى الشمال بحثاً عن الرزق.

(... في ذلك الصيف اشتدّت المجاعة في جَنوب البلاد. ومنذ بداية فصل الشتاء وحتى نهايته لم تهطل قطرة ماء واحدة. لقد سُدّت أبواب السماء ، ولم تفتح ولو لِمَرّة واحدة. وعبثاً صلّى الحُجّاج القِدّيسون، وعَبَثاً تضرّع الدراويش...)[1].

ويحدّث محمد ابن الجنوب عن هذا الوضع :(...أنا ابن ثمانٍ وعشرين سنة ولم أرَ سنةً كهذه، ولكنّهم يقولون انّه في صغري جاءَت سنة لَعينة كَهذه. في تلك السنة سدّ الله ثغرات السماء . وما هذا إلاّ بسبب ذنوبنا الكثيرة...)[2].

وللكاتب سميلنسكي قصة أُخرى باسم (حسن، حامد وخالد) وموضوعها يدور أيضاً حول المجاعة والقحط. يقول: (... وبعد هدوء العاصفة خرج الناس من مخابئهم يتحدّثون عن آلاء الخالق، وكيف يفضّل الإنسان على

---

(١) قصص عبريّة من حياة العرب، ص ٣٦ .

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٦ .

الحيوان . وتحدّثوا كذلك عن المطر الذي يأتي في حينه إذا شاء الله ... وعندما يتذكّرون الخير والوفـــرة والخِصب الذي منحه الله، الساكن في الأعالي، لهُم، انّهـم متأكّدون من أنّها من عجائب أعمال الرحمن الذي يمنـح الجائع والمُنهَك القوّة ليصمد أمامَ التجربة الصعبة. كمـا يمنحهم القوّة والمقدرة للانتظار حتى تمرّ فترة الغضب؛ إذ لن تدوم الى الأبد لعنة الله على الحقول ، ولن تـزول رحمة الله من العالَم ... في أيّام الجوع الصعبـة لـم يحجب الله وجهه عن سكّان السهول الساكين فجاءَتهم الثّقة والنجدة من مكان لم يتوقّعوه ... انّه اللـــه. ويشكرون الله على رحمته أضعافاً مضاعَفةً كلّ يوم(١).

ومن هذه المقتطفات من سميلنسكي نستطيـع أن نعرف أنّ سميلنسكي ، وهو المعروف باطّلاعه علـى الحياة العربيّة، يريد أن يُظهر للقارئ العبري سَذاجـة العربي واستسلامه للقَدَر . ويعزو كلّ شيء الى اللـه؛ العذاب والشقاء والخير والسعادة. وكذلك انقطـاع المطر والجفاف والمجاعة ـ كلّها من عند الله. لذلـك لا داعيَ عند هذا العربي للسعي كي يبعِد عنه التهلكة والشرّ؛ فلا يقاوم ما تُنزله به الطبيعة من شرور ليثير ، ولـو بطريقة غير مباشرة، في القارئ اليهودي التفكير بـأنّ خَصمَه العربي ساذَج ، بسيط، ومن السهل أن يستسلـم للقضاء والقَدَر ؛ مع العِلم أنّ العقيدة الإسلاميّة تطالـب المسلم بالعمل الجادّ والتوكّل على الله ؛ يقول ـ عليـه السلام ـ : (إعقلها وتوكّل).

والغريب في سميلنسكي أنّه يرى في العربي ما هـو أضعاف مضاعَفة في المجتمَع اليهودي المتديّن المستسلـم للقضاء والقَدَر بشكل يدعو الى الاستغراب. كمـا أنّ الاعتقاد بالقَدَر يمكن تفسيره بأنّه حسَنة من حسَنـات

(١) فقرات من الأدب العبري، ص ١٠٦ ـ ١٠٧ .

المجتمع العربي ولا سيّما الإسلامي ؛ لأنّه يريح النفس البشريّة من التألّم ، ويَرقى بها الى التطلّع الى يوم يزول فيه الشرّ والفناء. وأعتقد أنّ المسلمين ليسوا على هذه الدرجة من الغَباء الذي يُلقي بهم الى الاستسلام النهائي دون اتّخاذ أيّ إجراء لِدَرء المُصاب عنهم . فنحن نعرف أنّ الفلاّحين العرب منذ قديم الزمان عُرِفوا باتّخاذ التدابير لمجابهة ويلات الطبيعة من جفاف وقحط وعواصف؛ فحفروا الآبار لاستخراج المِياه ، وبنَوا السلاسل لحماية التربة من الانجراف وما الى ذلك وَفقاً لإمكاناتهم الضئيلة التي كانت تتوفّر لديهم. وهكذا لا أستطيع أن أقول عن سميلنسكي سِوَى أنّه أرادَ تشويه معتقَدات المسلمين عن سبق قصد وإصرار.

هذا؛ والإيمان بالقضاء والقَدَر ليس فقط من صفات المسلمين والعرب . والفرق بين المسلمين وغيرهم هو أنّه في صُلب عقيدتهم ، بينما هو عند الشعوب الأخرى موجود في نفوسهم وتفكيرهم، وإن لم يكن وارداً في عقائدهم . والاعتقاد عند المسلمين هو أنّ الإنسان مخيّر وليس مسيّراً ؛ لذلك عليه أن يعتمد على عقله وقدراته في كلّ عمل يقوم به . فإذا حلّت به مصيبة فعليه أن يتحمّلها ، ويعمل على التخفيف من وقعها.

كذلك ففي القرآن الكريم آيات ، وفي الحديث الشريف أقوال تَحُثّ الإنسان على الاحتياط والتدبير والحَذَر.

هذا؛ ونجد بيبح بار ـ ادون يتحدّث أيضاً عن الاستسلام للقَدَر في قصّته (منصور الراعي): (... منصور شابّ أشعَث الشعر يمشي حافياً رَثّ الثياب وليس له في هذه الحياة وهذا العالَم متطلّبات كثيرة. يكتفي بالقليل ، وهو سعيد بما عنده. انه يعرف: انّ كلّ شيء يتغيّر ؛ لا يوجد شيء ثابت ؛ فالشرّ زائل،

وكذلك الخير . فلماذا القَلَق؟ ... بعد الشتاء يجيء الربيع الجميل. وهو كذلك ليس ثابتاً إذ يأتي بعده الصيف ، ومرَّةً أخرى يتغيَّر...)[1].

وهذا يعني أنَّ منصوراً رجل كَسول لا يحبّ السعي؛ فهو يربط كلّ شيء بما كتبه الله عليه لا أكثر ولا أقلّ. والغريب في أمر الكاتب أنّه لا يوضح ما يريده من إنسان بسيط مثل هذا الرجل الذي لا يملِك شروَى نَقير.

وكذلك يقول الكاتب موشيه ستوي في قصّته(في النقب) عن أنّ أهل النقب صدَّقوا أنَّ الله قطع المطر عنهم بسبب خطاياهم:(... هذه هي السنة الثانية التي يحجب الله فيها وجهه عن الناس الخطاة، ويصبّ لَعنتَه على الأرض. في السنة الماضية رماهم بآفة الفِئران ... وفي السنة الثانية أصابهم بالقحط. وعبثاً ذهبَت صلاة الناس الى الله ورسوله. وعبثاً صلّت النساء وتضَرَّعن لأجل المطر والبركة...)[2].

ومن جهة أُخرى يتَّهم موشيه سميلنسكي العرب بالأنانيّة وبإحجام العربي عن مساعدة أخيه العربي ساعةَ ضِيقه ، فيقول في إحدى قصصه: (... وفي منتصَف فصل الشتاء نَفِدَ القمح والشعير، فاحتال أغنياء القوم على الفقراء، وسلبوهم كلَّ ما يملِكون...)[3].

في هذا بعض جشَع الأغنياء الذين طمعوا حتى في لقمة الفقير ؛ فهُم بدلاً من أن يقدّموا العَون الى الفقير يغتصبون حقوقه ويسلبون لقمة عَيشه . ولا حيلة في أيدي الفقراء لكي يمتنعوا أو يرفضوا.

---

(١) قصص عبريّة من حياة العرب، ص ٢٣٧ .

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٩ ـ ٥١ .

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٦ .

أعتقد أنّ هذا الغُبن الذي يُلحقه سميلنسكي بالفقراء العرب ليس وقفاً على المجتمع العربي. انّه طبيعة كلّ مجتمع طبقي فيه فقراء وأغنياء... وفيه طبقات لقد عرفنا الصراع الطبقي في المجتمعات المختلفة، في شتّى مراحل التاريخ. ولقد مرّت البلاد العربيّة ولا تزال في مراحل الصراع الطبقي. وكان أجدَر بسميلنسكي لو أنّه في قصصه وصفَ معاناة الفلاّحين العرب الذين شُرّدوا من مواطنهم بسبب الحركة الصهيونيّة التي استولَت بشكل من الأشكال على أراضٍ عربيّة واستصدَرَت أوامر من المحاكم لطردهم منها وعرّضَتهم لشَظَف العيش والعَناء.

انّنا بالطبع لا ندافع عن الإقطاعي العربي أو عن المجتمع العربي، ولكنّنا نرفض أن يُلقَى الكلام على عواهنه؛ فيوصَف إقطاعيّو العرب وأغنياؤهم فقط بهذه الأوصاف.

وفي مكان آخر من قصّة (محمد) يحدّثنا عن أنّ البَدو انتقلوا من الجنوب الى الشمال بحثاً عن لقمة العيش، فاستقبلهم القرويّون في أواسط البلاد استقبالاً شائناً. وعن هذا يقول:

(... وعندما كثر عدد النازحين من الجنوب الى الشمال، صار أهل الشمال يتهامسون باهتمام. فقد خرج الرسل من القرى الى رجال الحكومة في المدن ليقولوا: لقد غزانا أبناء الجنوب مع أبقارهم كالجَراد فأتلَفوا المراعي وشربوا المياه وعاثوا في الديار سرقةً وسلباً... قسَت قلوب القرويّين ونسُوا ما أسداه اليهم سكّان الجنوب من معروف، عندما كانوا في كلّ سنة يذهبون الى هناك (الى الجنوب) ليعودوا محمّلين بكلّ خير لهم ولجمالهم وحميرهم. أمّا البدو فقد شعروا بالإهانة وسكتوا...)[1].

(١) قصص عبريّة من حياة العرب، ص ٢٧ .

هنا أيضاً يصوّر سميلنسكي هذه الأنانيّة (العربيّة) التي يتحلّى (القرويّون العرب) بها. ففيها يصف علاقة العرب بعضهم ببعض ، أهل الصحراء (صحراء النقب) وأهل القرى من أواسط البلاد.

وقد يكون في هذا شيء من الصحّة . ولكنّه لا يمكن أن يتّخذ صفة عامّة تنطبق على أهل القرى. وإن حدث شيء من هذا القبيل، فإنّه كما يقول سميلنسكي نفسه، حدثَ في فترة قحط عانى منها ليس أهل الصحراء وحدهم بل معظم أهل القرى العربيّة. والبَدو في ترحالهم الى الشمال لم يريدوا أن يستَجدوا أو يطلبوا العَون من أحد بل كانوا يبحثون عن أماكن يحطّون فيها رحالهم ويتوفّر فيها الكلأ والماء.

وفي القصّة يسأل سميلنسكي محمداً : (لماذا لا تدّخِرون من سنوات الخير الى سنوات القحط؟ فيجيبه محمد: نَدَّخِر؟؟ الأغنياء يدّخِرون وهم ليسوا بجياع. أمّا الفقراء ففي سنوات الوفرة والخِصب لا نجد عندهم سوى ما يسدّ الرمق). ويسأل سميلنسكي: (وكيف نَفِدَت الحنطة هذه السنة من عند الأغنياء؟ فيجيبه محمد: نَفِدَت؟ هذا غير صحيح. لو فتح الشيوخ مخازنهم لاستطاعوا إطعام كلّ أهالي الجنوب وَلَفاضَ . يوجد في مخازنهم الكثير من الحنطة والشعير ، وحولهم الآلاف من الناس جياع...)[1].

أمّا سميلنسكي فيعطي هذه الصورة الشائنة عن العرب ليضع إزاءَها صورة زاهية جميلة عن المزارعين اليهود الذين أشفَقوا على البَدو وساعدوهم على العكس من العرب . ففي مكان من قصّته يقول: (... وأخيراً اقترب أبناء الجنوب من أبناء المستوطَنات اليهوديّة وشربوا من مياه المستوطَنات ورعَوا مواشيهم في حقولها.

---

(1) قصص عبريّة من حياة العرب، ص ٢٨ ـ ٢٩ .

واستطاع سكان المستوطنات أن يجدوا لأنفسهم من بين جماهير البَدو كثيراً من العمّال بأجر بَخسٍ. وعندما نشب شجار بين سكان المستوطنات وأهالي القرى العربيّة جاء البَدو وساعدوا المزارعين اليهود على سكان القرى...)[1].

وهكذا يقول لنا سميلنسكي انّ القرويّين العرب لم يقبلوا البَدوَ في قراهم، وأظهروا لهم البغضاء، ولم يمدّوا اليهم يد المساعدة. أمّا اليهود سكان المستوطنات فقد استقبلوهم استقبالاً جَيّداً. وبمعنى آخر أنقذوهم من الهلاك. ولكن نسي سميلنسكي أنّ هذا الشيء (الجميل) لم يكن أكثر من استغلال لِلبَدو، واستفادة من جهودهم وقوّة عملهم لقاءَ أجور بَخسة لا تتجاوز لقمة يومهم.

---

(١) قصص عبريّة من حياة العرب، ص ٢٧ ـ ٢٨.

العربي تقليدي

ومن الكتّاب العبريين فريق كبير وصف العربي بأنّه تقليدي ؛ أي أنّه ابن الصحراء، راعي الإبل، تستولي عليه دائماً غريزة حبّ الثأر والانتقام، يحب التظاهر بالشّهرة والأبّهة والفخفخة والاعتزاز. ولا ريب في أنّ معظم هذه الصفات التي أغدقوها على العربي بعيدة عن الحقيقة والواقع ، ولا سيّما في عصرنا هذا. انّها قد تنطبق على عربيّ العصر الجاهلي . كما أنّ هذه الصفات تغلب على كثير من الشعوب في أوائل عهودها. وإذا كان ثَمّةَ اختلافات بين المجتمعات العربيّة وهذه المجتمعات القديمة فهي مردودة الى البيئة وعوامل أخرى لا حاجةَ الى سردها هنا. ولكن في الوقت نفسه لا ننكر أنّ رواسبَ من هذه الأخلاق لا تزال شائعة بين العرب هنا أو هناك ؛ ولكن لا يمكن اعتبارها صفةً ملازمةً للعربي في كلّ مكان وزمان.

غير أنّ الهدف من تعمُّد الكتّاب العبريّين إبراز هذه النقاط واضح وجَليّ ولا يتعدّى القذف والتشهير بشعب عريق . وعلى الرغم من أنّ هذه النغمة قد خفتّت في العقود الماضية ، غير أنّ كثيرين من الكتّاب ما زالوا يثيرونها حتى في قصصهم الحديثة. وإذا كان لا بُدّ من ذكر العربي أو التطرّق في الحديث اليه فما ذلك العربي إلاّ البدوي أو الفلاّح أو راعي الجِمال المنتقم أو ابن الصحراء سريع الغضب ثائر المِزاج. وفي ما يلي نماذج من هذا:

يحدّث لوبوبسكي في كتابه(ذكريات ابن الجليل)[1] عن حادثة وقعت في عرس في قرية نعران.

---

(١) عزيئيل لوبوبسكي: ذكريات ابن الجليل، ص ٣٥ .

وتُعقَد الدبكة، ويجيء خلالها شابّ يودّ أن يشترك فيها ويحتلّ مكان الرَّوِيس (اللوّيح) ، ولذلك يدفع الرويـــس بيده قليلاً ليفسح له المجال وينخرط في الحَلقة مكانَـــه، ويقود الدبكة بدلاً منه. غير أنَّ الروّيس الذي كـــان يلوّح بشبريّة (خنجر) شَعَرَ بأنَّ في هذا شيئاً مـــن الاحتقار والمَسّ بكرامته ، فلم يكن منه إلاّ أن طعـــن ذلك الشابّ بالشبريّة(الخنجر) وأرداه قتيلاً.

وفي القصص التي قرأتها لهذا المؤلّف ، وهي كثيرة، يهدف دائماً الى إظهار سلبيّات العرب والمجتمَـــع العربي ؛ وكأَنَّ مبدأه التركيز على السلبيّات . وكأنّـــه لا يجد عند العربي خصلة إيجابيّة يمكن التحدُّث عنهـا. وهو يفتعل ذلك بأسلوب يقصد منه إثارة سخرية القارئ اليهودي بالعرب بشكل عامّ ، وليُلقي في روعه أنّه يعيش في مجتمع متطوّر متقدّم إذا ما قيس بالمجتمع العربي . والأنكى من ذلك أن يتعمّد هذا الكاتب وأمثاله إظهـار أنَّ العربي لا يتمسّك إلاّ بالقشور والمظاهر . وشعـــوره بالأُبّهة والعظمة يدفعه الى جرائم أبشعها جريمة القتـــل كتلك التي حدثَت في عرس(نعران). وكذلك يتمسّكون بأنَّ العربي سريع الغضب لا يزن الأمور ولا يقـــدّر العواقب . وبعبارة مختصرة انّه شرس ؛ ولا ينمّي تلـك الشراسة فيه إلاّ شعوره بالأصالة.

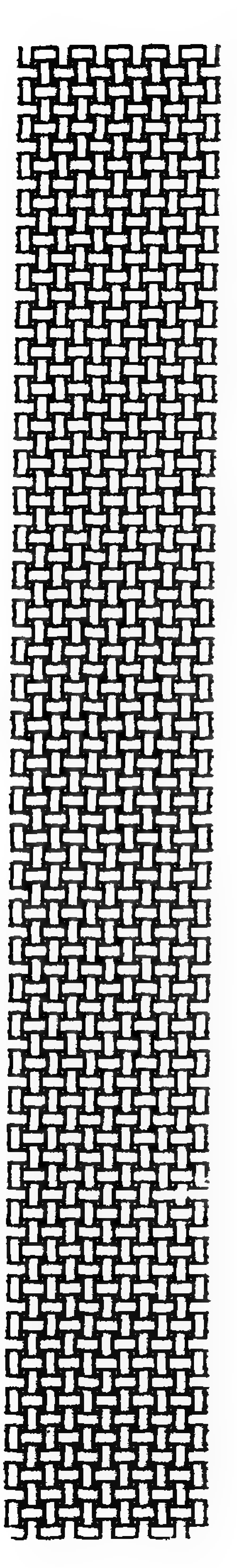
وفي قصة(الانتقام)[1] للكاتب بيـح بـــار ـ أدون، يتمسّك بأَنَّ العربي لا ينسى ثأره ولو بعد سنين تمرّ على الحادث الذي أُهين فيه . ويحسّ ، بل يؤمن كلّ الإيمان، بأنّ العار سيلحق به وبقبيلته إذا لم يثأر؛ لأنّ العـار لا يُمحَى إلاّ بالدم . ويشعر بالفرح والسعادة عندما يثأر. ويعتريه زَهو البطَل المنتصر . وعن هذا يورد بـار ـ أدون أنَّ قبيلةً عربيّةً كانت في منطقة حوران ، وحـــدَثَ أن قتَلَ أحدهم رجُلاً من أبناء القبيلة ... ويهرب القاتـــل

(١) قصص عبريّة من حياة العرب ، ص ٢٣٩ ـ ٢٤٣ .

الى مكان بعيد في شرقيّ الأردن ليحتمي عند قبائل بني خالد. وكان للقتيل ابن أخ يدعى أبا القاسم. وبعد مرور عشرين سنة أو أكثر يصادف رجلاً يظنّه الغريم، ويسأله مَن هو والى أين وجهته؟ وفي النهاية، وبعد أخذ وَرَدٍّ وتحقيق وبطريق الخدعة، يكتشف أبو القاسم أنّ الرجل الواقف أمامه ما هو إلاّ (عوسب) القاتل. فيصوّب بندقيّته اليه وهو يقول: أنتَ مَن قتلتَ عمّي أيّها اللعين، والآن جاءَت ساعتكَ. ويطلق عليه النار ويرديه قتيلاً. ويقطع أبو القاسم يد العجوز المقتول، ويعود بها الى قبيلته فَرِحاً مسروراً. ويرفع أمام بني قبيلته اليد المقطوعة ويلوّح بها في وجه أبيه قائلاً: هذه هي اليد التي قتلَت أخاكَ. ويقبّل الأب ابنه، وتتهافت القبيلة كلّها على تقبيل أبي القاسم والثناء عليه. كما تُذبَح الذبائح وتقام الولائم على شرف الانتقام... فلقد غُسِلَ العار.

لا ننكر، كما ذكرنا آنفاً، أنّ هذه الرواسب لا تزال موجودة ليس عند العرب وحدهم؛ بل حتى في الشعوب الأوروبيّة. ولا تزال شائعة كذلك حتى بين اليهود أنفسهم الذين يحاول الكتّاب وصفهم بأنّهم أبناء شعب متطوّر ومتحضّر. ولكنّ اتّخاذ هذه الأمور كأنّها نموذج يشمل العرب كلّهم متحضّرين وغير متحضّرين فأمر يعرّفنا على طوايا نفوس هؤلاء الكتّاب.

لا ريب أنّ أموراً كهذه تحدث، وليس بين العرب فقط، بل بين شعوب أخرى سبقَت العرب في الحضارة والتطوّر. وقبل أن ينظر هؤلاء الكتّاب الى سلبيّات العرب الآخذة بالانقراض، ليتّهم يعودون الى التوراة؛ حيث سيجدون أنّ الثأر كان في تلك العهود مباحاً بين اليهود وغيرهم. وكان القاتل، بغية أن ينجوَ من الثأر، يلجأ الى إحدى مدن اللجوء حيث لا يجوز قتله؛



الأمر الذي يشبه الى حدٍّ كبير (الطنب) عند العرب؛ وهو أن يهرب القاتل الذي أُهدِرَ دمه بعيداً عن بلده، فيلجأ الى بلدٍ أُخرى، وهناك يُطنِب على أحد بيوتها طالباً حمايته.

وكثيراً ما يكون الأخذ بالثأر عند العرب بالمبارَزة، وعندما لا يكون قضاء عادل يقتصّ من القاتل او يلقى القبض عليه. وكثيراً ما يتوصّل أهل القاتل والقتيل الى عقد راية الصلح على الطرق العشائريّة.

وبهذا الصدد نذكر قصّة ذلك العربي في الأندلس الذي قتل إسبانيٌّ ابنَه... لقد هرب ذلك الإسباني واحتمَى عند عربيّ ظهر فيما بعد أنّه أبو القتيل فقال له: أنا لا أخفر ذِمّتي.. اذهب معتوقاً في الدنيا والآخرة. وهذه القصّة أورَدَها الكاتب الإسباني الشهير سيرفانتس مؤلّف العديد من روائع القَصص العالَمي. وهو يوردها واقعة حدَثت لِيُدَلّل على سُمُوّ أخلاق العرب.

اليهود سيجلبون معهم التقدم والازدهار الى البلاد

يبدي كثيرون من الكتّاب والقاصّين اليهود في إنتاجهم الأدبي دهشتهم من العرب الذين يرفضون قدوم اليهود الى البلاد واستيطانها . فهُم لا يفهمون المنطق في رفض العرب ، ويستهجنون مواقفهم. لأَنّ رَفض العرب ليس في صالحهم ، ومغبّته الخسران والضرر. لأَنّ اليهود إذا جاءوا واستوطنوا البلاد فسيجلبون معهم الحضارة والتقدُّم والازدهار الى كلّ رُكن يحلّون فيه. سيُحدثون ثورة حضاريّة وصناعيّة وزراعيّة واجتماعيّة وثقافيّة؛ الأَمر الذي سيعود بالانتعاش على البلاد وسكّانها. وهم لا يعرفون أبداً لماذا يرفض العرب هذا التقدُّم . وكأنّي بالكتّاب العبريّين يريدون أن يقولوا انّ العرب لا يعرفون صالح أنفسهم فيتمسّكون بمنطق أعوَج. فمجيء اليهود الى الصحراء سيجعلها جنّاتٍ خضراءَ تشعّ بالأنوار في كلّ زاوية من زواياها. كما ستصل المياه الى كلّ بيت . ويخلص معظم الكتّاب العبريّين الى القول انّ العرب لا يحبّون التقدُّم بل يرفضونه.

ويصف موشيه شمير في كتابه(حياة شعب اسماعيل)* قرية عربيّة ويقارنها بقرية يهوديّة. ويخرج من هذه المقارَنة بنتيجة مفادها أنّ القرية العربيّة غارقة في جَهلها على عكس القرية اليهوديّة المتقدّمة.

(... أربع قرى الواحدة الى جانب الأُخرى، واحدة منها فقط كانت مسوَّرة بالأسلاك الشائكة ، هي القرية اليهوديّة . وفي قرية واحدة فقط توجد جميع التراكتورات التي في المنطقة ، والكهرباء والأنابيب ومرشّات المياه وجميع أنواع أشجار الخوخ ، وجميع

* (شعب إسماعيل) اصطلاح يطلقه الكتّاب اليهود على العرب .

الأبقار الهولنديّة والدجاج، وكلّ المدارس والمستوصفات الطبّيّة والهواتف والقيثارات والكمان والمسجّلات ودور السينما...»[1].

والغريب في أمر الكتّاب اليهود أنّهم ينسون أنّ الشعب العربي الفلسطيني يتطوّر كما تتطوّر الشعوب الأخرى بشكل طبيعيّ، ويجتاز مراحل تمرّ بها عادةً جميع الشعوب في أنحاء العالَم. وهم ينسّون أيضاً أنّ الشعب الفلسطيني في تلك القرى قد عانى معاناةً كبيرة من جرّاء حرمانه من كافّة المساعدات والهِبات التي تتدفّق على القرى اليهوديّة. هذا الى جانب الآثار السلبيّة التي تركها الانتداب الإنجليزي على فلسطين بما جلب معه من ويلات ومَضارّ. أمّا الحركة الصهيونيّة التي كان جُلّ همّها أن تُبقِيَ باب الهجرة مفتوحاً على مصراعيه لكلّ اليهود القادمين من أوروبا التي كانت تعيش أوجّ مجدها الصناعيّ. وبالتالي حمل المهاجرون اليهود الى فلسطين معهم خبرات علميّة لم يَكُن بإمكان سكّان فلسطين العرب أن يحصلوا على مثيل لها. في هذا الأمر يظهر ولا ريب السبب في هذا البَون الشاسع بين قرية عربيّة تحاول النهوض، وقادمين جدد على مستوى عالٍ من الخبرات العلميّة التي اكتسبوها من أوروبا قبل مجيئهم الى فلسطين. ولا أظنّ أنّ هذه الحقائق تخفى على أيّ كاتب يهودي. ولكنّهم يريدون، من كلّ ما يكتبون، أن ينصاع الشعب الفلسطيني الى مطالبهم، ويعنو لقيادتهم مهما تكن النتائج التي تسفر عنها.

هذا، ولم يعرف الفلسطينيّون مرحلةً تمتّعوا فيها باستقلال سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي إلاّ في فترة قصيرة كانت في عهد ظاهر العمر الذي عرف بمحاولاته لإقامة دولة فلسطينيّة مستقلّة عن الحكم العثماني. غير أنّ

---

(١) موشيه شمير: حياة شعب اسماعيل، ص ٥٧ ـ ٥٨.

المؤامرات التي حيكت ضدّه وانتهت بمصرعه لم تمكّن هذا القائد من تحقيق أمنياته.

وعلى الرغم من أنّ (لو) لا تغيّر من الواقع شيئاً ، نقول: لو تمكّن ظاهر العمر من القضاء على تلك المؤامرات فَمَن يدرينا فلَعَلّه كان سيتوصّل الى قيام فلسطين مزدهرة يسعد فيها جميع أبنائها(المسلمين، المسيحيّين واليهود) على حَدٍّ سَواء.

نقول:(لو) لأنّ أكثر المصادر التي عثرنا عليها تؤكّد روح التسامح والتعاوُن التي سادَت سياسة ظاهر العمر. ويمكن الرجوع الى كتاب الأستاذ توفيق معمّر حول هذه الشخصيّة الفلسطينيّة الفَذّة.

ولو ألقينا نظرةً على أبناء فلسطين العرب لوَجدنا أنّهم على الرغم من محنتهم التي اجتازوها ويجتازونها، أصبحوا يحتلّون مراكز علميّة واجتماعيّة ليس في مدنهم وقراهم وبلادهم فحسب ، وإنّما في مختلف أنحاء العالَم . وتلك القرى التي تحدّث عنها شمير وغير شمير لم يعد لها وجود. فقد تطوّرت هذه القرى بفضل جهود أبنائها وسواعدهم.

كما أنّ قرانا العربيّة في اسرائيل استطاعت على الرغم من كلّ العقبات وقلّة الميزانيّات والمعونات أن تشقّ طريقها في مضمار تقدّمها في شتّى المجالات الصحّيّة والثقافيّة وما الى ذلك بقواها الذاتيّة ؛ وهذا ما لا يذكره شمير وأمثاله. هُم لا يذكرون أنّ القرى العربيّة والأماكن العربيّة الأخرى محرومة مِمّا تتمتّع به القرى والمستوطنات اليهوديّة الأخرى ؛ لذلك نجد أنّ دهشة الكتّاب اليهود من عدم اهتمام العرب بمجيء اليهود الى البلاد ، وتطوّرهم بفضلهم، ليس لها ما يبرّرها؛ فلقد أثبتت التجربة أنّ هناك إجحافاً صارخاً بحقّ القرى العربيّة. وكان هدف شمير أن يُظهِر كلّ صفة سلبيّة

ليلصقها بالقرى العربيّة. . . فالقرى العربيّة ـ عنده ـ ما زالت تعيش في العصور الوسطى. وتأخّر القرية العربيّة ، وهبوط مستوى العربي ثقافيّاً واجتماعيّاً ناجمان عن تأخّر الفكر والعقل العربيّين. وتقدّم القرية اليهوديّة ناجم عن تقدّم الفكر والعقل اليهوديّين. ونجد نفس الفكرة عند الكاتبة دبورة عومر في حديثها عن رحلة قامت بها من منطقة الساحل الى منطقة بيسان ؛ حيث ستقوم مستوطنة يهوديّة وستسكن فيها الكاتبة: (. . . أحببت أن أصل بسرعة الى المكان الذي سيقام عليه الكيبوتس في بيسان. وشعرت بشيء من الخيبة عندما أخذت الحافلة تشق طريقها عبر غور الأردن . منطقة الشارون التي جئت منها منطقة خضراء زاهرة مكتظّة بالسكان. أمّا هنا فينكشف أمامنا سهل خال أصفر اللون مليء بالغبار . لقد وردَ في الكتب القديمة أنّ بيسان هي فتحة ، بل مدخل الى جنّة عدن ، ولكنّها لم تظهر هناك أيّة بقعة خضراء واحدة. انّها كذلك ؛ هنا وهناك انتشرت بعض نباتات السدر والنباتات الشوكيّة الأخرى . . . والغبار الخانق يسيطر على المكان. وكذلك العزلة. . .)[1].

وفي هذه القصّة تجسّد الكاتبة الفكرة المسيطرة على الكثيرين من كتّاب اليهود ؛ والتي تتلخّص في أنّ العرب أينما وجدوا توجد الصحراء واللون الأصفر القاتل. وأينما وُجد اليهود ينتشر اللون الأخضر والحياة اليانعة والنشاط والجدّ ؛ لتدلّل بذلك على العلاقة الوطيدة بين الإنسان والأرض ؛ أي أنّ الإنسان العربي يُهمل أرضه ولا يأبه لها ويبقيها خراباً وبوراً ، على العكس من اليهودي الذي يحيل الأرض الجدباء الى جنّات يانعة. وهي في ذلك تأتي بنفس الصورة التي أتى بها موشيه شمير في قصته.

(١) دبوره عومر : الحدّ الذي في القلب ، ص ٢٧ .

على أنّ الكاتبة لم تكتفِ بذلك ، بل أضافت تقول: انّ منطقة بيسان كانت في الماضي خضراء يانعة تطفح بالحياة ، كما ورد في الكتب القديمة، وعندما جاء العرب وحلّوا فيها نزعوا عنها الخضرة وأحلّوا محلّها القحط والجفاف . وحتى تقنع قرّاءها برأيها قالت : انّ العرب إذا حلّوا في مكان أفسدوه وألحقوا به الدمار والهلاك ، مستشهدةً بانتشار الشجيرات الشوكيّة في كلّ الأرجاء ، وتراكُم الغبار الخانق في كلّ ناحية. وتبدي دبورة عومر استهجانها من كيفيّة تلاشي الخضرة واختفاء جمال منطقة بيسان ورونقها الذي طالّما تحدّثت عنه التوراة . وتضيف : انّ هذا الوضع سيتغيّر إذا لَمَسَت المكان يد يهوديّة)... ما دمنا جئنا الى هنا فمجيئنا سيكون في مصلحة العرب أيضاً . سنغرس الأشجار هنا ونجفّف المستنقعات وسيكون وضع العرب أفضل)[1].

وتستمرّ الكاتبة في وصفها لِما سيطرأ على المنطقة من تغيير جذري وثورة حضاريّة بعد قدوم اليهود الى بيسان، فتقول: (... لن يجلب مجيئنا الى غور بيسان أيّ ضرر على عرب المنطقة . العكس هو الصحيح. فالطبيب في الكيبوتس كان يستقبل في عيادته المرضى العرب من نساء ورجال وأطفال مِمّن أصيبوا بالملاريا. لقد أوصلنا المياه بالأنابيب من المنبع الى الحقول والحظائر العربيّة في أيّام القحط . وعلى الرغم من ذلك فلا تزال مواشيهم تعتدي على مزروعاتنا وتُلحِق بها الأضرار)[2].

وهكذا لا تتورّع دبوره عومر عن اتّهام العرب بأنّهم ينكرون الجميل الذي أُسبغ عليهم بفضل اليهود الذين نزلوا هناك . وبدلاً من أن يقرّوا بهذا الجميل وما يتمتّعون به من خيرات وحياة رغدة، ما زالوا يطلقون

---

(١) دبوره عومر: الحدّ الذي في القلب، ص ٤٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٥٩ .

قطعانهم على مزارع اليهود الغنّاء لتُلحق بها الأضرار.

وهي في ذلك لا تختلف عن يهودا بورلا في كتابه (زوج في شعبه) حيث يورد نقاشاً بين عربي ويهودي، يَرُدّ في أثنائه اليهودي على العربي بقوله: (... إذا ما جاء الكثير من اليهود الى البلاد فسوف تغنى الأرض وتزهر وتنوّر. وستتقوّى الزراعة والصناعة والتجارة، وسيكون كلّ شيء لمصلحة الشعبَين اللّذين يسكنان فيها...)[1].

والغريب أنّ الكتّاب اليهود يعزون الى أنفسهم خبرات لا يُلِمّون بها ، ولا سيّما تلك التي تتعلّق بالشؤون الزراعيّة . ولست مغالياً إذا قلت انّ معظم هؤلاء الكتّاب يجهلون الأمور الزراعيّة جهلاً مطبقاً. وما قولهم عن التقدُّم اليهودي إلاّ من باب تحصيل الحاصل على اعتبار أنّ اليهود القادمين من دول أوروبيّة يتمتّعون بمعارف عن الزراعة المتطوّرة . ولكنّ معرفتهم تلك لم تكن لتصل الى الفلاّح العربي حتى يكون بمقدوره الاستفادة منها . هذا الى أنّهم يتجاهلون دَور الفلاّح العربي حتى في مناطقهم هم. ولا ريب في أنّ منطقة الغور لم تكن جرداء قاحلة كما يصف هؤلاء الكتّاب ؛ فلقد كانت فيها أشجار النخيل والموز والفواكه الأُخرى التي لم يزرعها ولم يُعنَ بها إلاّ العرب .

ومن الأمور التي يحسن بنا الإشارة اليها أنّ كثيراً من الأراضي الزراعيّة التي يمتلكها عرب المثلّث صودِرَت منهم غصباً . ولكنّهم استطاعوا بما تبقّى لهم من مساحات ضئيلة أن يطوّروا طرُق زراعتهم . وها هو التوت الأرضي الذي ينتجونه في مزارعهم يضاهي في جَودته التوت في المزارع اليهوديّة . حتى إنّه يمكن القول انّ أكثر التوت الأرضي المعَدّ للتصدير الى أوروبّا هو من إنتاج

---

(١) يهودا بورلا: زوج في شعبه، ص ٣٠٥ .

المزارع العربي.

ولا بدّ من الإشارة أيضاً الى أنّ شجر الزيتون الذي بوركت به هذه الديار غرسته وتغرسه أيدٍ عربيّة فلسطينيّة. وهي تحافظ عليه منذ أقدم الأزمان... هذا الى جانب كروم العنب وأشجار الفواكه المختلفة التي عُرِفت بها بلادنا. كلّ ذلك كان دون حاجة الى اليهود والدوَل المتحضّرة التي جاءوا منها.

كما أنّنا يجب ألاّ ننسى أنّ الفلاّح العربي في هذه البلاد ملتحم بالأرض منذ أقدم الأزمان والأجيال. وهو يبذل لإنعاشها وتطويرها كلّ ما يستطيع أن يبذله وَفقَ إمكاناته وقدراته. فليس وراءَ هذا الفلاّح العربي (كيرن كييمِت) ولا (كيرن هيسود) ولا مؤسّسات غنيّة كبيرة . ومع ذلك استطاع أن يكسوَ بالخضرة أجزاء ليست قليلة من هذه الديار. غير أنّ الكتّاب اليهود، وهم يكتبون طبعاً باللغة العبريّة ، يريدون أن يوهموا قرّاءَهم اليهود أنّ هذه الأرض الفلسطينيّة ليست إلاّ لليهودي... للشعب اليهودي الذي يعرف كيف يستعمل الأرض ويحيلها الى جنّات ذات مناظر ساحرة خلاّبة.

ونعود الى موشيه شمير الذي حاول أن يدحض حُجَج العرب على الهجرة اليهوديّة الى البلاد . وحاول أن يبرهن أنّ العرب هم أوّل مَن يستفيد من الاستيطان اليهودي (رغم أنوفهم)، كما يحاول أن ينكر وجود أيّة نيّة على المدى القريب أو البعيد لاستغلال العرب وانتهاك حقوقهم ـ كما يزعم العرب ـ . وفي ذلك يقول: (... هل كان الاستيطان اليهودي فيما بعد قيام الدولة اليهوديّة سبباً لأيّ أذى لحق بعرب البلاد؟ لا صحّة للادّعاءات العربيّة بأنّ مجيء اليهود الى البلاد وانتشار مستوطناتهم في مختلف المناطق لم يكونا على حساب المواطن العربي وعمله في الأرض أو على حساب تجاربه. فالأرض لم تُسلَب من العرب . والعرب لم يُضطَهدوا.

ولم تُسرَق مصادر رزقهم... العكس هو الصحيح... فلقد نشأ نموّ اقتصادي كان في مصلحة الجميع. وأصبح دَخل العربي أكبر من دَخل اليهودي...)[1].

وفي مكانٍ آخر يقول: (... أحدثَ الاستيطان اليهودي ظروفاً اقتصاديّةً متطوّرةً في البلاد. وفتح أسواق عمل في المحيط العربي. والمبالغ الكبيرة التي وصلَت الى البلاد بوساطة رؤوس الأموال اليهوديّة أحدَثَت تطوّراً متنوّعاً واسعاً...)[2].

وكذلك يقول: (... انّ المواطن العربي والقرية العربيّة والمدينة العربيّة والزراعة العربيّة والصناعة والتربية والصحافة كلّها ازدهَرَت وتطوّرت جنباً الى جَنبٍ مع الحياة اليهوديّة المتجدّدة في البلاد...)[3].

وأعجَب ما في الأمر أنّ هؤلاء الكتّاب اليهود، مهما تكن وجهات نظرهم وتيّاراتهم، ينظرون الى العرب نظرة تَعالٍ. وهم في نظرتهم هذه ينسَون أنّ تطوّر الشعوب حقيقة لا ريب فيها. وتطوّر الفلاّح العربي، والعربي عموماً أمر مفروغ منه؛ لأنّها سُنّة طبيعيّة عند كلّ الشعوب سواء مُنِيَت بالصهيونيّة أو بغيرها أو لم تُمنَ بأيّ بَلاء. فلقد تقدّمت شعوب كثيرة، ومنها شعوب البلدان العربيّة والأفريقيّة والآسيويّة تقدُّماً ملموساً بدون الصهيونيّة أو ما شاكَهَها. ولَعَلّ تقدُّم تلك الشعوب لم يعد على أبنائها بالأضرار الفادحة كتلك التي نزلَت بالشعب الفلسطيني ـ ولا سيّما فلاّحيه.

ولَعَلّ في كلامنا هذا رَدّاً على ما يزعمه سطابيسكي عن شهادة من عربي تشهد بأنّ وجود اليهود كان سبباً من أسباب تقدُّم البلاد وتطوُّر العرب. ولسنا ندري ما هي مكانة هذا العربي ومدى رجاحة قوله وشهادته.

---

(١) موشيه شمير: حياة شعبه اسماعيل، ص ١٠٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٠٧ ـ ١٠٨.

(٣) المصدر نفسه، ص ١١٠.

ذلك العربي ـ وهو من حوران ـ يقول في أثناء جداله مع عربي آخر من صفد :(... اسمع . أعمل في منطقتكم منذ أكثر من سنة ، وكذلك في منطقة حيفا ، وأرى التقدّم وبناء البيوت عندكم. كلّ هذا بسبب الهجرة اليهوديّة الى فلسطين. بسبب المهاجرين الذين يبنون البيوت والحدائق ومزارع الأبقار والشوارع والأرصفة . انّهم بحاجة الى العمّال. وكلّ عائلة يهوديّة تستوطن فلسطين تُعيل ثلاث عائلات عربيّة. هذا هو سبب تقدُّمكم هنا وعدم تقدُّمنا في الحوران. لأنّه لا توجد عندنا هجرة يهوديّة...)[1] .

(١) موشيه سطابيسكي: القرية العربيّة ، ص ١٢٧ .

نبذة قصيرة عن حياة بعض المؤلفين

بنيامين تموز:

ولد بنيامين تمّوز في مدينة جراكوف في الاتّحاد السوفياتي سنة ١٩١٩ . هاجر الى البلاد مع والدَيه سنة ١٩٢٤ . درس في (جمنياسية هرتصيلية). في صغره كان عضواً في اتّحاد الشبيبة الشيوعيّة . سافر الى باريس للدراسة، وبعد عودته عمل في صحيفة (هآرتس). وفي السنوات ١٩٧١ ـ ١٩٧٧ كان ملحقاً ثقافيّاً في سفارة اسرائيل بِلندن . أمّا اليوم فهو متنقّل بين اسرائيل وبريطانيا.

إسحاق شليف :

ولد اسحاق شليف في مدينة طبريّا سنة ١٩١٩ ، ولكنّه شبَّ وترعرع في مدينة القدس. أنهى دراسته الثانويّة في (جمنياسية رحابية)، ومن ثَمَّ التحق بدار المعلّمين (دافيد يلين) في القدس . وفيما بعد أصبح مدرّساً في دار المعلّمين نفسها في (التوراة).

يزهار سميلنسكي:

ولد يزهار سميلنسكي في رحوبوت سنة ١٩١٦ . عمل مدرّساً ومديراً لمدارس مختلفة. أمّا اليوم فيعمل محاضراً في الجامعة العبريّة في القدس. وكان عضواً في الكنيست لفترة ما. اشترك في حرب عام ١٩٤٨ ، وكان ضابط الاستخبارات للمنطقة الوسطى. وكان لهذه الحرب وقع شديد عليه؛ ويظهر ذلك في أدبه. وهو يعتبَر من أعمدة الأدب العبري الحديث . له عِدّة

مؤلّفات منها: في أطراف النقب(١٩٤٥)، قافلة منتصف الليل(١٩٥٠)، الغابة في التلّة(١٩٤٣)، أيّام تسكلج (١٩٥٨)، أربع قصص (١٩٥٠)، قصص السهل(١٩٦٤)، بأقدام عارية(١٩٥٩)، ستّ قصص صيف (١٩٥٠).

أهرون ميجد:

ولد أهرون ميجد سنة ١٩٢٠ في مدينه فولونسلالك في بولندا. ونزح مع أهله سنة ١٩٢٦ الى البلاد واستوطنوا رعنانا. أنهى دراسته الثانويّه في (جمنازيا هرتصيليه). وانتقل بعد ذلك ليسكن في كيبوتس (سدوت يام). ومنذ سنة ١٩٥٠ نقل سكناه الى تل أبيب. اشتغل في عدّة وظائف خارج البلاد؛ فكان موفداً الى كندا والولايات المتّحدة ما بين السنوات ١٩٤٦ ـ ١٩٤٨. كما عمل مُلحَقاً في السفارة الإسرائيليّة في لندن ما بين السنوات ١٩٦٨ ـ ١٩٧١. كَتبَ في عدّة صحف. وله عدّة مؤلّفات.

عاموس كينان:

ولد عاموس كينان في مدينة تل أبيب سنة ١٩٢٧. كان عضواً في حركة ليحي، واشترك في حرب ١٩٤٨. يكتب منذ سنة ١٩٦٠ في صحيفة (يديعوت أحرونوت)، وله زاوية خاصّة أسبوعيّة. صدرت له عدّة مؤلّفات ومجموعات مقالات. ويعتبَر عاموس كينان اليوم من اليسار الإسرائيلي. وكثيراً ما يوجّه نقده اللاذع والتهكّمي الى السلطة الحاكمة من على صفحات جريدة (يديعوت أحرونوت).

يهوشفاط هركابي :

ولد البروفيسور يهوشفاط هركابي في مدينة حيفا سنة ١٩٢١ ، أنهى دراسته الثانويّة في مدرسة (الريئالي) في حيفا . وواصل تحصيله العلمي في (الجامعة العبريّة) في القدس وجامعة (هارفارد) في الولايات المتّحدة. فتخصّص في علوم الشرق الأوسط . وشغل هركابي مناصب عسكريّة مهمّة منها: رئيس شعبة الاستخبارات في القيادة العامّة ، وكذلك مساعداً لوزير الدفاع شمعون بيرس للشؤون الاستراتيجيّة. أمّا في عهد إسحق رابين رئيساً للحكومة فقد عُيّن مستشاراً له للاستخبارات ، واستمرّ في هذا المنصب أيضاً زمن رئيس الحكومة مناحيم بيغن . ويعتبَر هركابي بلا شكّ من ألمع العسكريين والأكاديميّين في اسرائيل. وله عدّة مؤلّفات ، منها:

- الحرب النوويّة والسلام النوويّ.
- موقف اسرائيل من الصراع الإسرائيلي العربي.
- الصراع العربي الإسرائيلي في رؤية الأدب العبري.
- تحوّلات في الصراع الإسرائيلي العربي.
- العرب وإسرائيل.

ويعمل اليوم البروفيسور هركابي محاضراً في الجامعة العبريّة للشؤون الاستراتيجيّة. وقد قام بترجمة الكثير من إنتاج المؤلّفين العرب في الدول العربيّة الى العبريّة ولا سيّما ما يتعلّق بالقضيّة الفلسطينيّة والمؤتمرات الفلسطينيّة.

موشيه شمير :

ولد موشيه شمير في مدينة صفد سنة ١٩٢١ . وبعد سنة واحدة من ميلاده انتقل مع والديه الى تل أبيب . درس في (جمنياسية هرتصيلية) وأنهى فيها دراسته

الثانويّة عام ١٩٣٩ . وفيما بعد انضمَّ الى حركة(هشومير متصعير) ـ الحارس الصغير ـ التابعة لحزب مبام. وكان عضواً في كيبوتس (مشمار هعيمق) لفترة ما . وقد انضمَّ في ١٩٤٤ الى حركة هبلماخ (التي انضمّت فيما بعد الى الجيش الإسرائيلي) . وفي سنة ١٩٤٧ ترك الكيبوتس وعاد الى تل أبيب : قُتِلَ أخوه في حرب سنة ١٩٤٨، وقد اعتُبِرَ موشيه شمير في الخمسينات من منظّري حزب مبام. أمّا بعد حرب ١٩٦٧ فقد حدثَ تحوُّل كبير وجَذري في مسيرة موشيه شمير ؛ فقد أصبح من مؤيّدي أرض اسرائيل الكبرى . وفيما بعد أحد أعضائها. وفي سنة ١٩٧١ انضمَّ الى طاقم جريدة (معريف). وانتُخِبَ عضواً للكنيست الإسرائيليّة في قائمة التكتّل سنة ١٩٧٧ ، ولكنّه استقال من الكنيست على أثر الانسحاب من سيناء ، وأصبح أحد مؤسّسي حزب (هتحياة) ـ النهضة ـ. وهو يعتبَر اليوم من اليمين الإسرائيلي المتطرّف . وله عدّة مؤلّفات منها: (حياة شعب اسماعيل) وَ (الحدّ).

ايهود بن عيزر:

ولد ايهود بن عيزر في مدينة بيتح ـ تكفا (ملبّس) سنة ١٩٣٦ ، وأنهى دراسته الثانويّة في تل أبيب . وكان عضواً في كيبوتس (عين جدي). وعمل مرشداً ومعلّما في مستوطنات القادمين الجدد. درس في الجامعة العبريّة في كلّيّة الآداب الفلسفة والفِقه اليهودي. يسكن ايهود بن عيزر في مدينة تل أبيب منذ سنة ١٩٦٦ . يكتب في صحيفة (هآرتس) الصباحيّة. له عدّة روايات وقصص أطفال ومقالات في النقد وشِعر .

ناتان شاحم:

ولد ناتان شاحم في مدينة تل أبيب سنة ١٩٢٥ ؛

أنهى دراسته الثانويّة في (جيمناسية هرتصيلية). وقــد سكَنَ في كيبوتس (بيت ألفا) منذ سنة ١٩٤٥ . حصــل على عدّة جوائز أدبيّة . وقد تُرجِمَ الكثير من إنتاجـه الأدبي الى لغات أجنبيّة . كان عضواً في حركة البلماخ، واشترك في حرب عام ١٩٤٨ . عمل ملحَقاً ثقافيّاً فــي السفارة الإسرائيليّة في نيويورك بين السنوات ١٩٧٧ ـ ١٩٨٠ .

موشيه سميلنسكي:

ولد الكاتب والقصصي العبري موشيه سميلنسكي فــي طلفينو في الاتّحاد السوفياتي سنة ١٨٧٤ ، وتوفّي فــي تل أبيب سنة ١٩٥٣ . هاجر الى البلاد سنة ١٨٩٠ وعمل في الزراعة مدّةً طويلةً . كان من بين مؤسّسي مدينــة الخضيرة . وفي سنة ١٨٩٣ انتقل الى رحوبوت وسكــن فيها. له عدّة مؤلّفات ، وكثير منها يدور حول حيــاة الفلاّحين العرب واليهود. في سنة ١٩٣٦ اشتركَ فــي مفاوَضات سرّيّة مع بعض الزعماء العرب حول مصيــر البلاد. وفي سنة ١٩٣٧ كان من بين المؤيّدين لتقسيــم البلاد بين العرب واليهود. من بين مؤلّفاته: (في حقــول أوكرانيا) ، (بين كروم يهودا) ، (بعث وكارثــــة)، (آلام الولادة) وَ (في ظِلّ البيّارات).

يهودا بورلا :

ولد القصصي العبري يهودا بورلا في مدينة القــدس سنة ١٨٨٦ لعائلة يهوديّة شرقيّة متديّنة . تعلّم فــي (الكُتّاب)، ومن ثَمّ في مدرسة دينيّة . وواصل دراسته في دار المعلّمين . عمل في الدراسة منذ سنة ١٩١٢ . فــي الحرب العالميّة الأولى كان جنديّاً في الجيش التركــي.

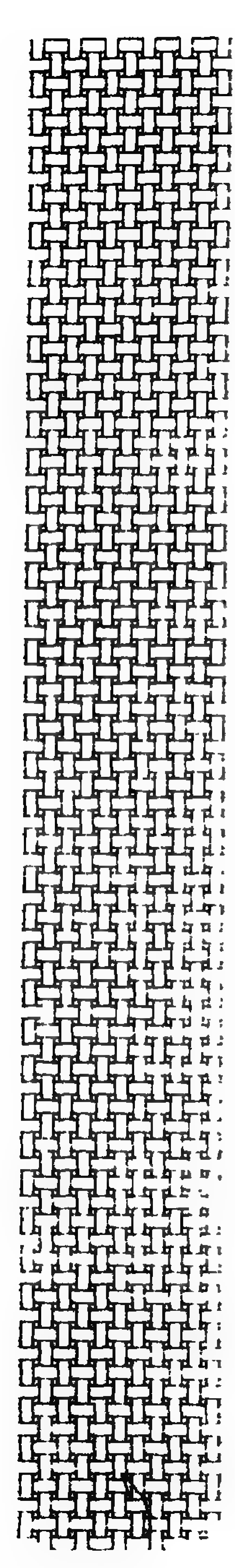
وبعدها عمل مديراً للمدارس العبريّة في دمشق . بعد قيام دولة اسرائيل عيّن مديراً لقسم الثقافة والصحافة والإعلام في وزارة الأقليّات ، وبعدها عمل في وزارة التربية . كتبَ عدّة مقالات وقصص نشرت في صحُف مختلفة . وله عدّة مؤلّفات أخرى منها: (في الأفُق)، (زوج في شعبه). فاز بعدّة جوائز على إنتاجه الأدبي منهـا : جائزة بيالك ، وجائزة بلديّة تل أبيب .

شموئيل يوسف عجنون (١٨٨٨ ـ ١٩٧٠):

ولد الكاتب العبري شموئيل يوسف عجنون في بوتشاتش الواقعة في شمال النمسا سنة ١٨٨٨ ، وتوفّي في مدينة القدس سنة ١٩٧٠ . هاجر الى فلسطين سنة ١٩٠٨. ومكث في البلاد حتى سنة ١٩١٣ . وفي سنة ١٩١٣ هاجر الى ألمانيا حيث مكث هناك حتى سنة ١٩٢٤ ، وبعدها عاد الى البلاد. ويعتبَر عجنون من عمالقة الأدب العبري. وقد سطع نجمه منذ صغره وخاصّةً عندما نشر قصّته عجونوت (المهجورات) سنة ١٩٠٨ . كتبَ العشرات من القصص والروايات . ونال عدّة جوائز أهمّها جائزة نوبل سنة ١٩٦٦ ، وجائزة بيالك سنة ١٩٣٤ وَ ١٩٥٠ ، وجائزة إسرائيل سنة ١٩٥٤ وَ ١٩٥٨ . وقد مُنح لقب دكتوراه الشرف في الجامعة العبريّة سنة ١٩٥٨. وتنعكس في مِرآة أدب عجنون حياة اليهود ومشاكلهم. وله أيضاً لون آخر من الأدب هو أدب الأسطورة . وفي كثير من إنتاجه الأدبي نرى تأثير أسلوب التوراة بارزاً.

يوسف أريكه (١٩٠٦ ـ ١٩٧٢):

ولد يوسف أريكه في اوليبنك في الاتحاد السوفياتي سنة ١٩٠٦ . هاجر الى فلسطين سنة ١٩٢٥ ، وعمل في البناء والزراعة . وفي سنة ١٩٢٩ سافر الى



أمريكا لدراسة الأدب الإنجليزي. ومكث هناك حتى سنة ١٩٢٢ حيث عاد بعدها الى البلاد. كان عضواً فعّالاً في حركة (الهجاناه). له عدّة مؤلّفات. توفّي في تل أبيب سنة ١٩٧٢ .

إسحاق شامي:

ولد إسحق شامي في مدينة الخليل سنة ١٨٨٨ ،وتوفّي في حيفا عام ١٩٤٩ إثرَ مرض عُضال. لقّب أبوه بشامي نسبةً الى موطنه الأصلي سوريا(الشام). وكان والده يعمل تاجراً بالحرير. درس إسحاق في الكتّاب بالخليل وعندما بلغ السابعة عشرة انتقل الى القدس ليواصل تحصيله العلميّ في دار المعلّمين. وفي هذه الفترة رفض والده دعمه ماديّاً ؛ لأنّه لم يوافق على هذا النوع من التعليم؛ حيث إنّه لم يكن تعليماً دينيّاً. أَصدر إسحاق شامي كتابه الأول عندما كان لا يزال طالباً في دار المعلّمين وذلك سنة ١٩٠٧ . بعد إنهاء دراسته في دار المعلّمين عمل مدرّساً في دمشق، طبريّا، حيفا، الخليل وبلغاريا. أكثَرَ إسحاق شامي في كتاباته من وصف حياة شعوب الشرق وخاصّةً العرب واليهود. من مؤلّفاته : (نقمة الآباء)، (ستّ قصص)، ......

إسحاق أورباز:

ولد سنة ١٩٢٣ . درس في مستوطَنة (مئير شفيّة). ما بين السنوات ١٩٤٨ ـ ١٩٦٢ خدم في الجيش الإسرائيلي برتبة ضابط . درس في جامعة تل أبيب . بدأ بنَشر إنتاجه الأدبي منذ سنة ١٩٤٨ . أول مجموعة قصصيّة له صدرَت سنة ١٩٥٩ بعنوان(عُشب بَرّيّ). أمّا روايته (جلد من أجل جلد) فقد نالت جائزة أدبيّة كبرى سنة ١٩٦٢ .

عاموس عـوز:

ولد الكاتب عاموس عوز سنة ١٩٣٩ . منذ سنة ١٩٥٣ يسكن كيبوتس حولداه. درس المرحلة الثانويّة في كيبوتس حولداه، ومن ثَمّ واصل دراسته في الجامعة العبريّة بالقدس. في المراحل الأولى من إنتاجه الأدبي نرى أنّه كانت عنده ميول يمينيّة. أمّا في السنوات الأخيرة فقد حدث تحوُّل في مسيرته الشخصيّة وأصبح ذا ميول يساريّة. واليوم يعتبَر من مؤسّسي حركة(السلام الآن) التي ناهضَت سياسة حكومة الليكود. وقد اشترك أكثر من مرّة في مظاهرات حركة(السلام الآن) ضدّ سياسة حكومة الليكود. له عدّة قصص ومقالات منها:(بلاد بنات آوى)، (ميخائيل خاصّتي)، (هنا وهناك في أرض إسرائيل)وَ (في الضوء الأزرق القويّ).

يهوآش بيبر:

ولد الكاتب والقصصي يهوآش بيبر في مدينة صفد في الجليل الأعلى سنة ١٩٣٧ . قضى فترة طفولته في الجليل الأعلى. وفي سنة ١٩٥٣ انتقل مع والدَيه الى كيبوتس يفعات . والتحقَ بالخدمة العسكريّة في الجيش الإسرائيلي سنة ١٩٥٥ . وبعد انتهاء الخدمة العسكريّة التحقَ بالجامعة العبريّة في القدس. يعمل يهوآش بيبر اليوم محرّراً لِلإعلام والنشر في الإعلام في القدس . نال عدّة جوائز أدبيّة على إنتاجه الأدبي لِلأطفال. له عدّة كتب منها: (القائد الأول ليهودا)، (عاصفة تهبّ مرّةً أُخرى)، . . .

يجب الإشارة الى أنّه يتناول في معظم كتبه وصف الجليل الأعلى وما دار فيه في الأربعينات.

ابراهام . ب . يهوشوع:

ولد الأديب أ.ب. يهوشوع سنة ١٩٣٦ . أنهى دراسته الثانويّة في مدينة القدس بمدرسة(جيمناسية رحابيه) . وفيما بعد واصل تحصيله العلمي في الجامعة العبريّة . يعتبر أ.ب. يهوشوع اليوم من ألمع الأدباء العبريين. له عدّة مؤلّفات منها: (العاشق)، (مقابل الغابات) .... وقد صدرت له أيضاً خمسة كتُب في الولايات المتّحدة وباللغة الإنجليزيّة آخرها (الجلاء الأخير). يعمل اليوم محاضراً في جامعة حيفا.

يوحنان بيرس:

يوحنان بيرس حاصل على درجة الدكتوراه، ويعمل محاضراً في قسم علم الاجتماع والعلوم الإنسانيّة في جامعة تل أبيب .

جرشون شاكيد:

جرشون شاكيد حاصل على درجة بروفيسور في الأدب العبري. يعمل الآن محاضراً في قسم الأدب العبري في الجامعة العبريّة. وشغل لفترة ما رئاسة قسم الأدب العبري في نفس الجامعة.

نوريت جريتس:

نوريت جريتس حاصلة على درجة الدكتوراه في الأدب العبري. وتعمل اليوم محاضِرة في الأدب العبري في جامعة تل أبيب .

دان مرجليت :

كاتب وصحفي اسرائيلي . يعمل اليوم في إذاعة الجيش الإسرائيلي ، ويكتب في جريدة (هآرتس).

مردخاي غور:

شغل منصب رئيس أركان الجيش الإسرائيلي سابقاً. أمّا اليوم فهو عضو كنيست من قِبَل حزب العمل (همعراخ).

سامي ميخائيل:

ولد الأديب سامي ميخائيل في بغداد سنة ١٩٢٦ ؛ وقد دخل الحَلبة السياسيّة منذ صغره وهو في العراق. في السابعة عشرة من عمره كان محرّراً في مجلاّت سرّيّة وثوريّة (في العراق) ؛ وبسبب هذا اضطرَّ الى مغادرة بغداد الى ايران سنة ١٩٤٨ . وفيما بعد وصل الى فلسطين ، ومن ثَمَّ انضمَّ الى الجيش الإسرائيلي. وبعد إنهائه الخدمة العسكريّة بدأ يكتب في عدّة صحف ومجلاّت باللغة العربيّة . ثمّ التحقَ بجامعة حيفا حيث درس في قسم علم النفس والأدب العربي. وكان رفيقاً في الحزب الشيوعي لفترة ما. له عدّة مؤلّفات منها : (متساوون ومتساوون أكثر)، (حماية)، ...

عوديد بيتسر :

يعتبَر عوديد بيتسر من أبرز القصصيّين اللين كتبوا القصّة لِلأطفال . ومن بين قصصه : (المظلّيّة التي لم تعد)، (قصّاصو الأثر من الحدود الشماليّة)، (تلّة الجداول)، (الرجاء عدم الصعود على الحشيش). عمل في السابق مزارعاً . وكان عضواً في (الهجاناه).

المراجع

ألوف هار ـ ايفن : واحد من كلّ ستّة إسرائيليّين، إصدار مؤسّسة فان ـ لير ، القدس ١٩٨١ .

أبراهام . ب . يهوشوع: العاشق(هميئهيف)، إصدار شوكن ، تل أبيب ١٩٧٧ .

أبراهام . ب . يهوشوع: مقابل الغابات (مول هيعروت)، إصدار هكيبوتس هميئوحاد،تل أبيب ١٩٦٦ .

إسحاق شليف : حادثة جبريئيل تيروش (برشات جبريئيل تيروش)، إصدار عام عوفيد، الطبعة الخامسة، تل أبيب ١٩٧٢ .

إسحاق شيمي : ستّ قصص (شيشاه سيبوريم)، إصدار مكتبة ترميل، تل أبيب ١٩٨٣ .

ايهود بن عيزر : إفرات(إفرات) ، تل أبيب ١٩٧٨ .

ايهود بن عيزر : مقتحمون ومحاصرون(فورتسيم فنتسوريم)، كيشت ، السنة العاشرة ، ١٩٦٨ .

بنيامين تمّوز : انجيوكسيل ـ دواء نادر(انجيوكسيل- تروفاه نديراه)، إصدار هكيبوتس هميئوحاد، تل أبيب ١٩٧٣ .

جرشون شاكيد : لا مكان آخر(اين مكوم أحير)، إصدار هكيبوتس هميئوحاد ، تل أبيب ١٩٨٣.

دان مرجليت : مظلّيّون في السجن السوري(تسنحنيم بكيلي هسوري)، إصدار موكيد، تل أبيب ١٩٦٨ .

دبورة عومر : الحدّ الذي في القلب (هجفول شِبَليف)، إصدار شربرك، تل أبيب ١٩٧٧ .

رامي لفني : الحقيقة حول قضيّة خربة خزعة(هئيميت عال برشات خربة خزعة)، إصدار كيتم، تل أبيب .

سامي ميخائيل : متساوون ومتساوون أكثر(شفيم فشفيم يوتير)، إصدار بستان، تل أبيب ١٩٧٦ .

شموئيل يوسف عجنون: مجموعة قصص (سيبوريم)، إصدار شوكن، تل أبيب/القدس ١٩٧٦ .

شموئيل يوسف عجنون: مجد ـ السنوات الطيّبة(تهيلاه ـ هشنيم هطوفوت)، إصدار شوكن، الطبعة الثالثة، تل أبيب ١٩٦٧ .

عاموس عوز : بلاد بنات آوى(أرتسوت هتن)،إصدار عام عوفيد، الطبعة السادسة، تل أبيب ١٩٨٢ .

عاموس عوز : في الضوء الأزرق القويّ (بؤور هتخيلت معزّاه)، إصدار مكتبة بوعليم، تل-أبيب ١٩٧٩ .

عاموس كينان : الطريق الى عين حرود(هديرخ لعين حرود)، إصدار عام عوفيد، تل أبيب ١٩٨٤ .

عزيئيل لوبوبسكي: ذكريات ابن الجليل(زخرونوت بن مجاليل)، يسود ـ همعلاه ١٩٨٢ .

عوديد بيتسر : قصّاصو الأثر من الحدود الشماليّة (هجششيم مجفول هتسافون)، إصدار شريرك، تل أبيب ١٩٧٥ .

كيشت : مجلّة أدبيّة ، تل أبيب .

مردخاي غور : عزيت الكلبة المظلّيّة(عزيت هكلباه هتسنحنيت)، القدس ١٩٧٤ .

مردخاي يجئال : علي يعد السرج(علي أوخيف)،إصدار معرخوت ـ وزارة الدفاع، تل أبيب .

معريف : صحيفة يوميّة ، تل أبيب .

موشيه سطابيسكي : القرية العربيّة(هكفار معربي)،إصدار عام عوبيد ، تل أبيب ١٩٤٢ .

موشيه سميلانسكي : في ظِلّ البيّارات (بتسيل هبياردسيم)، إصدار مساده، تل أبيب .

موشيه شمير : الحدّ (هجفول)، إصدار مكتبة بوعليم، الطبعة الثانية ، تل أبيب ١٩٦٧ .

موشيه شمير : حياة شعب إسماعيل(حايي عام يشماعيل)، إصدار مكتبة معريف ، تل أبيب ١٩٦٨ .

ناتان شاحم : خريف أخضر(ستاف يروك)، إصدار مكتبة بوعليم، تل أبيب ١٩٧٩ .

نوريت جريتس : عاموس عوز (عاموس عوز ـ مونوجرافية) ، إصدار مكتبة بوعليم ، تل أبيب ١٩٨٠ .

يردينه چولاني : خرافة دير ياسين(هميتوس شل دير ـ ياسين)، إصدار هدار، تل أبيب ١٩٧٣ .

يديعوت أحرونوت : صحيفة يوميّة ، تل أبيب .

يزهار سميلنسكي: الغابة في التلّة(هحورشاه بجفعاه)، إصدار هكيبوتس هميئوحاد ، تل ـ أبيب ١٩٧٩ .

يزهار سميلنسكي: أربع قصص (أربعاه سيبوريم)،إصدار هكيبوتس هميئوحاد، تل أبيب ١٩٦٢.

يهوآش بيبر : القائد الأول ليهودا(هميفكيد هريشون ليهودا)، إصدار شربرك ، تل أبيب ١٩٧٨ .

يهودا بورلا : زوج في شعبه(باعل بعماف)، تل أبيب .

يهوشفاط هركابي : موقف إسرائيل من النزاع الإسرائيلي العربي (عمدات يسرائيل بسخسوخ يسرائيل ـ عراف)، إصدار دفير ، تل أبيب ١٩٦٧ .

يهوشفاط هركابي : تحوُّل في النزاع اليهودي العربي (تموروت بسخوخ يسرائيل – عراف)، إصدار دفير ، تل أبيب ١٩٧٨ .

يهوشفاط هركابي : الصراع العربي الإسرائيلي في رؤية الأدب العربي(سخسوخ عراف يسرائيل برئي هسفروت هعرفيت) ، إصدار مؤسّسة فان لير، القدس ١٩٧٥ .

يهوشفاط هركابي : العرب وإسرائيل(عراف فيسرائيل)، إصدار مؤسّسة ترومن ، الجامعة العبريّة، القدس .

يوحنان بيرس : علاقة الطوائف في إسرائيل(يحاسي عيدوت بيسرائيل)، إصدار مكتبة بوعليم وجامعة تل أبيب ، تل أبيب ١٩٧٦ .

يوسف أريكه : قصص عبريّة من حياة العرب (سيبوريم عفرييم محايي هعرفيم) ، إصدار عام هسيفر ، تل أبيب ١٩٦٢.

فقرات من الأدب العبري : (بركيم من هسفروت معفريت)، إصدار جامعة حيفا ١٩٧٩.

غسّان كنفاني : في الادب الصهيوني. إصدارالشرارة.

أكرم زعيتر : القضيّة الفلسطينيّة، دار المعارف بمصر ١٩٥٥ .

الآداب : مجلّة شهريّة ثقافيّة ، العددان ١ – ٢ يناير – شباط ١٩٨١ ، بيروت ، لبنان .

الفهرس

◐◐ الكتب الصادرة عن دار الجليل ◐◐

١ ـ عمود النار، الاسطورة التي قامت عليها اسرائيل
ترجمة غازي السعدي (صدر بالتعاون مع المؤسسة العربية للدراسات والنشر

---

٢ ـ الاستيطــــان، التطبيق العملي للصهيونية
المهندس الزراعي عبدالرحمن ابو عرفه
طبعة جديدة
«مزيدة ومنقحة»

---

٣ ـ حرب الجليل، الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية، تموز ١٩٨١
بدر عبدالحق وغازي السعدي (صدر بالتعاون مع المؤسسة العربية للداسات والنشر

---

٤ ـ الكتاب السنوي ١٩٨١
توثيق لأبرز المعلومات والأحداث في فلسطين المحتلة
هيئة الرصد والتحرير:
غازي السعدي، نواف الزرو، غسان كمال
(صدر بالتعاون مع المؤسسة العربية للدراسات والنشر)

---

٥ ـ الكتاب السنوي ١٩٨٢
توثيق لأبرز المعلومات والأحداث في فلسطين المحتلة
هيئة الرصد والتحرير:
غازي السعدي، نواف الزرو، غسان كمال

---

٦ ـ الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (١)
شهادات ميدانية لضباط وجنود العدو
بدر عبدالحق وغازي السعدي

---

٧ ـ الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٢)
مايكل جانسن
ترجمة محمود برهوم

---

٨ ـ الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٣)
وثيقة جرم وادانة
غازي السعدي

---

٩ ـ الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٤)
اهداف ... لم تتحقّق
غازي السعدي

١٠ـ الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٥)
معتقل انصار ـ وصراع الارادات
سليم الجنيدي

١١ـ الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٦)
الحرب المضللة
زئيف شيف وايهود يعاري
ترجمة: غازي السعدي

١٢ـ الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٧)
فظائع الحرب اللبنانية
ترجمة: زكي درويش

١٣ـ الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٨)
لبـــنان هزيمة المنتصرين وانتصار القضية
اللجنة ضد الحرب في لبنان

١٤ـ الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبـنان (٩)
الأسرى اليهود وصفقات المبادلة
إعداد: غازي السعدي

١٥ـ رسائل من قلب الحصار
من ابو عمار الى الجميع

١٦ـ يوميات من سجون الاحتلال (١)
زنزانة رقم (٧)
فاضل يونس

١٧ـ المثلث الايـراني: العـلاقـات السريـة الاسرائيلية الامريكية الايرانية في عهد الشاه
الصحفي شموئيل سيجف
ترجمة: غازي السعدي

١٨ـ هل يوجد حل للقضية الفلسطينية؟
مواقف اسرائيلية
آلوف هار ابن
ترجمة: غازي السعدي

١٩ـ عملية الدبويا كما يرويها منفذوها
المحامي درويش ناصر

٢٠ـ مراكز القوى في اسرائيل ١٩٦٣ ـ ١٩٨٣
ونموذج صنع القرار السياسي في اسرائيل
للدكتور نظام بركات

٢١ـ مشاريع التسوية للقضية الفلسطينية ١٩٤٧ـ١٩٨٢
منير الهور وطارق الموسى

٢٢ـ غوش ايمونيم
الوجه الحقيقي للصهيونية
داني روبنشتاين
ترجمة: غازي السعدي

٢٣ـ عش العصفور
قصة للاطفال
منير الهور

٢٤ـ رؤى مستقبلية عربية في الثمانينات
تأليف: د. احمد صبحي الدجاني

٢٥ـ ايام دامية في المسجد الاقصى المبارك
الدكتور احمد العلمي

٢٦ـ حق الشعب العربي الفلسطيني في تقرير المصير
يوسف قراعين

٢٧ـ الاحد الاسود
تصوّر امريكي صهيوني للعمل الفدائي الفلسطيني
ترجمة: حسن اسماعيل مشعل

٢٨ـ خارطة فلسطين
وهي خارطة تمثّل سهول وهضاب وجبال ووديان ومدن وقرى فلسطين (ملوّنة)

٢٩ـ بروتوكولات حكماء صهيون
المجلد الاول ـ عجاج نويهض

٣٠ـ بروتوكولات حكماء صهيون
المجلد الثاني ـ عجاج نويهض

٣١ـ الاردن وفلسطين
وجهة نظر عربية
د. سعيد التل

٣٢ـ الاقتصاد الاسرائيلي بين دوافع الحرب والسلام
للدكتور فؤاد حمدي بسيسو

٣٣ـ الاستعمار وفلسطين
رفيق شاكر النتشه

٣٤ـ الحرب من اجل السلام
عيزر وايزمن ـ ترجمة غازي السعدي

٣٥ـ الموســـاد، جهاز المخابرات الاسرائيلي السري
دنيس ايزنبرغ، ايلي لاندو، اوري دان

٣٦ـ التوازن العسكري في الشرق الاوسط
اعـداد مركـز الدراسات الاستراتيجية بجامعة تل ابيب
ترجمة: نبيه الجزائري

٣٧ـ بطاقـات فنيـة (لوحـات فنيـة تعبر عن الانتماء الفلسطيني)
اعداد: د. كامل قعبر

٣٨ـ بطاقات فنية (مجموعة)
بطاقات على شكل دفتر الشيكات
اعداد: د. كامل قعبر

٣٩ـ الكتاب الاسود
عن يوم الارض ٣٠ آذار ١٩٧٦

٤٠ـ في سَـرْبِيَّة الصحراء
سميح القاسم

٤١ـ الخيار النووي الاسرائيلي
شاي فيلدمان
ترجمة: غازي السعدي

٤٢ـ انتهاك حقوق الانسان في الاراضي المحتلة
شهادات مشفوعة بالقسم
ترجمة: سليم راغب ابو غوش

٤٣ـ نقاط فوق الحروف
مناقشة لردود الفعل تجاه مبادرتي الامير فهد وبريجنيف
خالد الحسن

٤٤ـ قراءة سياسية في مبادرة ريغان
خالد الحسن

٤٥ـ فلسطينيـــات
خالد الحسن

٤٦ـ الاتفاق الاردني ـ الفلسطيني للتحرك المشترك
خالـــد الحســـــن

٤٧ـ من ملفات الارهاب الصهيوني في فلسطين(١)
جرائم الارغون وليحي ١٩٣٧ ـ ١٩٤٨
يعقوب الياب ـ ترجمة غازي السعدي

٤٨ـ من ملفات الارهاب الصهيوني في اسرائيل(٢)
مجازر وممارسات ١٩٣٦ ـ ١٩٨٣
اعداد : غازي السعدي

٤٩ـ من ملفات الارهاب الصهيوني في فلسطين (٣)
دور الهاغاناه في انشاء اسرائيل
د. حمدان بدر

٥٠ـ ملصق يوم الارض
بريشة سليمان منصور

٥١ـ ملصق جمل المحامل
بريشة سليمان منصور

٥٢ـ ملصق قبة الصخرة
صورة تبرز معالمنا التاريخية والدينية في القدس

٥٣ـ فلسطين تأريخاً ونضالاً
نجيب الأحمد

٥٤ـ فلسطينيـــات في سجن النساء الاسرائيلي
طيور نفي ترتسا
وليد الفاهوم

٥٥ـ المؤسسة العسكرية الصهيونية في دائرة الضوء
اسرائيل عسكر وسلاح (١)
اعداد: بشير البرغوثي

٥٦ـ اتفاقيات السلم المصرية ـ الاسرائيلية في نظر القانون الدولي
محمد الرفاعي

٥٧ـ الجـــــذور
فتحي فوراني

٥٨ـ فلسطين ... الارض والوطن (١)
قرية الدوايمة
موسى عبدالسلام هديب

٥٩ـ خط الدفاع في الضفة الغربية
وجهة نظر اسرائيلية
اريه شليف
ترجمة: غازي السعدي

٦٠ـ تشريقة بني مازن
د. عبداللطيف عقل

٦١ـ القمع والتنكيل في سجن الفارعة
اعداد: لجنة الحقوقيين الدولية
القانون من اجل الانسان

٦٢ـ صورة العربي في الادب اليهودي
الدكتورة ريزا دومب
ترجمة: عارف عطاري

٦٣ـ فلسطين ارض وتاريخ
د. محمد النحال

٦٤ـ القدس ماضيها، حاضرها، مستقبلها
فايز فهد جابر

٦٥ـ القضية الفلسطينية في القانون الدولي.. والوضع الراهن
د. جابر الراوي

٦٦ـ شوكة في عيونـــكم
مئير كهانا
ترجمة: غازي السعدي

٦٧ـ حرب الاستنزاف
د. محمد حمزة

٦٨ـ القـــــرار
الفان واثنا عشر يوماً في سجون الاحتلال
رشاد أحمد الصغيّر

٦٩ـ المطامع الاسرائيلية في مياه فلسطين والدول العربية المجاورة
بشير شريف البرغوثي

٧٠ـ ازمة الاستخبارات الاسرائيلية
تسفي لنير
قسم الدراسات

رقم الاجازة المتسلسل م/ ١٥٠/ ٤/ ١٩٨٦
رقم الايداع لدى مديرية المكتبات والوثائق الوطنية ١٧٨/ ٤/ ١٩٨٦

طبـع في شركة الشرق الأوسط للطباعة تلفون ٨٩٤٩٤٠ ـ ٨٩٤٩٤١ / ص.ب ١٥٢٨٦ عمان ـ الأردن / ماركا الشمالية

هذا الكتاب

الأدب مرآة الشعوب، ومصدر إلهامها، وعنوان حضارتها، فتقدم الامم انما يقاس بأدبها كماً ونوعاً..

ولم يكن الادب يوماً، إلا نتاج أحاسيس كامنة، تلح على الاديب، من خلال تفاعله مع مجتمعه، فيترجمها الى كلمات يختلف مذاقها، باختلاف الموقف: معاناة وبهجة، احباطاً وثورة، وما الى ذلك من ضروب الادب.

والاديب الصادق، كالشجرة الطيبة، اصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي اكلها كل يوم، فهو القادر على ايصال الرسالة، التي تحمّل وزرها، عن طيب خاطر، بعيدا عن الحقد والضغينة والارتزاق...

وحين يكون الادب العبري مدار البحث، فان الامر يبدو مختلفا تماما، ذلك ان الادباء اليهود، الذين رضعوا لبن الصهيونية، ليس في مقدورهم ان يخرجوا من بوتقة مبادئها، التي تؤمن بتميز الجنس اليهودي، تغذي العنصرية، وتدعو الى تحقيق الغاية، دونما التفات الى الوسيلة... ان ادباء كهؤلاء، لا يمكن ان يترجموا احاسيسهم، الا بما زجّ في نفوسهم صغارا، وشبوا عليه فتيانا، ومارسوه كبارا.. ومن هنا «فانك لا تجني من الشوك العنب».

ان التباهي بالجنس اليهودي المتميز، زين للاديب اليهودي، ان يرسم صورة وارفة الظلال لليهودي، تتسم بالبطولة والتضحية، وتتأبط الحضارة اينما حلّت، وحيثما ارتحلت، فيما رسم للعربي صورة، هي من القباحة، بحيث لا تفلح رتوش الفن الرفيع، في اختفاء ملامح آدمية عليها... وهي ترجمة حرفية لمدى الحقد الدفين الكامن في قلب الاديب اليهودي، على كل ما هو عربي...

ذلك ما يعرض له هذا الكتاب، الذي يلقي الضوء على صورة العربي في الادب العبري، في الفترة الواقعة بين عامي ١٩٤٨ ـ ١٩٨٥..

ولا بد من التنويه، بأن دار الجليل كانت سباقة الى ترجمة الكتاب الاول في هذه السلسلة، للمؤلفة الصهيونية الدكتورة «ريزا دومب»، ترجمة عارف توفيق عطاري، تحت اسم «صورة العربي في الادب اليهودي» ١٩١١ ـ ١٩٤٨..

مؤلف الكتاب، غانم مزعل، من مواطني فلسطين المحتلة ١٩٤٨، درس العبرية في الجامعات الاسرائيلية، وتعرّف عن قرب، على الادب العبري...

لقد افلح المؤلف، في اختيار النصوص التي ترسم صورة العربي في الادب العبري، ليضعها امام ادبائنا ومثقفينا ومواطنينا، ليشاهدوا عن كثب الصورة التي يرسمها الادباء اليهود في اذهان اطفالهم وكل شرائح مجتمعهم، عن العربي، فلعلهم يفعلون شيئاً...

ولسوف تسعى دار الجليل جاهدة، الى متابعة ما يستجد في هذا المجال، لانه ذو اهمية فائقة، تضع القارىء العربي امام حقائق الفكر الصهيوني المسخر لخدمة الاهداف الصهيونية....

حقوق الطبع محفوظة

الثمن: ديناران



دار الجليل للنشر
والدراسات والابحاث الفلسطينية
ص.ب ٨٩٧٢ تلفون ٦٦٧٦٢٧
تلكس: ٢٣٠٢١